فهرس

مجموعة التوحيد

النجدية

أمر بطبعها على نفقته صاحب الجلالة السعودية، ومحي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

أشرف على تصحيحها وطبعها

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

مطبعة المنار بمصر

فهرس

مجمل للكتب والرسائل التي تحتوي عليها مجموعة التوحيد

صفحة

١ كتاب التوحيد للشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب
٧٣ « كشف الشبهات له
٩٣ بضع رسائل مختصرة في التوحيد والايمان وما يتعلق بهما له أيضاً
٩٤ الرسالة الاولى في مسائل الجاهلية
١٠٣ « الثانية « ستة مواضع من السيرة النبوية
١١٠ « الثالثة « تفسير كلمة التوحيد
١١٥ « الرابعة « أربع قواعد للدين
١١٨ « الخامسة « تلقين أصول العقيدة للعوام
١٢١ « السادسة « ثلاث مسائل
١٢٢ « السابعة « معنى الطاغوت
١٢٤ « الثامنة في الاصول الثلاثة الواجبة
١٢٨ « التاسعة في الجامع لعبادة الله وحده
١٣٠ أربع رسائل له أيضاً في الاحكام العملية والردة وبعض فوائد التفسير
« الرسالة الاولى في أحكام الصلاة
١٣٢ « الثانية « فوائد الفاتحة
١٣٤ « الثالثة « نواقض الاسلام
١٣٨ « الرابعة « ستة أصول مفيدة
١٤١ ﴿ بضع رسائل أخرى لبعض أحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهم من علماء نجد ﴾
١٤٢ الرسالة الاولى في أصل دين الاسلام للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن
الشيخ محمد عبدالوهاب
١٤٩ « الثانية في الجواب عن أسئلة له أيضاً
١٥٦ « الثالثة « أنواع التوحيد وأنواع الشرك له أيضاً

صفحة

١٦١ الرسالة الرابعة في التوحيد وطروء الشرك على المسلمين ـ له أيضا
١٧٢ « الخامسة في كلمة لا إله إلا الله له أيضاً شروط لا إله إلا الله
١٧٨ « السادسة « أوثق عرى الايمان للشيخ سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد عبدالوهاب
١٩٢ الرسالة السابعة في حكم موالاة أهل الشرك له أيضا
٢٠٩ « الثامنة في حكم السفر إلى بلاد الشرك والاقامة فيها إلخ، له أيضا
٢١٣ « التاسعة والعاشرة في معنى كلمة التوحيد وتضمنها الكفر بما يعبد من دون الله ، للعلامة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بطين
٢١٧ « الحادية عشرة في تعريف العبادة له أيضا
٢٢٩ كتاب الكلمات النافعة للشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد عبدالوهاب
٢٩٧ « قرة عيون الموحدين وهو تعليق للشيخ عبدالرحمن على كتاب التوحيد

﴿ فهرس مفصل لما في الكتب والرسائل ، من الابحاث والمسائل ﴾

(كتاب التوحيد)

٤ باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب
٦ « من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب
٧ « الخوف من الشرك
٨ « الدعاء إلى شهادة أن لا إله الا الله
١٠ « تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله الا الله
١٢ « في أن لبس الحلقة والخيط ونحوهما من الشرك
١٣ « ماجاء في الرقى والتمائم
١٤ « من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما
١٦ « ماجاء في الذبح لغير الله
١٧ « لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله
١٨ « من الشرك النذر لغير الله

١٨ من الشرك الاستعاذة بغير الله
١٩ « « أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره
٢٠ النهي عن إشراك المخلوق مع الخالق
٢٢ صفة وحي الله تعالى وسماع الملائكة له
٢٤ الشفاعة
٢٥ قول الله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت) الآية
٢٦ ماجاء في ان سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين
٢٨ باب ماجاء من التغليظ فيمن عبدالله عندقبر رجل صالح فكيف إذاعبده
٣٠ « ماجاء في الغلو في قبور الصالحين
٣١ « « « حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد
٣٢ « « في أن بعض هذه الامة يعبدالاوثان
٣٥ « « « السحر
٣٦ « بيان شيء من أنواع السحر
٣٧ « ماجاء في الكهان ونحوهم
٣٨ « ماجاء في النشرة
٣٩ « ماجاء في التطير
٤٠ « ماجاء في التنجيم
٤١ « ماجاء في الاستسقاء بالانواء
٤٢ « ماجاء ان حب الله ورسوله من تمام الايمان
٤٣ « ماجاء في تخويف الشيطان أولياءه
٤٤ « ماجاء في فضيلة التوكل والاحتساب على الله
٤٥ « ماجاء في ان الامن من مكر الله واليأس من روح الله من الكبائر
٤٥ « من الايمان بالله الصبر على أقدار الله
٤٦ « ماجاء في الرياء
٤٧ « من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا
٤٧ « من أطاع العلماء والامراء في تحريم ما أحل الله وتحليل ماحرمه فقد اتخذهم أربابا
٤٨ « في التحذير من التحاكم إلى الطاغوت

٤٩ باب من جحد شيئا من الاسماء والصفات
٥١ « في النهي عن الحلف بغير الله
٥٢ « ماجاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله
٥٢ « قول ماشاء الله وشئت
٥٣ من سب الدهر فقد آذى الله
٥٤ « التسمي بقاضي القضاة ونحوه
٥٤ « احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لاجل ذلك
٥٥ « من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول
٥٦ « ابتلاء الله لأبرص وأقرع وأعمى
٥٧ « النهي عن التسمي بعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك
٥٨ « في دعائه تعالى بأسمائه الحسنى
٥٩ « لا يقال السلام على الله وباب قول اللهم اغفر لي إن شئت
٦٠ باب لا يقول عبدي وأمتي
« لا يرد من سأل بالله
٦١ لا يسأل بوجه الله إلا الجنة
٦١ ماجاء في اللو
٦٢ النهي عن سب الريح
٦٢ النهي عن سوء الظن بالله تعالى
٦٣ ماجاء في منكرى القدر
٦٥ ما جاء في المصورين
٦٥ ماجاء فى كثرة الحلف
٦٦ ماجاء في ذمة الله وذمة نبيه
٦٨ « في الاقسام على الله
٦٨ لا يستشفع بالله على خلقه
٦٩ « في حماية النبي (ص) حمى التوحيد

﴿ فهرس مفصل لكتاب كشف الشبهات ﴾

٧٦ ايمان الجاهلية بوحدانية الرب وشركهم بعبادة غيره

٧٨ مااحتج به المشركون على الشيخ في دعوته إلى التوحيد
٨٠ رد شبهة الشرك بالوساطة والاستشفاع
٨٢ الفرق بين الشفاعة الشرعية والشفاعة الشركية
٨٤ الفرق بين شرك زماننا وشرك الجاهلية
٨٧ الرد على من ادعى على الاخوان انهم يكفرون أهل التوحيد
٩٠ بيان المراد من حقن دم من نطق بالتوحيد
٩٢ بحث في أن التوحيد قول وعمل

﴿ فهرس مفصل لكتاب الكلمات النافعة ، في المكفرات الواقعة ﴾

٢٣١ المكفرات في المذاهب الاربعة
٢٣٥ أنواع العبادة العملية والقلبية
٢٣٨ وقائع في الخرافات الوثنية، في البلاد الاسلامية
٢٣٩ هدم المساجد المشبهة لمسجد الضرار
٢٤٠ بعض نصوص علماء الحنابلة في الردة
٢٤٢ قتل المرتد المصر بعد استتابته وإقامة الحجة عليه
٢٤٣ أوثان العرب الكبرى وذات الانواط
٢٤٦ الشرك بدعاء الموتى والاستغاثة بهم
٢٤٨ بطلان الوقف على المشاهد والاضرحة
٢٤٩ قتال كل طائفة من المسلمين تمتنع من التزام الشريعة
٢٥٢ الاجماع على كفر من سب الله أو رسوله ولو هزلا أو مزحا
٢٥٣ كفر من رد شيئا مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة
٢٥٧ قطع عمر لشجرة الرضوان ونهيه عن تعمد مساجد الانبياء والصالحين
٢٥٨ فشو الشرك في زمن ابن القيم
٢٥٩ وجوب هدم مساجد القبور المعبودة وقبابها
٢٦٠ سبب عبادة الصالحين وقبورهم وصورهم
٢٦١ أنواع بدع القبور
٢٦٢ ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالتوحيد وحال نجد في زمنه
٢٦٦ التوسل بالصالحين ولاسيما آل النبي (ص) في الاستسقاء
٢٦٧ تفسير (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) إلخ

٢٦٨ حج القبور والمشاهد عند الشيعة وأمثالهم
٢٧٣ استشفاء الخيل من المغل بقبور الكفار والملاحدة
٢٧٤ المشاهد الباطلة والاحلام الخرافية الشركية
٢٧٧ وقائع من عبادة غير الله بمصر وحال أهلها
٢٧٨ تفضيل القبور والمشاهد على المساجد والخشوع عندها دون الصلاة
٤٨٣ شبهات القول بالاستغاثه بالنبي (ص) وغيره
٢٨٤ امتناع علماء مصر من موافقة من قال بالاستغاثة بالنبي (ص)
٢٨٥ التوقف عن تكفير المؤمن حتى تقوم عليه الحجة
٢٨٦ حديث الاعمى في التوسل
٢٨٧ مايجوز من الاستغاثة وما لا يجوز
٢٨٨ دعاء الاموات شرك يؤاخذ فاعله الجاهل بعد اقامة الحجة عليه
٢٨٩ استغاثة النبي (ص) بالله واستغاثة غيره بالخلق
٢٩٠ استقبال القبور في الدعاء كثيرا وفي الصلاة احيانا
٢٩٣ صفة زيارة الصحابة لقبره (ص) ودعائهم هنالك
٢٩٤ حكم المرتد وما تحصل به الردة من كتاب الاقناع
٢٩٥ حكم السحر وتعليمه
٢٩٦ الكهانة والعرافة وضرب الحصى والفول والرمل

﴿ فهرس مفصل لكتاب قرة عيون الموحدين ﴾

٣٠٤ باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب
٣٢٧ الخوف من الشرك وقول الله تعالى ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ﴾
٣٣١ الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله
٣٣٩ تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله
٣٥٢ ما جاء في الرقى والتمائم
٣٦١ ماجاء في الذبح لغير الله وقول الله تعالى ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ﴾
٤٠٠ ماجاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده
٤٠٤ ماجاء ان الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

٤٠٦ ماجاء في حماية المصطفى (ص) جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك
٤٢٢ بيان شيء من أنواع السحر
٤٥١ باب قول الله تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ﴾
٤٨١ « « « « ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها . الآية
٤٨٣ ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله
٤٨٤ باب قول ماشاء الله وشئت
٤٨٦ « من سب الدهر
٤٨٨ « التسمي بقاضي القضاة ونحوه
٤٨٩ « احترام أسماء الله تعالى
٤٩١ « من هزل بشيء فيه ذكر الله
٤٩٢ « قول الله تعالى (ولئن أذقناه رحمة منا)
٤٩٤ « قول الله تعالى (فلما آتاهما صالحا) الخ
٤٩٥ « قول الله تعالى (ولله الاسماء الحسنى)
٤٩٩ « لا يقال السلام على الله
٥٠١ « قول اللهم اغفر لي ان شئت
٥٠٢ « لا يقول عبدي وأمتي وباب لا يرد من سأل بالله
٥٠٣ « لا يسأل بوجه الله الا الجنه
٥٠٤ « ماجاء في اللوو النهي عن سب الريح
٥٠٦ قول الله (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)
٥٠٨ ماجاء في منكري القدر
٥٠٩ حديث جبريل في الايمان والاسلام
٥١٠ ماجاء في المصورين
٥١١ ماجاء في كثرة الحلف
٥١٤ باب ماجاء في ذمة الله وذمة نبيه وقول الله تعالى (وأوفوا بعهد الله)
٥١٧ ما جاء في الاقسام على الله وباب لا يستشفع بالله على خلقه
٥١٩ « ماجاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك
٥٢٠ « ماجاء في قول الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) الخ

(تم)

مجموعة التوحيد

النجدية

الكتاب الاول منها

كتاب التوحيد ، الذى هو حق الله على العبيد

تأليف شيخ الاسلام، وعلم الاعلام ، الامام المجدد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

قوبل طبعه على ثلاث نسخ خطية ونسخة مطبوعة

أمر بطبعه على نفقته صاحب الجلالة السعودية ، ومحي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

الطبعة الاولى في سنه ١٣٤٦ هـ

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه نستعين ﴾

قال الشيخ الامام العالم العلامة الحبر البحر شيخ الاسلام علم الاعلام مفتي الانام محمد ابن الشيخ العالم عبد الوهاب ابن الشيخ العلامة فقيد الحنابلة سليمان بن علي عفا الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية وقوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا) الآية وقوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) الآيات، وقوله (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا) الآيات

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم — إلى قوله — وأن هذا صراطي مستقيما) الآية، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي «يامعاذ أتدري ماحق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» فقلت الله ورسوله أعلم قال «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد

على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا » فقلت يارسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال « لا تبشرهم فيتكلوا » أخرجاه فى الصحيحين — فيه مسائل (الاولى) الحكمة فى خلق الجن والانس (الثانية) أن العبادة هى التوحيد(١)لان الخصومة فيه (الثالثة) أن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله (ولا أنتم عابدون ماأعبد) (الرابعة) الحكمة فى إرسال الرسل (الخامسة) أن الرسالة عمت كل أمة (السادسة) أن دين الانبياء واحد (السابعة) المسئلة الكبيرة أن عبادة الله لاتحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) الآية (الثامنة) أن الطاغوت عام فى كل ماعبد من دون الله (التاسعة) عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات فى سورة الانعام عند السلف وفيها عشر مسائل اولها النهي عن الشرك (العاشرة)الآيات المحكمات في سورة الاسراء وفيها ثماني عشرة مسئلة بدأها الله بقوله (لاتجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا) وختمها بقوله (ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحوراً) ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله (ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة) (الحادية عشرة) آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) (الثانية عشرة) التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته (الثالثة عشرة) معرفة حق الله تعالى علينا (الرابعة عشرة) معرفة حق العباد عليه اذا أدوا حقه (الخامسة عشرة)

«١» يعني ان العبادة الشرعية الصحيحة لا تحصل الا بالتوحيد بأن تكون خالصة لله وحده لا يتوجه فيها الى غيره . وليس المراد تفسير العبادة لغة لانها تكون لغير الله تعالى وهي التى فيها الخصومة كما قال

أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة [1] (السادسة عشرة) جواز كتمان العلم للمصلحة (السابعة عشرة) استحباب بشارة المسلم بما يسره (الثامنة عشرة) الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله (التاسعة عشرة) قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله اعلم (العشرون) جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض (الحادية والعشرون) تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الارداف عليه (الثانية والعشرون) جواز الارداف على الدابة (الثالثة والعشرون) فضيلة معاذ بن جبل (الرابعة والعشرون) عظم شأن هذه المسئلة

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من شهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» أخرجاه، ولهما في حديث عتبان «فان الله حرم على النار من قال لا إله الا الله يبتغي بذلك وجه الله»

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «قال موسى يارب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به، قال قل ياموسى لا إله الا الله، قال يارب كل عبادك يقولون هذا، قال ياموسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه والترمذي وحسنه

[1] «١» اي لم يكونوا يعرفونها قبل اخباره ﷺ إياهم بها

وعن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة »(١) فيه مسائل (الاولى) سعة فضل الله (الثانية) كثرة ثواب التوحيد عند الله (الثالثة) تكفيره مع ذلك الذنوب (الرابعة) تفسير الآية التي في سورة الانعام (الخامسة) تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة (السادسة) أنك اذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين (السابعة) التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان (الثامنة) كون الانبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله (التاسعة) التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه (العاشرة) النص على أن الارضين سبع كالسموات (الحادية عشرة) أن لهن عماراً (الثانية عشرة) اثبات الصفات خلافا للاشعرية(٢) (الثالثة عشرة) أنك اذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان « فان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان (الرابعة عشرة) تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه (الخامسة عشرة) معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله (السادسة عشرة) معرفة كونه روحا منه (السابعة عشرة) معرفة فضل الايمان بالجنة والنار (الثامنة عشرة) معرفة قوله على ماكان من العمل (التاسعة عشرة) معرفة أن الميزان له كفتان (العشرون) معرفة ذكر الوجه

«١» رواه الترمذي من حديث وحسنه (٢) أي فانهم يؤولون بعضها

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) وقال (والذين هم بربهم لا يشركون)

عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ فقلت أنا ثم قلت أما اني لم أكن في صلاة ولكني لدغت . قال فما صنعت ؟ قلت ارتقيت . قال فما حملك على ذلك ؟ قلت حديث حدثناه الشعبي . قال وما حدثكم ؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب انه قال : لا رقية إلا من عين أو حمة . قال قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال «عرضت علي الامم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه(١) فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال « هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال «سبقك بها عكاشة »

«١» في بعض روايات الصحيح هنا « ثم قيل لي انظر فنظرت » الخ وللحديث عدة ألفاظ في الصحيحين وغيرهما

فيه مسائل (الاولى) معرفة مراتب الناس في التوحيد (الثانية) مامعنى تحقيقه (الثالثة) ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين (الرابعة) ثناؤه على سادات الاولياء بسلامتهم من الشرك (الخامسة) كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد (السادسة) كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل (السابعة) عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك الا بعمل (الثامنة) حرصهم على الخير (التاسعة) فضيلة هذه الامة بالكمية والكيفية (العاشرة) فضيلة أصحاب موسى (الحادية عشرة) عرض الامم عليه عليه السلام (الثانية عشرة) أن كل أمة تحشر مع نبيها وحدها (الثالثة عشرة) قلة من استجاب للانبياء (الرابعة عشر) أن من لم يجبه أحد يأتي وحده (الخامسة عشرة) ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة (السادسة عشرة) الرخصة في الرقية من العين والحمة (السابعة عشرة) عمق علم السلف لقوله قد أحسن من انتهى الى ماسمع، ولكن كذا وكذا، فعلم أن الحديث الاول لا يخالف الثاني(١) (الثامنة عشرة) بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه (التاسعة عشرة) قوله «أنت منهم» علم من أعلام النبوة (العشرون) فضيلة عكاشة (الحادية والعشرون) استعمال المعاريض (الثانية والعشرون) حسن خلقه ﷺ

باب الخوف من الشرك

وقول الله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك

«١» أي لان الاول رخصة فيها رفق بعامة الامة، والثاني عزيمة لبيان حال الكملة الذين يدخلون الجنة بغير الحساب فمن علاماتهم أنهم لا يأخذون بالاوهام. وقال الحفاظ ان الحديث الاول هنا مرسل

لمن يشاء) وقال الخليل عليه السلام (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام)وفي الحديث « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر » فسئل عنه فقال «الرياء» وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار » رواه البخاري ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ « قال من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار »

فيه مسائل (الاولى) الخوف من الشرك (الثانية) أن الرياء من الشرك (الثالثة) أنه من الشرك الاصغر (الرابعة) أنه اخوف ما يخاف منه على الصالحين (الخامسة) قرب الجنة والنار (السادسة) الجمع بين قربهما في حديث واحد (السابعة) أنه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من أعبد الناس (الثامنة) المسئلة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الاصنام (التاسعة) اعتباره بحال الاكثر لقوله (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس) (العاشرة) فيه تفسير لا إله إلا الله كما ذكره البخاري (الحادية عشرة) فضيلة من سلم من الشرك

باب الدعاء الى شهادة أن لا اله الا الله

وقول الله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة) الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا الى اليمن قال له « انك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا إله إلا الله «وفي رواية» إلى أن يوحدوا الله فان هم أطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم أطاعوك

لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوك لذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه (ولهما) عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل هو يشتكي عينيه فأرسلوا اليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم» يدوكون أي يخوضون

فيه مسائل (الاولى) أن الدعوة الى الله طريق من اتبعه ﷺ (الثانية) التنبيه على الاخلاص لان كثيراً لو دعا الى الحق فهو يدعو الى نفسه (الثالثة) أن البصيرة من الفرائض (الرابعة) من دلائل حسن التوحيد كونه تنزيها لله تعالى عن المسبة (الخامسة) أن من قبح الشرك كونه مسبة لله (السادسة) وهي من أهمها ابعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك (السابعة) كون التوحيد أول واجب (الثامنة) أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة (التاسعة) أن معنى أن يوحدوا الله معنى شهادة أن لا إله إلا الله (العاشرة) أن الانسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها وهو لا يعمل بها (الحادية عشرة) التنبيه على التعليم بالتدريج (الثانية عشرة) البداءة بالاهم فالاهم (الثالثة عشرة) مصرف الزكاة (الرابعة عشرة)

كشف العالم الشبهة عن المتعلم (الخامسة عشرة) النهي عن كرائم الاموال (السادسة عشرة) اتقاء دعوة المظلوم (السابعة عشرة) الاخبار بانها لا تحجب (الثامنة عشرة) من أدلة التوحيد ماجرى على سيد المرسلين وسادات الاولياء من المشقة والجوع والوباء (التاسعة عشرة) قوله لأعطين الراية الخ علم من أعلام النبوة (العشرون) تفله في عينيه علم من أعلامها أيضا (الحادية والعشرون) فضيلة علي رضي الله عنه (الثانية والعشرون) فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح (الثالثة والعشرون) الايمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنها لمن سعى (الرابعة والعشرون) الادب في قوله على رسلك (الخامسة والعشرون) الدعوة الى الاسلام قبل القتال (السادسة والعشرون) أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا (السابعة والعشرون) الدعوة بالحكمة لقوله أخبرهم بما يجب عليهم (الثامنة والعشرون) المعرفة بحق الله تعالى في الاسلام (التاسعة والعشرون) ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد (الثلاثون) الحلف على الفتيا

باب تفسير التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله

وقول الله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ايهم أقرب) الآية وقوله (وإذ قال ابراهيم لابيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) الآية وقوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية وقوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) الآية

في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « من قال لا إله الا الله وكفر بما

يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عزوجل » وشرح هذه الترجمة مابعدها من الابواب

فيه أكبر المسائل وأهمها وهو تفسير التوحيد وتفسير الشهادة وبيّنها بأمور واضحة

(منها) آية الاسراء بيّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان ان هذا هو الشرك الاكبر

(ومنها) آية براءة بين فيها ان أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وبين انهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحداً مع ان تفسيرها الذي لا اشكال فيه : طاعة العلماء والعباد في المعصية لادعاءهم اياهم

(ومنها) قول الخليل عليه السلام للكفار (انني براء مما تعبدون الا الذى فطرني) فاستثنى من المعبودين ربه . وذكر سبحانه ان هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا اله الا الله فقال (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون)

(ومنها) آية البقرة في الكفار الذين قال فيهم (وماهم بخارجين من النار) ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيما ولم يدخلهم في الاسلام فكيف بمن أحب الند اكبر من حب الله فكيف بمن لم يحب الا الند وحده ولم يحب الله

(ومنها) قوله ﷺ « من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » وهذا من أعظم ما يبين معنى لا اله الا الله فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الاقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له ،

بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف الى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه . فيالها من مسئلة ما أعظمها وأجلها وياله من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع

﴿ باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه ﴾

وقول الله تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) الآية

عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال «ماهذا» قال من الواهنة فقال « انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا فانك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً » رواه أحمد بسند لا بأس به ، وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا « من علق تميمة فلا أتم الله له ، ومن علق ودعة فلا ودع الله له» وفي رواية «من علق تميمة فقد أشرك » ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه انه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)

فيه مسائل ﴿ الاولى ﴾ التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك ﴿ الثانية ﴾ ان الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح ، فيه شاهد لكلام الصحابة ان الشرك الاصغر أكبر الكبائر ﴿ الثالثة ﴾ انه لم يعذر بالجهالة ﴿ الرابعة ﴾ انها لا تنفع في العاجلة بل تضر لقوله « لا تزيدك الا وهنا » ﴿ الخامسة ﴾ الانكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك ﴿ السادسة ﴾ التصريح بأن من علق شيئاً وكل اليه ﴿ السابعة ﴾ التصريح بأن من علق تميمة فقد أشرك (الثامنة) ان تعليق الخيط من الحمى من ذلك (التاسعة) تلاوة حذيفة الآية

دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الاكبر على الاصغر كما ذكر ابن عباس في آية البقرة (العاشرة) أن تعليق الودع عن العين من ذلك (الحادية عشرة) الدعاء على من علق تميمة ان الله لا يتم له ومن علق ودعة فلا ودع الله له أي لا ترك الله له

﴿ باب ماجاء في الرقى والتمائم ﴾

في الصحيح عن أبي بشير الانصاري رضي عنه انه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » رواه أحمد وأبو داود . وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا « من علق شيئاً وكل اليه » رواه أحمد والترمذي . التمائم : شيء يعلق على الاولاد عن العين لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود رضي الله عنه . والرقى : هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ماخلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمى . والتولة : شيء يصنعونه يزعمون انه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل الى امرأته . وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله (ص) «يارويفع لعل الحياة تطول بك فاخبر الناس ان من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فان محمداً بريء منه » وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال « من قطع تميمة من انسان كان كعدل رقبة » رواه وكيع وله عن ابراهيم قال كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن

فيه مسائل (الاولى) تفسير الرقى والتمائم (الثانية) تفسير التولة (الثالثة) ان هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء (الرابعة) ان الرقية بالكلام الحق من العين والحمى ليس من ذلك (الخامسة) ان التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟ (السادسة) ان تعليق الاوتار على الدواب عن العين من ذلك (السابعة) الوعيد الشديد على من علق وترا ﴿الثامنة﴾ فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان ﴿التاسعة﴾ ان كلام ابراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لان مراده أصحاب عبد الله بن مسعود

﴿ باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما ﴾

وقول الله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى) الآيات، عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ «الله أكبر، انها السنن (١) قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) لتركبن سنن من كان قبلكم» رواه الترمذي وصححه

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية النجم (الثانية) معرفة صورة الامر الذي طلبوا (الثالثة) كونهم لم يفعلوا (الرابعة) كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه (الخامسة) أنهم اذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل

«١» اي سنن الله في عباده وهي القواعد والطرق العامة في الامم كاتباع أهل الكتاب سنن الوثنين قبلهم واتباع بعض المسلمين سنن أهل الكتاب وهوما اشار اليه في المسألة ١٧ و ٢١

(السادسة) أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم (السابعة) أن النبي ﷺ لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله « الله أكبر انها السنن، لتتبعن سنن من كان قبلكم » فغلظ الامر بهذه الثلاث (الثامنة) الامر الكبير هو المقصود أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني اسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلها (التاسعة) أن نفي هذا من معنى لا إله الا الله مع دقته وخفائه على أولئك (العاشرة) أنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة (الحادية عشرة) أن الشرك فيه أكبر وأصغر لانهم لم يرتدوا بهذا (الثانية عشرة) قولهم ونحن حدثاء عهد بكفر فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك (الثالثة عشر) ذكر التكبير عند التعجب خلافا لمن كرهه (الرابعة عشرة) سد الذرائع (الخامسة عشرة) النهي عن التشبه بأهل الجاهلية (السادسة عشرة) الغضب عند التعليم (السابعة عشرة) القاعدة الكلية لقوله انها السنن (الثامنة عشرة) أن هذا من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر (التاسعة عشرة) أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا (العشرون) انه متقرر عندهم ان العبادات مبناها على الأمر فصار فيه التنبيه على مسائل القبر . أما من ربك فواضح ، وأما من نبيك فمن إخباره بأنباء الغيب ، وأما من دينك فمن قولهم (اجعل لنا إلهاً) الى آخره (الحادية والعشرون) أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين «الثانية والعشرون» أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم : ونحن حدثاء عهد بكفر

﴿ باب ماجاء في الذبح لغير الله ﴾

وقول الله تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) الآية وقوله (فصل لربك وانحر) عن علي رضي الله عنه قال حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات « لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثا ، لعن الله من غير منار الارض » رواه مسلم . وعن طارق بن شهاب ان رسول الله ﷺ قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » قالوا وكيف ذلك يارسول ؟ قال « مر رجلان على قوم لهم صنم لايجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما قرب قال ليس عندي شيء أقرب قالوا له قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر قرب فقال ماكنت لاقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » رواه أحمد

فيه مسائل (الأولى) تفسير ان صلاتي ونسكي (الثانية) تفسير فصل لربك وانحر (الثالثة) البداءة بلعنة من ذبح لغير الله (الرابعة) لعن من لعن والديه ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك (الخامسة) لعن من آوى محدثا وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله فيلتجيء الى من يجيره من ذلك (السادسة) لعن من غير منار الارض وهي المراسيم التي تفرق بين حقك من الارض وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير (السابعة) الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعصية على سبيل العموم (الثامنة) هذه القصة العظيمة وهي قصة الذباب (التاسعة) كونه دخل النار بسبب

ذلك الذباب الذي لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم (العاشرة) معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر (الحادية عشرة) ان الذي دخل النار مسلم لانه لو كان كافراً لم يقل دخل النار في ذباب (الثانية عشرة) فيه شاهد للحديث الصحيح « الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » (الثالثة عشرة) معرفة ان عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الاوثان

باب

﴿ لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ﴾

وقول الله تعالى (لا تقم فيه أبدا) الآية . عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ » قالوا لا . قال « فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ » قالوا لا ، فقال رسول الله ﷺ « أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داود واسناده على شرطهما

فيه مسائل (الاولى) تفسير قوله (لا تقم فيه أبداً) (الثانية) أن المعصية قد تؤثر في الارض وكذلك الطاعة (الثالثة) رد المسئلة المشكلة الى المسئلة البينة ليزول الاشكال (الرابعة) استفصال المفتي إذا احتاج الى ذلك (الخامسة) ان تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به اذا

خلا من الموانع (السادسة) المنع منه اذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعدزواله (السابعة) المنع منه اذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعدزواله (الثامنة) انه لايجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لانه نذر معصية (التاسعة) الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده (العاشرة) لا نذر في معصية (الحادية عشرة) لا نذر لابن آدم فيما لا يملك

باب

﴿ من الشرك النذر لغير الله ﴾

وقول الله تعالى (يوفون بالنذر) وقوله (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه) وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»

فيه مسائل (الاولى) وجوب الوفاء بالنذر (الثانية) اذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك (الثالثة) أن نذر المعصية لايجوز الوفاء به

باب

﴿ من الشرك الاستعاذة بغير الله ﴾

وقول الله تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية الجن (الثانية) كونه من الشرك

(الثالثة) الاستدلال على ذلك بالحديث لان العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك (الرابعة) فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره (الخامسة) أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك

باب

﴿ من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ﴾

وقول الله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذاً من الظالمين ، وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) الآية وقوله (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه) الآية وقوله (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة) الآيتين وقوله (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) وروى الطبراني باسناده انه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال النبي ﷺ « انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله »

فيه مسائل (الاولى) ان عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص (الثانية) تفسير قوله (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك (الثالثة) ان هذا هو الشرك الاكبر (الرابعة) ان أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين (الخامسة) تفسير الآية التي بعدها (السادسة) كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرا (السابعة) تفسير الآية الثالثة (الثامنة) ان طلب الرزق لا ينبغي الا من الله كما أن الجنة

لاتطلب الا منه (التاسعة) تفسير الآية الرابعة (العاشرة) انه لا أضل ممن دعا غير الله (الحادية عشرة) انه غافل عن دعاء الداعي لايدري عنه (الثانية عشرة) ان تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له (الثالثة عشرة) تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو (الرابعة عشرة) كفر المدعو بتلك العبادة (الخامسة عشرة) ان هذه الامور سبب كونه أضل الناس (السادسة عشرة) تفسير الآية الخامسة (السابعة عشرة) الامر العجيب وهو إقرار عبدة الاوثان انه لا يجيب المضطر الا الله ولاجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين (الثامنة عشرة) حماية المصطفى (ص) حمى التوحيد والتأدب مع الله

باب

قول الله تعالى (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ؟ ولا يستطيعون لهم نصراً) الآية ، وقوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) الآية

وفي الصحيح عن أنس قال : شج النبي (ص) يوم أحد فكسرت رباعيته فقال « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم » فنزلت (ليس لك من الامر شيء) وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع رسول الله (ص) يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا » بعد ما يقول «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» فأنزل الله (ليس لك من الامر شيء) الآية وفيه في رواية : يدعو على صفوان بن أمية وسهيل ابن عمرو والحارث بن هشام فنزلت (ليس لك من الامر شيء) وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله (ص) حين أنزل عليه (وأنذر

عشيرتك الاقربين) قال يامعشر قريش ـ أوكلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، ياعباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، ياصفية عمة رسول الله (ص) لاأغني عنك من الله شيئاً ، ويافاطمة بنت محمد سليني من مالي ماشئت لاأغني عنك من الله شيئاً »

فيه مسائل (الاولى) تفسير الآيتين (الثانية) قصة أحد (الثالثة) قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الاولياء يؤمنون في الصلاة (الرابعة) ان المدعو عليهم كفار (الخامسه) انهم فعلوا أشياء مافعلها غالب الكفار منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله . ومنها التمثيل بالقتلى مع انهم بنو عمهم (السادسة) أنزل الله عليه في ذلك (ليس لك من الامر شيء) (السابعة) قوله (أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) فتاب عليهم فآمنوا (الثامنة) القنوت في النوازل (التاسعة) تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم (العاشرة) لعنه المعين في القنوت (الحادية عشرة) قصته (ص) لما نزل عليه (وأنذر عشيرتك الاقربين) (الثانية عشرة) جده (ص) في هذا الامر بحيث فعل مانسب بسببه إلى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن (الثالثة عشرة) قوله للابعد والاقرب لا أغني عنك من الله شيئا حتى قال «يافاطمة بنت محمد لاأغني عنك من الله شيئا » فاذا صرح وهو سيد المرسلين انه لا يغني من الله شيئا عن سيدة نساء العالمين، وأمن الانسان أنه لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن يتبين له التوحيد وغربة الدين

باب

قول الله تعالى (حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير) في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك (حتى اذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض — وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه — فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموت منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل فاذا سمع ذلك أهل السموات صُعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا ياجبريل ؟ فيقول جبريل (قال الحق وهو العلي الكبير) فيقولون كلهم مثل ماقال جبريل . فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل.

فيه مسائل (الاولى) تفسير الآية (الثانية) ما فيها من الحجة

على ابطال الشرك خصوصاً من تعلق على الصالحين وهي الآية التي قيل انها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب (الثالثة) تفسير قوله (قالوا الحق وهو العلي الكبير) (الرابعة) سبب سؤالهم عن ذلك (الخامسة) ان جبريل هو الذي يجيبهم بقوله بعد ذلك قال كذا وكذا (السادسة) ذكر ان أول من يرفع رأسه جبريل (السابعة) انه يقوله لأهل السموات كلهم لانهم يسألونه (الثامنة) ان الغشي يعم أهل السموات كلهم (التاسعة) ارتجاف السموات لكلام الله (العاشرة) ان جبريل هو الذي ينتهي بالوحي الى حيث أمره الله (الحادية عشرة) ذكر استراق الشياطين (الثانية عشرة) صفة ركوب بعضهم بعضا (الثالثة عشرة) ارسال الشهب (الرابعة عشرة) انه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها وتارة يلقيها في أذن وليه من الانس قبل أن يدركه (الخامسة عشرة) كون الكاهن يصدق في بعض الأحيان (السادسة عشرة) كونه يكذب معها مائة كذبة (السابعة عشرة) انه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء (الثامنة عشرة) قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة (التاسعة عشرة) كونهم يلقي بعضهم الى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها (العشرون) إثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة (الحادية والعشرون) التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفا من الله عز وجل (الثانية والعشرون) انهم يخرون لله سجداً

باب الشفاعة

وقول الله تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) وقوله (قل لله الشفاعة جميعا) وقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وقوله (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقوله(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) الآيتين .

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كلما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عونا لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين انها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي ﷺ انه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا ثم يقال له ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع. وقال له أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله ؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله ، وحقيقته ان الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود ، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ انها لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص انتهى كلامه

فيه مسائل (الأولى) تفسير الآيات (الثانية) صفة الشفاعة المنفية (الثالثة) صفة الشفاعة المثبتة (الرابعة) ذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود (الخامسة) صفة مايفعله النبي ﷺ وانه لا يبدأ بالشفاعة أولا بل يسجد فاذا أذن الله له شفع (السادسة) من أسعد الناس بها (السابعة) انها لا تكون لمن أشرك بالله (الثامنة) بيان حقيقتها

باب

قول الله تعالى (انك لا تهدي من أحببت) الآية

في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له «ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» فقالا له أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا فكان آخر ماقال هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله الا الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لأستغفرن لك مالم أنه عنك» فأنزل الله عز وجل (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) وأنزل في أبي طالب (انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

فيه مسائل (الأولى) تفسير قوله (انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء). (الثانية) تفسير قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) (الثالثة) وهي المسئلة الكبرى

تفسير قوله « قل لا إله الا الله » بخلاف ما عليه من يدعي العلم (الرابعة) ان أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم اذا قال للرجل « قل لا إله إلا الله » فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الاسلام (الخامسة) جده ﷺ ومبالغته في اسلام عمه (السادسة) الرد على من زعم اسلام عبد المطلب وأسلافه (السابعة) كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له بل نهي عن ذلك (الثامنة) مضرة أصحاب السوء على الانسان (التاسعة) مضرة تعظيم الاسلاف والأكابر (العاشرة) الشبهة للمبطلين في ذلك لاستدلال أبي جهل بذلك (الحادية عشرة) الشاهد لكون الاعمال بالخواتيم لانه لو قالها لنفعته (الثانية عشرة) التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين لأن في القصة انهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره فلأجل وضوحها عندهم اقتصروا عليها .

باب

ما جاء انه سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى (وقالوا لا تذرُنّ آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال هذه اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم

فعملوا . ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسي[1] العلم عبدت وقال ابن القيم قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدوهم ، وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله » أخرجاه [2] قال قال رسول الله ﷺ « إياكم والغلو فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » ولمسلم [3] عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا

فيه مسائل (الاولى) أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الاسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب (الثانية) معرفة أول شرك حدث على وجه الارض أنه بشبهة الصالحين (الثالثة) أول شيء غير به دين الانبياء وماسبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم (الرابعة) قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها (الخامسة) أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل (فالاول) محبة الصالحين (والثاني) فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره (السادسة) تفسير الآية التي في سورة نوح (السابعة) جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد (الثامنة) أن فيه شاهدا لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر (التاسعة) معرفة

« ١ » الذي في صحيح البخاري ونسخ — فاما ان يكون ما في الاصل تحريفا من النساخ على انه في جميع النسخ — وإما أن يكون سبق قلم أو رواية بالمعنى والأثر مختصر من الصحيح

« ٢ » بياض في الاصل والحديث أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس بسند صحيح

« ٣ » وكذا أحمد وأبو داود واقتصر المصنف على الاصح

الشيطان بما تؤول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل (العاشرة) معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول اليه (الحادية عشرة) مضرة العكوف على القبر لاجل عمل صالح (الثانية عشرة) معرفة النهي عن التماثيل والحكمة فى ازالتها (الثالثة عشرة) معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة اليها مع الغفلة عنها (الرابعة عشرة) وهي أعجب وأعجب قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات واعتقدوا أن مانهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال (الخامسة عشرة) التصريح أنهم لم يريدوا الا الشفاعة (السادسة عشرة) ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك (السابعة عشرة) البيان العظيم في قوله «لاتطروني» الخ فصلوات الله وسلامه عليه بلغ البلاغ المبين (الثامنة عشرة) نصيحته ايانا بهلاك المتنطعين (التاسعة عشرة) التصريح انها لم تعبد حتى نسي العلم ففيها معرفة قدر وجوده ومضرة فقده (العشرون) ان سبب فقد العلم موت العلماء

باب

﴿ ماجاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبده ﴾

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بارض الحبشة وما فيها من الصور فقال «أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله» فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين

فتنة القبور وفتنة التماثيل، ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ماصنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدا . أخرجاه ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول « اني أبرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك» فقد نهى عنه في آخر حياته ثم انه لعن وهو في السياق من فعله ، والصلاة عندها من ذلك وان لم يبن مسجد وهو معنى قولها خشي أن يُتخذ مسجدا فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا كما قال صلى الله عليه وسلم « جعلت لي الارض مسجدا ، وطهورا » ولاحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه

فيه مسائل (الاولى) ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل (الثانية) النهي عن التماثيل وغلظ الامر في ذلك (الثالثة) العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك كيف بين لهم هذا اولا ثم قبل موته بخمس قال ما قال ثم لما

كان في النزع لم يكتف بما تقدم (الرابعة) نهيه عن فعله عند قبره قبل ان يوجد القبر (الخامسة) انه من سنن اليهود والنصارى في قبور انبيائهم (السادسة) لعنه اياهم على ذلك (السابعة) ان مراده صلى الله عليه وسلم تحذيره ايانا [1] عن قبره (الثامنة) العلة في عدم ابراز قبره (التاسعة) في معنى اتخاذه مسجدا (العاشرة) أنه قرن بين من اتخذها مسجدا وبين من تقوم عليهم الساعة فذكر الذريعة الى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته (الحادية عشرة) ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع بل أخرجهم بعض السلف من الستين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد (الثانية عشرة) ما بلي به ﷺ من شدة النزع (الثالثة عشرة) ما اكرم به من الخلة (الرابعة عشرة) التصريح بانها أعلى من المحبة (الخامسة عشرة) التصريح بان الصديق أفضل الصحابة (السادسة عشرة) الاشارة الى خلافته

باب

ماجاء ان الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد (افرأيتم اللات والعزى؟) قال كان [2] يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره ، وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس كان يلت السويق للحاج . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه أهل السنن

(١) وفي نسخة تحذرنا عن قبره وهي أفصح (٢) أي كان اللات رجلا يلت لهم السويق

فيه مسائل (الاولى) تفسير الاوثان (الثانية) تفسير العبادة (الثالثة) أنه ﷺ لم يستعذ الا مما يخاف وقوعه (الرابعة) قرنه بهذا اتخاذ قبور الانبياء مساجد (الخامسة) ذكر شدة الغضب من الله (السادسة) وهي من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الاوثان (السابعة) معرفة أنه قبر رجل صالح (الثامنة) أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية (التاسعة) لعنه زوارات القبور (العاشرة) لعنه من أسرجها

باب

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ

جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك

وقول الله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم) الآية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله (ص) «لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود باسناد حسن رواته ثقات، وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي (ص) فيدخل فيها فيدعو فنهاه قال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله (ص) قال «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في المختارة

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية براءة (الثانية) ابعاده امته عن هذا الحمى غاية البعد (الثالثة) ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته (الرابعة) نهيه

عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الاعمال (الخامسة) نهيه عن الاكثار من الزيارة (السادسة) حثه على النافلة في البيت (السابعة) أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة (الثامنة) تعليله ذلك بان صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وان بعد فلا حاجة الى ما يتوهمه من أراد القرب (التاسعة) كونه (ص) في البرزخ تعرض عليه اعمال أمته في الصلاة والسلام عليه

باب

﴿ ماجاء أن بعض هذه الامة يعبد الاوثان ﴾

وقول الله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) وقوله تعالى (قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) وقوله (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) عن أبي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله (ص) قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ أخرجاه، ولمسلم عن ثوبان ان رسول الله (ص) قال «ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها واعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي لأمتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ،وان ربي قال يامحمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد وانى أعطيتك لامتك ان لا أهلكهم بسنة عامة وان لا أسلط عليهم عدوا

من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا» ورواه البرقاني في صحيحه وزاد «وانما أخاف على أمتي الائمة المضلين واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الاوثان ، وانه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية النساء (الثانية) تفسير آية المائدة (الثالثة) تفسير آية الكهف (الرابعة) وهي من أهمها ما معنى الايمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟ (الخامسة) قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين (السادسة) وهي المقصود بالترجمة ان هذا لا بد أن يوجد في هذه الامة كما تقرر في حديث أبي سعيد (السابعة) التصريح بوقوعها أعني عبادة الاوثان في هذه الامة في جموع كثيرة (الثامنة) العجب العجاب خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه أنه من هذه الامة وان الرسول حق وأن القرآن حق وفيه ان محمداً خاتم النبيين ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح(١) وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة (التاسعة) البشارة بان

«١» ومن ادعى النبوة في عصرنا وهو كالمختار فيما ذكر دجال اسمه غلام أحمد القادياني في الهند وادعى أنه المسيح الموعود به وله أتباع في الهند لا يزالون يدعون النبوة بعده

الحق لايزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة (العاشرة) الآية العظمى أنهم مع قلتهم لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم (الحادية عشرة) ان ذلك الشرط الى قيام الساعة (الثانية عشرة) ما فيه من الآيات العظيمة منها اخباره بان الله زوى له المشارق والمغارب واخبر بمعنى ذلك فوقع كما اخبر بخلاف الجنوب والشمال [1] وإخباره بانه أعطي الكنزين واخباره باجابة دعوته لامته في الاثنتين وإخباره بانه منع الثالثة واخباره بوقوع السيف وانه لا يرفع اذا وقع واخباره باهلاك بعضهم بعضا وسبي بعضهم بعضا وخوفه على أمته من الائمة المضلين واخباره بظهور المتنبئين في هذه الامة واخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر مع ان كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول (الثالثة عشرة) حصره الخوف على امته من الائمة المضلين (الرابعة عشرة) التنبيه على معنى عبادة الاوثان

---

(١) أي فلم يخبر (ص) ان الله تعالى أراه ما يبلغ اليه ملك أمته منه لان المشارق والمغارب كان يراد به جميع العمران كما قال تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) ومثله (رب المشرقين ورب المغربين) وكذا قولهم ملك الخافقين وقد ملك المسلمون كثيرا من بلاد الشمال بالنسبة الى الحجاز أو الى جزيرة العرب وليس في جنوب بلاد العرب الا البحر المحيط الجنوبي «الهندي» وليس في تلك الجهة منه الا بعض الجزائر التي لاتذكر. وان أريد بالجنوب والشمال العرف الجغرافي يتسع الامر ولكنه عرف حادث ليس بمراد

باب

﴿ ما جاء في السحر ﴾

وقول الله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق) وقوله (يؤمنون بالجبت والطاغوت) قال عمر الجبت السحر والطاغوت الشيطان . وقال جابر الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[1] وعن جندب مرفوعا « حد الساحر ضربه بالسيف » رواه الترمذي وقال الصحيح أنه موقوف.

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر. وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت وكذلك صح عن جندب قال احمد عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية البقرة (الثانية) تفسير آية النساء (الثالثة) تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما[2] (الرابعة) ان الطاغوت

«١» رواه الشيخان وغيرهما «٢» الجبت كالجبس مالا خير فيه ويطلق على جميع الخرافات كالمعبودات الباطلة والسحر والكهانة والطاغوت من الطغيان وهو تجاوز حدود الحق والخير والشرع واستعمل في المفرد والجمع وأطلق على المعبودات الباطلة وعلى زعماء الفساد وكعب بن الاشرف وعلى الساحر والكاهن فالجبت والطاغوت يختلفان في المفهوم وقد ينفعان فيما يسمى المأصدق أي ما يطلقان عليه صدقا

قد يكون من الجن وقد يكون من الانس (الخامسة) معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي (السادسة) ان الساحر يكفر (السابعة) أنه يقتل ولا يستتاب (الثامنة) وجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده

باب

بيان شيء من أنواع السحر

قال احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن حيان بن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ قال « ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت » قال عوف العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط بالارض والجبت قال الحسن رنة الشيطان إسناده جيد . ولابي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » رواه أبو داود واسناده صحيح . وللنسائي من حديث أبي هريرة « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه » وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا هل أنبئكم ما العضه هي النميمة القالة بين الناس » رواه مسلم ، ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « ان من البيان لسحرا »

فيه مسائل (الاولى) أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت (الثانية) تفسير العيافة والطرق والطيرة (الثالثة) ان علم النجوم من

أنواع السحر (الرابعة) أن العقد مع النفث من ذلك (الخامسة) أن النميمة من ذلك (السادسة) أن بعض الفصاحة منه

باب

ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما » وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود . وللاربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن (١) « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » صلى الله عليه وسلم ولابي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا . وعن عمران بن حصين مرفوعا « ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » صلى الله عليه وسلم رواه البزار باسناد جيد ورواه الطبراني في الاوسط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله « ومن أتى » الى آخره

قال البغوي العراف الذي يدعي معرفة الامور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك ، وقيل هو الكاهن ، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل . وقيل الذي يخبر عما في الضمير وقال أبو العباس بن تيمية العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة

« ١ » بياض في الاصل والساقط منه اسم الصحابي وهو ابو هريرة « رض » وعزاه في الجامع الصغير الى أحمد والحاكم واشار الى تحسينه

الامور بهذه الطرق . وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أباجاد) وينظرون في النجوم ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق

فيه مسائل (الاولى) أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الايمان بالقرآن (الثانية) التصريح بأنه كفر (الثالثة) ذكر من تكهن له (الرابعة) ذكر من تطير له (الخامسة) ذكر من سحر له (السادسة) ذكر من تعلم «أباجاد» (السابعة) ذكر الفرق بين الكاهن والعراف

باب

﴿ ما جاء في النشرة ﴾

عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال « هي من عمل الشيطان » رواه احمد بسند جيد وأبو داود وقال سئل احمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله ، وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر قال لا بأس به انما يريدون به الاصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه انتهى

وروي عن الحسن أنه قال لا يُحل السحر الا ساحر قال ابن القيم النشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور (والثاني) النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز

فيه مسائل (الاولى) النهي عن النشرة (الثانية) الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الاشكال

باب

﴿ ما جاء في التطير ﴾

وقول الله تعالى (ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقوله (قالوا طائركم معكم) الآية* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » أخرجاه زاد مسلم « ولا نوء ولا غول »، ولهما عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل » قالوا وما الفأل ؟ قال «الكلمة الطيبة» ولابي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال « أحسنها الفأل ولا ترد مسلما فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك » وله من حديث ابن مسعود مرفوعا «الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، ومامنا الا ... [1] ولكن الله يذهبه بالتوكل» رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود ولاحمد من حديث ابن عمر «ومن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» قالوا فما كفارة ذلك قال «أن تقول اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا اله غيرك» وله من حديث الفضل بن العباس «انما الطيرة ما أمضاك أو ردك»(٢)

« ١ » في الحديث حذف يعرف بالقرينة اي الا ويقع في نفسه شيء من التأثير بحسب العادة والوراثة ولكن الله يذهب من قلب المؤمن لايمانه بان حركة الطير لا تأثير لها في سير المقادير

« ٢ » أي انما الطيرة المذمومة شرعا ماترتب عليها عمل من فعل أو ترك اذ لا مؤاخذة الا على عمل اختياري

فيه مسائل (الاولى) التنبيه على قوله (ألا إنما طائرهم عند الله) مع قوله (طائركم معكم) (الثانية) نفي العدوى (الثالثة) نفي الطيرة (الرابعة) نفي الهامة (الخامسة) نفي الصفر (السادسة) ان الفأل ليس من ذلك بل مستحب (السابعة) تفسير الفأل (الثامنة) ان الواقع في القلب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل (التاسعة) ذكر ما يقوله من وجده (العاشرة) التصريح بان الطيرة شرك (الحادية عشرة) تفسير الطيرة المذمومة

باب

﴿ ما جاء في التنجيم ﴾

قال البخاري في صحيحه قال قتادة خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به انتهى وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه ذكره حرب عنهما . ورخص في تعلم المنازل احمد واسحاق(١) وعن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر » رواه احمد وابن حبان في صحيحه

فيه مسائل (الاولى) الحكمة في خلق النجوم (الثانية) الرد على من زعم غير ذلك (الثالثة) ذكر الخلاف في تعلم المنازل (الرابعة) الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل

«١» ليست المسألة مسألة رخصة فان الله تعالى بين لنا حكمتها بما دل على طلب العلم بها فقال (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) الآية دع ما فيها من الآيات على علمه وقدرته وحكمته ورحمته بعباده

باب

ماجاء في الاستسقاء بالانواء

وقول الله تعالى (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لايتركونهن : الفخر بالاحساب ، والطعن في الانساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة »وقال «النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » رواه مسلم

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم . قال « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية (فلا أقسم بمواقع النجوم) الى قوله (تكذبون)

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية الواقعة (الثانية) ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية (الثالثة) ذكر الكفر في بعضها (الرابعة) ان من الكفر مالا يخرج عن الملة (الخامسة) قوله : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بسبب نزول النعمة (السادسة) التغطن للايمان في هذا الموضع (السابعة) التغطن

للكفر في هذا الموضع (الثامنة) التفطن لقوله لقد صدق نوء كذا وكذا (التاسعة) اخراج العالم المتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله « أتدرون ماذا قال ربكم (العاشرة) وعيد النائحة

باب

قول الله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) الآية . وقوله (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ـ الى قوله ـ أحب اليكم من الله ورسوله) الآية .

عن أنس ان رسول الله ﷺ قال « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » أخرجاه ، ولهما عنه قال قال رسول الله ﷺ « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » وفي رواية « لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى » الى آخره .

وعن ابن عباس قال: من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فانما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا رواه ابن جرير . وقال ابن عباس في قوله (وتقطعت بهم الأسباب) قال المودّة

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية البقرة (الثانية) تفسير آية براءة (الثالثة) وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال (الرابعة) ان نفي الايمان

لا يدل على الخروج من الاسلام (الخامسة) ان للايمان حلاوة قد يجدها العبد وقد لا يجدها (السادسه) أعمال القلب الاربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الايمان إلا بها (السابعة) فهم الصحابي للواقع إن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا (الثامنه) تفسير وتقطعت بهم الأسباب (التاسعة) ان من المشركين من يحب الله حباً شديداً (العاشرة) الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه (الحادية عشرة) أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر

باب

قول الله تعالى (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) وقوله (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) الآية. وقوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) الآية.

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا «إن من ضعف اليقين أن تُرْضِيَ الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله، ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره»

وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال «من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية آل عمران (الثانية) تفسير آية براءة (الثالثة) تفسير آية العنكبوت (الرابعة) ان اليقين يضعف ويقوى (الخامسة) علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث (السادسة) ان إخلاص الخوف لله من الفرائض (السابعة) ذكر ثواب من فعله (الثامنة) ذكر عقاب من تركه

باب

قول الله تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقوله (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الآية. وقوله (يا أيها النبي حسبك الله) الآية. وقوله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)

عن ابن عباس قال (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا له (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا) الآية. رواه البخاري والنسائي

فيه مسائل (الاولى) ان التوكل من الفرائض (الثانية) انه من شروط الايمان (الثالثة) تفسير آية الانفال (الرابعة) تفسير الآية في آخرها (الخامسة) تفسير آية الطلاق (السادسة) عظم شأن هذه الكلمة انها قول ابراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ في الشدائد



باب

قول الله تعالى (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) وقوله (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون)

عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر قال «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله» وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر الاشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، رواه عبد الرزاق

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية الاعراف (الثانية) تفسير آية الحجر (الثالثة) شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله (الرابعة) شدة الوعيد في القنوط

باب

﴿ من الايمان بالله الصبر على أقدار الله ﴾

وقول الله تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال علقمه هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب، والنياحة على الميت » ولهما عن ابن مسعود مرفوعا «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال « اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، واذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامه » وقال النبي (ص) «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا أحب

قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط» حسنه الترمذي

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية التغابن (الثانية) أن هذا من الايمان بالله (الثالثة) الطعن في النسب (الرابعة) شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية (الخامسة) علامة ارادة الله بعبده الخير (السادسة) علامة ارادة الله بعبده الشر (السابعة) علامة حب الله للعبد (الثامنة) تحريم السخط (التاسعة) ثواب الرضا بالبلاء

باب

﴿ ما جاء في الرياء ﴾

وقول الله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم إله واحد) الآية . عن أبي هريرة مرفوعا قال الله تعالى (أنا اغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم ، وعن أبي سعيد مرفوعا « ألا اخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا بلى يارسول الله قال الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل» رواه احمد

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية الكهف (الثانية) الامر العظيم في رد العمل الصالح اذا دخله شيء لغير الله (الثالثة) ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى (الرابعة) أن من الاسباب أنه خير الشركاء (الخامسة) خوف النبي (ص) على أصحابه من الرياء (السادسة) أنه فسر ذلك بان يصلي المرء لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجل اليه

باب

﴿ من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا ﴾

وقول الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها) الآيتين ، في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة إن اعطي رضي، وان لم يعط سخط، تعس وانتكس، واذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد اخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة كان في الحراسة ، وان كان في الساقة كان في الساقة، ان استأذن لم يؤذن له وان شفع لم يشفع »

فيه مسائل (الاولى) ارادة الانسان الدنيا بعمل الآخره (الثانية) تفسير آية هود (الثالثة) تسمية الانسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة (الرابعة) تفسير ذلك بانه إن أعطي رضي وان لم يعط سخط (الخامسة) قوله «تعس وانتكس» (السادسة) قوله «واذا شيك فلا انتقش» (السابعة) الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات

باب

من أطاع العلماء والامراء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا ، وقال ابن عباس : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال ابو بكر وعمر، وقال احمد بن حنبل

عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأي سفيان والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة) الآية اتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ، عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية قلت له انا لسنا نعبدهم (١) قال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ فقلت بلى قال فتلك عبادتهم »رواه احمد والترمذي وحسنه

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية النور (الثانية) تفسير آية براءة (الثالثة) التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي (الرابعة) تمثيل ابن عباس بابي بكر وعمر وتمثيل احمد بسفيان (الخامسة) تغير الاحوال الى هذه الغاية صار عند الاكثر عبادة الرهبان هي أفضل الاعمال وتسمى الولاية. وعبادة الاحبار هي العلم والفقه ، ثم تغيرت الحال الى ان عبد من دون الله من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين

باب

قول الله تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت. وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) الآيات وقوله (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن لمصلحون) وقوله (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) قوله (أفحكم الجاهلية يبغون) الآية . عن عبد الله ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه

(١) وروى بضمير الغائبين وعدي هذا كان نصرانيا فأسلم رضي الله عنه

تبعا لما جئت به » قال النووي حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح ، وقال الشعبي كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي نتحاكم الى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق نتحاكم الى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما اليه فنزلت (ألم تر الى الذين يزعمون) الآية ، وقيل نزلت في رجلين اختصما فقال (أحدهما) نترافع الى النبي ﷺ وقال الآخر الى كعب بن الاشرف ثم ترافعا الى عمر فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ أكذلك ؟ قال نعم : فضربه بالسيف فقتله

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية النساء وما فيها من الاعانة على فهم الطاغوت (الثانية) تفسير آية البقرة (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض) (الثالثة) تفسير آية الاعراف (ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها) (الرابعة) تفسير (أفحكم الجاهلية يبغون) (الخامسة) ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الاولى (السادسة) تفسير الايمان الصادق والكاذب (السابعة) قصة عمر مع المنافق (الثامنة) كون الايمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ

باب

﴿ من جحد شيئا من الاسماء والصفات ﴾

وقول الله تعالى (وهم يكفرون بالرحمن) الآية . وفي صحيح البخاري قال علي : حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذّب الله ورسوله . وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس انه رأى

رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكاراً لذلك فقال : ما فَرَق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابه . اهـ . ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم (وهم يكفرون بالرحمن)

فيه مسائل (الاولى) عدم الايمان بشيء من الاسماء والصفات(١) (الثانية) تفسير آية الرعد (الثالثة) ترك التحديث بما لا يفهم السامع (الرابعة) ذكر العلة انه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر (الخامسة) كلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك، وانه هلك

باب

قول الله تعالى (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) الآية . قال مجاهد مامعناه : هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي . وقال عون بن عبد الله يقولون لولا فلان لم يكن كذا . وقال ابن قتيبة : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه « ان الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر » الحديث وقد تقدم وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاح حاذقا ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير. اهـ

فيه مسائل (الاولى) تفسير معرفة النعمة وإنكارها (الثانية) معرفة ان هذا جار على ألسنة كثير (الثالثة) تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة (الرابعة) اجتماع الضدين في القلب

«١» أي حكم عدم الايمان بذلك أو بحث عدم الايمان بذلك يعني أن هذا موضوع المسألة

باب

قول الله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) قال ابن عباس في الآية : الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول، والله وحياتك يا فلانة وحياتي ، وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا (١) هذا كله به شرك (٢) رواه ابن أبي حاتم . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه ، وصححه الحاكم ، وقال ابن مسعود لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي أن أحلف بغيره صادقا . وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح . وجاء عن ابراهيم النخعي انه يكره أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول بالله ثم بك قال ويقول لولا الله ثم فلان ولا تقولوا لولا الله وفلان

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية البقرة في الانداد (الثانية) ان الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الاكبر بأنها تعم الاصغر (الثالثة) ان الحلف بغير الله شرك (الرابعة) انه إذا حلف بغير الله صادقا فهو أكبر من اليمين الغموس (الخامسة) الفرق بين الواو وثم في اللفظ

---

(١) وفي بعض النسخ فلان بالرفع وهو يقصد حكاية لفظ فلان في الجملة الاخيرة والمعنى لاتجعل فيها كلمة فلان مع اسم الله تعالى (٢) أي فيه نوع من الشرك . وما كل الشرك يعد خروجا من الملة

باب

﴿ ماجاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله ﴾

عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله » رواه ابن ماجه بسند حسن

فيه مسائل (الاول) النهي عن الحلف بالآباء (الثانية) الامر للمحلوف له بالله أن يرضى (الثالثة) وعيد من لم يرض

باب

﴿ قول ماشاء الله وشئت ﴾

عن قتيلة ان يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم تشركون تقولون ماشاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة وأن يقولوا ماشاء الله ثم شئت . رواه النسائي وصححه وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلا قال للنبي ﷺ ماشاء الله وشئت فقال « أجعلتني لله نداً ؟ ماشاء الله وحده »

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لامها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت انكم لانتم القوم لولا أنكم تقولون عزير بن الله ، قالوا وأنتم لأنتم القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد ، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت انكم لأنتم القوم لولا انكم تقولون المسيح بن الله، قالوا وأنتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ،فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته قال « هل أخبرت بها أحداً ؟

قلت نعم قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فان طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده»

فيه مسائل (الاولى) معرفة اليهود بالشرك الاصغر (الثانية) فهم الانسان إذا كان له هوى (الثالثة) قوله ﷺ أجعلتني لله نداً؟ فكيف بمن قال *ياأكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك * والبيتين بعده (الرابعة) ان هذا ليس من الشرك الاكبر لقوله « يمنعني كذا وكذا» (الخامسة) ان الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي (السادسة) انها قد تكون سببا لشرع بعض الاحكام

باب

من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى (وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) الآية . في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار » وفي رواية « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله »(١)

فيه مسائل (الاولى) النهي عن سب الدهر (الثانية) تسميته أذى لله (الثالثة) التأمل في قوله « فان الله هو الدهر » (الرابعة) أنه قد يكون سابا ولو لم يقصد بقلبه

(١) الحديث أخرجه الطبري سببا لنزول الآية وردا على المشركين في نسبتهم الحوادث الى الدهر مع ان الدهر زمان لاعمل له، والايذاء هنا الاغضاب المقتضي للعقاب . وقوله « أنا الدهر » مفسر في الحديث بقوله « بيدي الامر » الخ أي كل ما ينسبونه الى الدهر من التصرف فأنا الفاعل له . هذا ملخص شرح العلماء له

باب

﴿ التسمي بقاضي القضاة ونحوه ﴾

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان اخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الاملاك لا مالك الا الله » قال سفيان مثل شاهان شاه» وفي رواية «اغيظ رجل على الله يوم القيمة وأخبثه» قوله أخنع يعني أوضع

فيه مسائل (الاولى) النهي عن التسمي بملك الاملاك (الثانية) ان ما في معناه مثله كما قال سفيان (الثالثة) التفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بان القلب لم يقصد معناه (الرابعة) التفطن ان هذا لاجلال الله سبحانه

باب

احترام اسماء الله تعالى وتغيير الاسم لاجل ذلك

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم فقال له النبي ﷺ « ان الله هو الحكم واليه الحكم » فقال ان قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال « ما أحسن هذا فما لك من الولد ؟ قلت شريح ومسلم وعبد الله قال « فمن أكبرهم ؟ » قلت شريح قال «فانت أبو شريح » رواه أبو داود وغيره

فيه مسائل (الاولى) احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يقصد معناه (الثانية) تغيير الاسم لغير ذلك (الثالثة) اختيار اكبر الابناء للكنية

باب

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) الآية . عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض أنه قال رجل في غزوة تبوك ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب السنا ، ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف الى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يارسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق فقال ابن عمر كأني أنظر اليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الحجارة تنكب رجليه وهو يقول إنما كنا نخوض ونلعب ،فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟) مايلتفت اليه ومايزيده عليه

فيه مسائل (الاولى) وهي العظيمة أن من هزل بهذا فهو كافر (الثانية) أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان (الثالثة) الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله (الرابعة) الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله (الخامسة) أن من الاعذار ما لا ينبغي أن يقبل

باب

ما جاء في قول الله تعالى (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) الآية قال مجاهد هذا بعملي وأنا محقوق به وقال ابن عباس يريد من عندي ، وقوله (قال إنما أوتيته على علم عندي) قال قتادة على علم مني بوجوه المكاسب . وقال آخرون على علم من الله انى له أهل وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان ثلاثة من بني اسرائيل ابرص وأقرع وأعمى فاراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا فاتى الابرص فقال اي شيء أحب اليك ؟ قال لون حسن ، وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به (١) قال فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا . قال فاي المال أحب اليك ؟ قال : الابل أو البقر ـ شك اسحاق(٢) ـ فاعطي ناقة عُشَراء وقال بارك الله لك فيها . قال فأتى الاقرع فقال : أي شيء احب اليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به . فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرا حسنا فقال : أي المال أحب اليك ؟ . قال : البقر أو الابل . فاعطي بقرة حاملا قال بارك الله لك فيها فاتى الاعمى فقال أي شيء أحب اليك ؟ قال : أن يرد الله إليّ بصري فابصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاي المال أحب اليك؟ . قال الغنم فأعطي شاة والدا فانتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا

(١) قوله به ليس في الصحيحين هنا ولا فيما بعده وهي كالتفسير «٢» برواية مسلم هكذا: شك اسحق الاان الابرص الاقرع قال احدهما الابل وقال الآخر البقر

واد من الغنم قال ثم انه أتى الابرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به في سفري، فقال الحقوق كثيرة . فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فاعطاك الله عز وجل المال ؟ فقال انما ورثت هذا المال كابراً عن كابر . فقال ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . قال وأتى الاقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . قال وأتى الاعمى في صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ماشئت ودع ما شئت فوالله لا اجهدك اليوم بشيء أخذته لله فقال امسك مالك فانما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» أخرجاه

فيه مسائل (الاولى) تفسير الآية (الثانية) ما معنى (ليقولن هذا لي) (الثالثة) ما معنى قوله (أوتيته على علم عندي) (الرابعة) ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة

باب

قول الله تعالى (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما) الآية قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد

الكعبة وما أشبه ذلك حاشى عبد المطلب ، وعن ابن عباس في الآية قال لما تغشاها آدم حملت فاتاهما ابليس فقال إني صاحبكما الذي اخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه ولا فعلن ولا فعلن ـ يخوفهما ـ سمياه عبد الحارث ، فابيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت فاتاهما فقال مثل قوله فابيا أن يطيعاه فخرج ميتا ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فادركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله (جعلا له شركاء فيما آتاهما) رواه ابن أبي حاتم ، وله بسند صحيح عن قتادة قال شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته ، وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله (لئن آتيتنا صالحا) قال اشفقا أن لا يكون انسانا وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

فيه مسائل (الأولى) تحريم كل اسم معبد لغير الله (الثانية) تفسير الآية (الثالثة) ان هذا الشرك في مجرد التسمية لم تقصد حقيقتها (الرابعة) ان هبة الله للرجل البنت السوية من النعم (الخامسة) ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة

باب

قول الله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه) الآية ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس يلحدون في اسمائه يشركون . وعنه سموا اللات من الاله والعزى من العزيز وعن الاعمش يدخلون فيها ما ليس منها

فيه مسائل (الاولى) اثبات الاسماء (الثانية) كونها حسنى (الثالثة) الامر بدعائه بها (الرابعة) ترك من عارض من الجاهلين الملحدين (الخامسة) تفسير الالحاد فيها (السادسة) الوعيد لمن ألحد

باب

لا يقال السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا اذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده السلام على فلان فقال النبي ﷺ « لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام»

فيه مسائل (الاولى) تفسير السلام (الثانية) أنه تحية (الثالثة) أنها لا تصلح لله (الرابعة) العلة في ذلك (الخامسة) تعليمهم التحية التي تصلح لله

باب

قول اللهم اغفرلي ان شئت

في الصحيح عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « لا يقولن أحدكم اللهم اغفرلي ان شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فان الله لامكره له »ولمسلم « وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء أعطاه »

فيه مسائل (الاولى) النهي عن الاستثناء في الدعاء (الثانية) بيان العلة في ذلك (الثالثة) قوله ليعزم المسألة (الرابعة) اعظام الرغبة (الخامسة) التعليل لهذا الامر

باب

لايقول عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا يقل أحدكم أطعم ربك وضيء ربك وليقل سيدي ومولاى ولا يقل عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي»

فيه مسائل (الاولى) النهي عن قول عبدي وامتي (الثانية) لايقول العبد ربي ولا يقال له اطعم ربك (الثالثة) تعليم الاول قول فتاي وفتاتي وغلامي (الرابعة) تعليم الثاني قول سيدي ومولاي (الخامسة) التنبيه للمراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الالفاظ

باب

لايردّ من سأل بالله

عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «من استعاذ بالله فاعيذوه ومن سأل بالله فاعطوه، ومن دعاكم فاجيبوه، ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه، فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح

فيه مسائل (الاولى) اعاذة من استعاذ بالله (الثانية) اعطاء من سأل بالله (الثالثة) اجابة الدعوة (الرابعة) المكافأة على الصنيعة (الخامسة) أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر الا عليه (السادسة) قوله «حتى تروا أنكم قد كافأتموه»

باب

لا يسأل بوجه الله الا الجنة

عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « لا يسأل بوجه الله الا الجنة» رواه أبو داود . فيه مسائل (الاولى) النهي عن أن يسأل بوجه الله الا غاية المطالب (الثانية) اثبات صفة الوجه

باب

ما جاء في اللو

وقول الله تعالى (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) وقوله (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا) الآية

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان اصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل ،فان لو تفتح عمل الشيطان »

فيه مسائل (الاولى) تفسير الآيتين في آل عمران (الثانية) النهي الصريح عن قول «لو »اذا أصابك شيء (الثالثة) تعليل المسالة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان (الرابعة) الارشاد الى الكلام الحسن (الخامسة) الامر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله (السادسة) النهي عن ضد ذلك وهو العجز

باب

النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تسبوا الريح فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم انا نسألك من خير هذه الريح وخير مافيها وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر مافيها وشر ما امرت به » صححه الترمذي

فيه مسائل (الاولى) النهي عن سب الريح (الثانية) الارشاد الى الكلام النافع اذا رأى الانسان مايكره (الثالثة) الارشاد الى انها مأمورة (الرابعة) انها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر

باب

قول الله تعالى (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شيء . قل إن الأمر كله لله) وقوله (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء) الآية .

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ففسر بانكار الحكمة وانكار القدر وانكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح ، وانما كان هذا ظن السوء لانه ظن غير مايليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ، ووعده الصادق فمن ظن انه يديل

الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ماجرى بقضائه وقدره ، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده فليعتن اللبيب والناصح لنفسه بهذا ، وليتب الى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل أنت سالم

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة * وإلا فاني لا إخالك ناجيا

فيه مسائل (الاولى) تفسير آية آل عمران (الثانية) تفسير آية الفتح (الثالثة) الاخبار بأن ذلك أنواع لاتحصر (الرابعة) انه لايسلم من ذلك إلا من عرف الاسماء والصفات وعرف نفسه

باب

ماجاء في منكري القدر

وقال ابن عمر والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم استدل بقول النبي ﷺ «الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه مسلم

وعن عبادة بن الصامت انه قال لابنه : يابني إنك لن تجد طعم الايمان

حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ،وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فقال رب وماذا أكتب ؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من مات على غير هذا فليس مني» وفي روايه لأحمد « ان أول ماخلق الله تعالى القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ « فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار »

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال : أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي فقال لو أنفقت مثل أحد ذهباً ماقبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ،وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . قال فأتيت عبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك ، حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه الحاكم في صحيحه

فيه مسائل (الاولى) بيان فرض الايمان بالقدر (الثانية) بيان كيفية الايمان به (الثالثة) احباط عمل من لم يؤمن به (الرابعة) الاخبار بأن أحداً لايجد طعم الايمان حتى يؤمن به (الخامسة) ذكر أول ماخلق الله (السادسة) انه جرى بالمقادير في تلك الساعة الى قيام الساعة (السابعة) براءته ﷺ ممن لم يؤمن به (الثامنة) عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء (التاسعة) ان العلماء أجابوه بما يزيل الشبهة وذلك انهم نسبوا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط

باب

ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » أخرجاه . ولهما عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله » ولهما عن ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول « كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم » ولهما عنه مرفوعا « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » ولمسلم عن أبي الهياج قال قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ « ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفا إلا سويته »

فيه مسائل (الاولى) التغليظ الشديد في المصورين (الثانية) التنبيه على العلة وهو ترك الادب مع الله لقوله « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي » (الثالثة) التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله : فليخلقوا ذرة أو شعيرة (الرابعة) التصريح بأنهم أشد الناس عذابا (الخامسة) ان الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها في جهنم (السادسة) انه يكلف أن ينفخ فيها الروح (السابعة) الأمر بطمسها اذا وجدت

باب

ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى (واحفظوا أيمانكم) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب » أخرجاه

وعن سلمان ان رسول الله ﷺ قال « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أشيمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ، ولا يبيع إلا بيمينه » رواه الطبراني بسند صحيح . وفي الصحيح عن عمران بن حصين (رض) قال قال رسول الله ﷺ « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا ؟ ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»

وفيه عن ابن مسعود ان النبي ﷺ قال « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» قال ابراهيم كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار

فيه مسائل (الاولى) الوصية بحفظ الايمان (الثانية) الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة (الثالثة) الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه (الرابعة) التنبيه على ان الذنب يعظم مع قلة الداعي (الخامسة) ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون (السادسة) ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر مايحدث بعدهم (السابعة) ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون (الثامنة) كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد

باب

ماجاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) الآية . عن بريدة أن رسول الله ﷺ كان إذا أمر أميراً

على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً فقال « اغزوا بسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم انهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فان أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين .فان أبوا فاسألهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من ان تخفروا ذمة الله وذمة نبيه ، وإذا حاصرت أهل حصن فارادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن انزلهم على حكمك فانك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا » رواه مسلم

فيه مسائل (الاولى) الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين (الثانية) الارشاد إلى أقل الامرين خطراً (الثالثة) قوله « اغزوا بسم الله في سبيل الله» (الرابعة) قوله «فاقتلوا من كفر بالله»(الخامسة) قوله «استعن بالله وقاتلهم » (السادسة) الفرق بين حكم الله وحكم العلماء (السابعة) في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا ؟

باب

ماجاء في الاقسام على الله

عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « قال رجل والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل من ذا الذي يتألى علي أن لا اغفر لفلان اني قد غفرت له وأحبطت عملك » رواه مسلم . وفي حديث أبي هريرة ان القائل رجل عابد، قال أبو هريرة تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته

فيه مسائل (الاولى) التحذير من التألي على الله (الثانية) كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله (الثالثة) أن الجنة مثل ذلك (الرابعة) فيه شاهد لقوله «إن الرجل ليتكلم بالكلمة» الخ (الخامسة) أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الامور اليه

باب

لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم قال جاء اعرابي الى النبي ﷺ فقال يارسول الله نهكت الانفس، وجاع العيال ، وهلكت الاموال، فاستسق لنا ربك فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم «سبحان الله سبحان الله» فمازال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه » ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « ويحك أتدري ما الله ؟ ان شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه» وذكر الحديث رواه أبو داود

فيه مسائل (الاولى) الانكار على من قال نستشفع بالله عليك (الثانية) تغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة (الثالثة)

أنه لم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله (الرابعة) التنبيه على تفسير سبحان الله (الخامسة) أن المسلمين يسألونه الاستسقاء

باب

ماجاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير قال انطلقت في وفد بني عامر الى النبي ﷺ فقلنا أنت سيدنا فقال « السيد الله تبارك وتعالى » قلنا وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا فقال « قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان » رواه أبوداود بسند جيد . وعن أنس رضي الله عنه أن ناسا قالوا يارسول الله ياخيرنا وابن خيرنا وياسيدنا وابن سيدنا فقال « ياأيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » رواه النسائي بسند جيد

فيه مسائل (الاولى) تحذير الناس عن الغلو(١) (الثانية) ماينبغي أن يقول من قيل له أنت سيدنا (الثالثة) قوله ولا يستجرينكم الشيطان مع أنهم لم يقولوا الا الحق (الرابعة) قوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي

باب

ما جاء في قول الله تعالى

(وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال جاء حبر من الاحبار إلى رسول الله

«١» وفي النسخة الهندية من بدل عن

ﷺ فقال يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والارضين والشجر على أصبع والماء على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية وفي رواية لمسلم والجبال والشجر على أصبع ثم يهزهن فيقول (أنا الملك أنا الله) وفي رواية للبخاري: يجعل السموات على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع. أخرجاه. ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا «يطوى الله السموات يوم القيمة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الارضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟» وروي عن ابن عباس قال ما السموات السبع والارضون السبع في كف الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم. وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثني ابي قال قال رسول الله ﷺ «ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة القيت في ترس» قال وقال أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد القيت بين ظهري فلاة من الارض»

وعن ابن مسعود قال بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن ذر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قاله الحافظ الذهبي

رحمه الله تعالى قال وله طرق ، وعن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله ﷺ « هل تدرون كم بين السماء والارض ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم قال « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض والله سبحانه وتعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم » أخرجه أبو داود وغيره (١)

« ١ » ولكن ذكر ان المسافة بين كل سماء ٧١ أو ٧٢ أو ٧٣ سنة لا خمسمائة. وقد أورده حفيد المؤلف في تعليقه على كتاب التوحيد بنصه وذكر شراح أبي داود ان في اسناده الوليد ابن عبد الله بن أبي ثور وأنه لا يحتج به . أقول وفي تهذيب التهذيب أنه منكر الحديث وكذاب . وانما يروى التحديد بالخمسمائة عن أبي هريرة وأبي ذر وحديث كل منهما منقطع . ليس في تحديد المسافات بين السموات والارض بخمسمائة عام حديث مرفوع صحيح . وانما ذكر الشيخ كغيره من علماء السنة هذا لانه مؤيد بالاحاديث الصحيحة في علو الله تعالى على خلقه ودال على قدرته تعالى، فحديث أبي هريرة عن الحسن عنه قال الترمذي غريب ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد أنهم قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة . ورواه أبو الشيخ في العظمة من رواية أبي نصر عن أبي ذر ورجاله ثقات الا أنه لا يعرف لابي نصر سماع من أبي ذر ، قاله الحافظ العراقي ومثله عن البيهقي

وذكر الحافظ ابن كثير في آخر تفسير سورة الطلاق حديث أبي هريرة وما تعقبه به الترمذي والبيهقي ورواية احمد والبزار له بزيادة: لو دليتم بحبل الى الارض السفلى السابعة لهبط على الله الخ وان ابن أبي حاتم رواه بدون هذه الزيادة. ثم ذكر حديث أبي ذر عن مسند البزار والاسماء والصفات للبيهقي، وقال ولكن في اسناده نظر وفي متنه غرابة ونكارة

وفي الباب حديث ابن عمر مرفوعا عند ابن أبي حاتم والحاكم وصححه وفيه مسألة الحوت والصخرة الخ وقد قال الحافظ الذهبي متعقبا للحاكم هو حديث منكر وقال البيهقي اسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرة لا أعلم لابي الضحى متابعا عليه اه ذكره القسطلاني في شرح البخاري وقال ففيه أنه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن الخ

أقول والظاهر أنه مأخوذ من الاسرائيليات كما قال في البداية عن أثر ابن عباس في السبع الارضين الذي قال فيه البيهقي أنه شاذ بمرة . وقال ابن كثير هذا وأمثاله

فيه مسائل (الاولى) تفسير قوله (والارض جميعا قبضته) (الثانية) ان هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ولم ينكروها ولم يتأولوها (الثالثة) أن الحبر لما ذكرها للنبي ﷺ صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك (الرابعة) وقوع الضحك من رسول الله ﷺ عند ذكر الحبر هذا العلم العظيم (الخامسة) التصريح بذكر اليدين وأن السموات في اليد اليمنى والارضين في الاخرى (السادسة) التصريح بتسميتها الشمال (السابعة) ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك (الثامنة) قوله كخردلة في كف أحدكم (التاسعة) عظم الكرسي بالنسبة الى السموات (العاشرة) عظمة العرش بالنسبة إلى الكرسي (الحادية عشرة) ان العرش غير الكرسي والماء (الثانية عشرة) كم بين كل سماء الى سماء (الثالثة عشرة) كم بين السماء السابعة والكرسي (الرابعة عشرة) كم بين الكرسي والماء (الخامسة عشرة) ان العرش فوق الماء (السادسة عشرة) أن الله فوق العرش (السابعة عشرة) كم بين السماء والارض (الثامنة عشرة) كثف كل سماء خمسمائة سنة (التاسعة عشرة) أن البحر الذي فوق السموات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

اذا لم يصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله وقد راجعت بعد كتابة ما ذكر تعليق الشيخ عبد الرحمن حسن حفيد المؤلف على كتاب التوحيد فرأيته أشار الى ضعف الحديث وقال انه لا عبرة به لان له شواهد في الصحيحين وغيرهما. وانما هذه الشواهد في معنى علو الرب تعالى على خلقه لا في تحديد المسافات بين السموات والارض وثخنها فهذا لم يرو منه مرفوعا الا ما ذكرناه آنفا . وغرضنا من هذا التعليق الا يجعل هذا المعنى المنكر الذي لم يصح فيه شيء من قبيل القطعيات كعلو الله تعالى فيطعن أحد في دين من ينكر هذه المسافات والابعاد المتعارضة المنكرة الرواية

الكتاب الثاني

من مجموعة التوحيد النجدية

كتاب كشف الشبهات

تأليف شيخ الاسلام، وعلم الاعلام، الامام المجدد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

الذي قال فيه حفيد المصنف الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى

كشفت بالكشف عنا كل معضلة * ظل الذكي بها في الكون حيرانا
نصرت فيه طريقاً للنبي غدت * لا تستطيع لها الافهام عرفانا
ذرت عليها الذراري فهي خافية * حتى جهدت لها بحثا وتبيانا
فاصبح الناس قد هبوا وقد عرفوا * من بعد رقدتهم حينا وأزمانا
أتيت تتلو كتاب الله مجتهدا * حتى شددت من الاسلام أركانا
فاصبحت ملة الاسلام نائلة * نصراً وعزاً وتثبيتا واتقانا
جزاك ربك عنا كل صالحة * أمنا ورحما وتكريما ورضوانا

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وَدٍّ وسُواعٍ ويَغُوثَ ويعوقَ ونَسر وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم ابراهيم عليه السلام ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما وإلا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو ولا يحيي ولا يميت إلا الله، ولا يدبر الامر إلا هو: وأن جميع السموات السبع ومن فيهن والارضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره

فاذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمّن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ؟) وقوله (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ؟ — إلى قوله — فأنى تسحرون) وغير ذلك من الآيات

فاذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذى دعاهم اليه رسول الله ﷺ وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهاراً ، ثم منهم من يدعو الملائكة لاجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له ، أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات أو نبياً مثل عيسى وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى اخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وكما قال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها بالله وجميع أنواع العبادة كلها لله ، وعرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وأن قصدهم الملائكة أو الانبياء أو الاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلي الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم

عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله فان الاله عندهم هو الذي يقصد لاجل هذه الامور سواء كان ملكا ، أو نبياً ، أو ولياً ، أو شجرة أو قبراً ، أو جنياً لم يريدوا أن الاله هو الخالق الرازق المدبر فانهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك ، وانما يعنون بالاله مايعني المشركون في زماننا بلفظ السيد ، فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلي كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه

وسلم بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعلق ، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه ؛ فانه لما قال لهم قولوا لا إله الا الله قالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب)

فاذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني . والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ، ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الامر إلا الله . فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله الا الله

اذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه (إن الله لا يغفر أن يشرك به) الآية ، وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من احد سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين (الاولى) الفرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وأفادك أيضا الخوف العظيم ، فانك اذا عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما ظن المشركون خصوصاً إن ألهمك الله تعالى ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد الا جعل له أعداء كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس

والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً) وقد يكون لاعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم)

اذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله تعالى لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل (لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) ولكن اذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيناته فلا تخف ولا تحزن (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) والعامي من الموحدين يغلب الالف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون) فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما انهم الغالبون بالسيف والسنان ، وانما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فلا يأتي صاحب باطل بحجة الا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل الى يوم القيامة

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جوابا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل (أما المجمل) فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن

أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله الا الله)

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال « اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » مثال ذلك اذا قال لك بعض المشركين (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) أو ان الشفاعة حق أو ان الانبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاما للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله ، وأنت لاتفهم معنى الكلام الذي ذكره. فجاوبه بقولك ان الله ذكر في كتابه ان الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والانبياء والاولياء مع قولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) هذا أمر محكم بين لا يقدر احد ان يغير معناه وما ذكرته لي ايها المشرك من القرآن او كلام رسول الله ﷺ لا اعرف معناه ولكن اقطع ان كلام الله لايتناقض وان كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل وهذا جواب جيد سديد ولكن لا يفهمه الا من وفقه الله تعالى فلا تستهن به فانه كما قال تعالى (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم)

وأما الجواب المفصل فان أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه منها قولهم نحن لانشرك بالله بل نشهد أنه لايخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وسلم لايملك لنفسه نفعا ولا ضراً فضلا عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عندالله واطلب

من الله بهم فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بما ذكرت ومقرون ان اوثانهم لا تدبر شيئا وانما أرادوا الجاه والشفاعة واقرأ عليه ماذكر الله في كتابه ووضحه

فان قال هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الاصنام كيف تجعلون الصالحين مثل الاصنام؟ أم كيف تجعلون الانبياء أصناما؟ فجاوبه بما تقدم فانه اذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وانهم ما أرادوا ممن قصدوا الا الشفاعة ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله باذكر فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الاصنام ومنهم من يدعو الاولياء الذين قال الله فيهم (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية ويدعون عيسى ابن مريم وأمه وقد قال تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون* قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم) واذكر له قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقوله تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب)

فقل له عرفت إن الله كفر من قصد الاصنام وكفر أيضا من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان قال الكفار يريدون منهم وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار

المدبر لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الامر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء واقرأ عليه قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقوله تعالى (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ماعندهم فاذا عرفت أن الله وضحها في كتابه وفهمتها فهما جيداً فما بعدها أيسر منها

فان قال أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء اليهم ودعاؤهم ليس بعبادة . فقل له أنت تقر أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله فاذا قال نعم فقل له بين لي هذا الذي فرضه عليك وهو إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك فانه لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك قال الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين) فاذا أعلمته بهذا فقل له هل علمت هذا عبادة لله ؟ فلا بد أن يقول نعم والدعاء مخ العبادة ، فقل له إذا أقررت أنها عبادة ودعوت الله ليلا ونهاراً خوفا وطمعا ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ فلا بد أن يقول نعم (١) فاذا عملت بقول الله تعالى (فصل لربك وانحر) وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة فلا بد أن يقول نعم . فقل له فان نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ويقول نعم ؟ وقل له أيضا المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول نعم

(١) لعله سقط من هنا : فقل له

فقل له وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك؟ والا فهم مقرون انهم عبيده وتحت قهره وأن الله هو الذي يدبر الامر ولكن دعوهم والتجؤا اليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جداً

فان قال اتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها؟ فقل لا أنكرها ولا اتبرأ منها بل هو ﷺ الشافع المشفع وارجو شفاعته ولكن الشفاعة كلها لله تعالى كما قال تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) ولا تكون الا من بعد اذن الله كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) ولا يشفع في أحد الا بعد ان يأذن الله فيه كما قال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وهو سبحانه لا يرضى الا التوحيد كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) فاذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون الا من بعد اذنه ولا يشفع النبي (ص) ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن الله تعالى الا لاهل التوحيد. تبين لك ان الشفاعة كلها لله وأطلبها منه فأقول اللهم لا تحرمني شفاعته اللهم شفعه في وأمثال هذا

فان قال النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله (١)

فالجواب ان الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحداً) فاذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله (فلا تدعوا مع الله أحداً) وأيضا فان الشفاعة اعطيها غير النبي ﷺ فصح ان الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والاولياء

(١) المعنى وانا اطلب منه مما أعطاه الله، وقد كرر الشيخ هذه الكلمة فالظاهر أنها محكية أي كان أهل نجد ومن يقرب منهم يقولونها

يشفعون ، أتقول ان الله أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم؟ فان قلت هذا رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه وان قلت لا بطل قولك أعطاه الله الشفاعة وأنا اطلبه مما أعطاه الله

فان قال أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا ولكن الالتجاء الى الصالحين ليس بشرك . فقل له إذا كنت تقر ان الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر ان الله لا يغفره فما هذا الامر الذي حرمه الله وذكر انه لا يغفره ؟ فانه لا يدري ، فقل له كيف تبرىء نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه ؟ أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟ فان قال الشرك عبادة الاصنام ونحن لا نعبد الاصنام ، فقل له ما معنى عبادة الاصنام اتظن أنهم يعتقدون ان تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق وتدبر امر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن ، وان قال هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له يقولون إنه يقربنا الى الله زلفى ويدفع الله عنا ببركته أو يعطينا ببركته فقل صدقت وهذا هو فعلكم عند الاحجار والابنية التي على القبور وغيرها . فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الاصنام فهو المطلوب

ويقال له ايضا قولك الشرك عبادة الاصنام هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا وان الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك ؟ فهذا يرد ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب ، وسر المسئلة أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله فقل له وما الشرك بالله فسره لي ؟ فان قال هو عبادة

الاصنام فقل وما معنى عبادة الاصنام فسرها لي ؟ فان قال أنا لا أعبد الا الله فقل ما معنى عبادة الله فسرها لي ؟ فان فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب وان لم يعرفه فكيف يدعي شيئا وهو لا يعرفه ؟ وان فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الاوثان أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه وان عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح اخوانهم حيث قالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب)

فاذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه فاعلم أن شرك الاولين أخف من شرك أهل زماننا بامرين

(احدهما) أن الاولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء والاوثان مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) وقال تعالى (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين * بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون) وقال تعالى (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه) الى قوله (قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) وقوله (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين)

فمن فهم هذه المسئلة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء

وأما في الضر والشدة فلا يدعون الا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الاولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسئلة فهما راسخا ؟ والله المستعان

(والامر الثاني) أن الاولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أحجارا أو أشجارا مطيعة لله ليست عاصية ، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به

اذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله (ص) أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابها وهي انهم يقولون ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا اله الا الله ويكذبون الرسول (ص) وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ونحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

فالجواب أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل اذا صدق رسول الله (ص) في شيء وكذبه في شيء انه كافر لم يدخل في الاسلام وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج . ولما لم ينقد أناس في زمن

النبي (ص) للحج أنزل الله في حقهم (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا) الآية

فاذا كان الله قد صرح في كتابه ان من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة ، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الاحساء في كتابه الذى أرسله الينا

ويقال أيضا اذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالاجماع وكذلك اذا قر بكل شيء الا البعث وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وكذب بذلك كله لا يجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه وقد نطق به القرآن كما قدمنا

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي (ص) وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج

فكيف اذا جحد الانسان شيئا من هذه الامور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ؟ واذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ سبحان الله ما أعجب هذا الجهل

ويقال أيضا هؤلاء اصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويؤذنون ويصلون فان قال انهم يقولون إن مسيلمة نبي قلنا هذا

هو المطلوب إذا كان من رفع رجلا في رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيا أو نبيا في رتبة جبار السموات والارض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون)

ويقال أيضا الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم يدعون الاسلام وهم من أصحاب علي رضي الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان(١) وأمثالهما فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج(١) وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر

ويقال أيضا بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين

ويقال أيضا اذا كان الاولون لم يكفروا الا لانهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن وانكاره وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب (باب حكم المرتد) وهو المسلم يكفر بعد اسلامه ثم ذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى انهم

(١) يوسف وشمسان وتاج أسماء لبعض المعتقدين في تلك البلاد الذين يدعون من الله أو من دون الله كالبدوي والدسوقي والمتبولي وأمثالهم في مصر

ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب

ويقال أيضا الذين قال الله فيهم (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله عليه وسلم ويجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون. وكذلك الذين قال الله فيهم (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد ايمانهم وهم مع رسول الله (ص) في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح

فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون ان لا اله الا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فانه من أنفع ما في هذه الاوراق

ومن الدليل على ذلك أيضاً ماحكى الله تعالى عن بني اسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) وقول أناس من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط . فخلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني اسرائيل (اجعل لنا إلها) ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة. وهي أنهم يقولون ان بني اسرائيل لم يكفروا بذلك وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا

فالجواب أن نقول ان بني اسرائيل لم يفعلوا وكذلك الذين سألوا النبي (ص) لم يفعلوا . ولا خلاف ان بني اسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف ان الذين نهاهم النبي (ص) لو لم يطيعوه واتخذوا ذات

أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد ان المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة ان قول الجاهل: التوحيد فهمناه ان هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان ، وتفيد أيضاً ان المسلم المجتهد اذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك وتاب من ساعته انه لا يكفر كما فعل بنو اسرائيل والذين سألوا النبي (ص) . وتفيد أيضاً انه لو لم يكفر فانه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديداً كما فعل رسول الله (ص)

ولهم شبهة أخرى : يقولون ان النبي (ص) أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله . وقال « أقتلته بعد ماقال لا إله إلا الله ؟» وكذلك قوله « امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله » وأحاديث أُخر في الكف عمن قالها . ومراد هؤلاء الجهلة ان من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل مافعل

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال معلوم ان رسول الله (ص) قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله الا الله ، وان أصحاب رسول الله (ص) قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الاسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب وهؤلاء الجهلة مقرون ان من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله الا الله ، وان من جحد شيئا من أركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف لاتنفعه اذا جحد شيئا من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ، ولكن أعداء الله مافهموا معنى الاحاديث

فأما حديث أسامة فانه قتل رجلا ادعى الاسلام بسبب انه ظن انه ما ادعاه

إلا خوفا على دمه وماله . والرجل اذا أظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه مايخالف ذلك وأنزل الله في ذلك (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) أي فتثبتوا ، فالآية تدل على انه يجب الكف عنه والتثبت، فان تبين منه بعد ذلك مايخالف الاسلام قتل لقوله (فتبينوا) ولو كان لايقتل اذا قالها لم يكن للتثبت معنى. وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ماذكرناه ان من أظهر الاسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا ان تبين منه مايناقض ذلك

والدليل على هذا حال رسول الله (ص) الذي قال «أقتلته بعد ماقال لا إله الا الله؟» وقال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله» هو الذي قال في الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا، حتى ان الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك ماذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة

وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل انهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) وكان الرجل كاذبا عليهم، فكل هذا يدل على ان مراد النبي (ص) في الاحاديث ماذكرناه

ولهم شبهة أخرى : وهي ماذكر النبي (ص) ان الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذرون

حتى ينتهوا الى رسول الله (ص) قالوا فهذا يدل على ان الاستغاثة بغير الله ليست شركا

فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه فان الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى في قصة موسى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وكما يستغيث الانسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الاشياء التي يقدر عليها المخلوق. ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الاشياء التي لا يقدر عليها إلا الله

اذا ثبت ذلك فالاستغاثة بالانبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة ان تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك وتقول له ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله (ص) يسألونه في حياته. وأما بعد موته فخاشاوكلا انهم سألوه(١) ذلك عند قبره، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف دعاؤه نفسه

ولهم شبهة أخرى: وهي قصة ابراهيم عليه السلام لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال ألك حاجة؟ فقال ابراهيم عليه السلام أما إليك فلا. قالوا فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا لم يعرضها على ابراهيم

فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى فان جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فانه كما قال الله تعالى فيه (شديد القوى) فلو أذن

«١» كذا في الاصل والمراد أنهم ما سألوه وهذا التعبير مستعمل في نجد وفي الامصار في النفي أي حاشا أن يكونوا سألوه

الله له أن يأخذ نار ابراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع ابراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه الى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه ، أو أن يهبه شيئا يقضي به حاجته فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد . فأين هذا من استنانة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟

ولنختم الكلام ان شاء الله تعالى بمسئلة عظيمة مهمة جداً تفهم مما تقدم ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ، ولكثرة الغلط فيها فنقول :

لا خلاف ان التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فان اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فان عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وابليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد انه الحق ولكن لا نقدر أن نفعله ولا يجوز (١) عند أهل بلدنا إلا من وافقهم ،وغير ذلك من الاعذار ، ولم يدر المسكين ان غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الاعذار كما قال تعالى (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) وغير ذلك من الآيات كقوله (يعرفونه كما يعرفون أبنائهم) فان عمل بالتوحيد عملا ظاهراً وهو لا يفهمه أولا يعتقده بقلبه فهو منافق،وهو شر من الكافر الخالص (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار)

«١» هذا من حكاية قولهم يريدون به انه لا يكون مقبولا عندهم الا من وافقهم

وهذه المسئلة : مسئلة كبيرة طويلة تبين لك اذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة ، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً ، فاذا سألته عما يعتقد بقلبه فاذا هو لا يعرفه ، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولاهما ما تقدم من قوله (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) فاذا تحققت ان بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله (ص) كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب تبين لك ان الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها .

والآية الثانية قوله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالايمان . وأما غير هذا فقد كفر بعد ايمانه سواء فعله خوفا أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعله على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض الا المكره ، والآية تدل على هذا من جهتين (الأولى) قوله (إلا من أكره) فلم يستثن الله الا المكره . ومعلوم ان الانسان لا يكره الا على العمل او الكلام . وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها .

والثانية قوله تعالى (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) فصرح ان هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر وانما سببه ان له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين والله سبحانه وتعالى أعلم . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين . آمين

﴿تم كتاب كشف الشبهات ويليه عدة رسائل له﴾

بضع رسائل

في التوحيد والايمان وما يتعلق بهما

تأليف

الشيخ الامام ، وقدوة العلماء الاعلام ، شيخ الاسلام ، مفتي الانام

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله له الاجر والثواب

وأدخله الجنة بغير حساب ولا عذاب

آمين

الرسالة الاولى

مسائل الجاهلية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ﴾

قال رحمه الله تعالى هذه أمور خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية الكتابيين والاميين مما لا غنى للمسلم عن معرفتها

فالضد يظهر حسنه الضد * وبضدها تتبين الاشياء

فأهم مافيها وأشدها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ فان انضاف الى ذلك استحسان ماعليه أهل الجاهلية تمت الخسارة كما قال تعالى (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون)

(المسئلة الاولى) انهم يتعبدون باشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فأتى بالاخلاص ، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل وأنه لا يقبل من الاعمال الا الخالص ، وأخبر ان من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وهذه المسئلة التي تفرق الناس لاجلها بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولاجلها شرع الجهاد كما قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (الثانية) أنهم متفرقون في دينهم كما قال تعالى (كل حزب بما لديهم فرحون) وكذلك في دنياهم ويرون ذلك هو الصواب فأتى

بالاجتماع في الدين بقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) ونهانا عن مشابهتهم بقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات) ونهانا عن التفرق في الدين بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

(الثالثة) أن مخالفة ولي الامر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة ذل ومهانة فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بالصبر على جور الولاة وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك وأبدى واعاد وهذه الثلاث التي فيه جمع بينها فيما ذكر عنه في الصحيحين أنه قال (ان الله يرضى لكم ثلاثا أن لا تعبدوا الا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وان تناصحوا من ولاه الله امركم) ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم الا بسبب الاخلال بهذه الثلاث أو بعضها (الرابعة) ان دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم كما قال تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وقال تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) فاتاهم بقوله (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) الآية وقوله (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) (الخامسة) ان من

أكبر قواعدهم الاغترار بالاكثر ويحتجون به على صحة الشيء ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله فأتاهم بضد ذلك وأوضحه في غير موضع من القرآن (السادسة) الاحتجاج بالمتقدمين كقوله (فما بال القرون الاولى * ماسمعنا بهذا في آبائنا الاولين) (السابعة) الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الافهام والاعمال وفي الملك والمال والجاه فرد الله ذلك بقوله (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) الآية وقوله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) وقوله (يعرفونه كما يعرفون ابناءهم) الاية (الثامنة) الاستدلال على بطلان الشيء بانه لم يتبعه الا الضعفاء كقوله (أنؤمن لك واتبعك الارذلون) وقوله (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) فرده الله بقوله (اليس الله باعلم الشاكرين) (التاسعة) الاقتداء بفسقة العلماء فاتى بقوله (ياأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) وبقوله (لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) (العاشرة) الاستدلال على بطلان الدين بقلة افهام أهله وعدم حفظهم كقوله (باديء الرأي) (الحادية عشرة) الاستدلال بالقياس الفاسد كقوله (ان أنتم الا بشر مثلنا) (الثانية عشرة) انكار القياس الصحيح والجامع لهذا وما قبله عدم فهم الجامع والفارق (الثالثة عشرة) الغلو في العلماء والصالحين كقوله (ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) (الرابعة عشرة) أن كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي النفي والاثبات فيتبعون الهوى والظن ويعرضون عما آتاهم الله (الخامسة عشرة) اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله

بعدم الفهم كقوله (قلوبنا غلف *ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول) فأكذبهم الله وبين ان ذلك بسبب الطبع على قلوبهم والطبع بسبب كفرهم

(السادسة عشرة) اعتياضهم عما آتاهم من الله بكتب السحر كما ذكر الله ذلك في قوله (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب[1] كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان) (السابعة عشرة) نسبة باطلهم إلى الانبياء كقوله (وما كفر سليمان) وقوله (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) (الثامنة عشرة) تناقضهم في الانتساب ينتسبون الى ابراهيم مع إظهارهم ترك اتباعه (التاسعة عشرة) قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين كقدح اليهود في عيسى وقدح اليهود والنصارى في محمد صلى الله عليه وسلم (العشرون) اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين ونسبته الى الانبياء كما نسبوه لسليمان عليه السلام (الحادية والعشرون) تعبدهم بالمكاء والتصدية (الثانية والعشرون) انهم اتخذوا دينهم لهوا ولعبا (الثالثة والعشرون) أن الحياة الدنيا غرتهم فظنوا أن عطاء الله منها يدل على رضاه كقوله (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين)

(الرابعة والعشرون) ترك الدخول في الحق إذا سبقهم اليه الضعفاء تكبرا وأنفة فانزل الله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) الآيات (الخامسة والعشرون) الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء

«١» كان في الاصل نبذوا كتاب الله الخ ولا يمكن ان يكون هذا من المصنف لان الآية منقولة بلفظها لا بمعناها حتي يجوز التصرف فيها فالغلط من النساخ ولذلك صححته.

كقوله (لو كان خيراً ماسبقونا اليه) (السادسة والعشرون) تحريف كتاب الله من بعد ماعقلوه وهم يعلمون (السابعة والعشرون) تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها الى الله كقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) الآية (الثامنة والعشرون) انهم لا يعقلون من الحق الا الذي مع طائفتهم كقوله (نؤمن بما أنزل علينا) (التاسعة والعشرون) انهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة كما نبه الله تعالى عليه بقوله (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ؟) (الثلاثون) وهي من عجائب آيات الله انهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع وارتكبوا مانهى الله عنه من الافتراق صار كل حزب بما لديهم فرحون (الحادية والثلاثون) وهي من عجائب الله أيضا معاداتهم الدين الذي انتسبوا اليه غاية العداوة ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعادوا نبيهم وفتنتهم غاية المحبة كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لما اتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر وهي من دين آل فرعون (الثانية والثلاثون) كفرهم بالحق اذا كان مع من لا يهوونه كما قال تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) الآية (الثالثة والثلاثون) انكارهم ما اقروا انه من دينهم كما فعلوا في حج البيت فقال تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) (الرابعة والثلاثون) أن كل فرقة تدعي انها الناجية فاكذبهم الله بقوله (هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) ثم بين الصواب بقوله (بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن) الآية (الخامسة والثلاثون) التعبد بكشف العورات (١) كقوله (واذا فعلوا فاحشة) الآية

(١) وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة حتى النساء

السادسة والثلاثون) التعبد بتحريم الحلال كما تعبد (١) بالشرك (السابعة والثلاثون) التعبد باتخاذ الاحبار والرهبان أربابا من دون الله (الثامنة والثلاثون) الالحاد في الصفات كقوله تعالى (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) (التاسعة والثلاثون) الالحاد في الاسماء كقوله (وهم يكفرون بالرحمن) (الاربعون) التعطيل كقول آل فرعون (الحادية والاربعون) نسبة النقائص اليه سبحانه (الثانية والاربعون) الشرك في الملك كقول المجوس (الثالثة والاربعون) جحود القدر (الرابعة والاربعون) الاحتجاج على الله (الخامسة والاربعون) معارضة شرع الله بقدره (السادسة والاربعون) مسبة الدهر كقولهم (وما يهلكنا الا الدهر) (السابعة والاربعون) اضافة نعم الله الى غيره كقوله (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) (الثامنة والاربعون) الكفر بآيات الله (التاسعة والاربعون) جحد بعضها (الخمسون) قولهم (ما أنزل الله على بشر من شيء) (الحادية والخمسون) قولهم في القرآن (ان هذا الا قول البشر) (الثانية والخمسون) القدح في حكمة الله تعالى (الثالثة والخمسون) إعمال الحيل الظاهرة والباطنة في دفع ما جاءت به الرسل كقوله (ومكروا ومكر الله) وقوله تعالى (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النار) (الرابعة والخمسون) الاقرار بالحق ليتوصلوا به الى دفعه كما قال في الآية (الخامسة والخمسون) التعصب للمذهب كقوله فيها (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) (السادسة والخمسون) تسمية اتباع الاسلام شركا كما ذكره في قوله تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله

(١) تعبد إما مبني للمفعول لانه متعد بالباء واما أصله تعبدوا بالجمع كسوابقه

الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) الآيتين (السابعة والخمسون) تحريف الكلام عن مواضعه (الثامنة والخمسون) تلقيب أهل الهدى بالصبأة والحشوية (التاسعة والخمسون) افتراء الكذب على الله (الستون) كونهم اذا غلبوا بالحجة فزعوا الى الشكوى للملوك كما قال (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض) (الحادية والستون) رميهم اياهم بالفساد في الارض كما في الآية

(الثانية والستون) رميهم إياهم بانتقاص دين الملك كما قال تعالى (ويذرك وآلهتك) وكما قال تعالى (إني أخاف أن يبدل دينكم) الآية (الثالثة والستون) رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك كما في الآية (الرابعة والستون) رميهم إياهم بتبديل الدين كما قال تعالى (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد) (الخامسة والستون) رميهم إياهم بانتقاص الملك كقولهم (ويذرك وآلهتك) (السادسة والستون) دعواهم العمل بما عندهم من الحق كقوله (نؤمن بما أنزل علينا) مع تركهم إياه (السابعة والستون) الزيادة في العبادة كفعلهم يوم عاشوراء (الثامنة والستون) نقصهم منها كتركهم الوقوف بعرفات (التاسعة والستون) تركهم الواجب ورعا (السبعون) تعبدهم بترك الطيبات من الرزق (الحادية والسبعون) تعبدهم بترك زينة الله (الثانية والسبعون) دعواهم الناس الى الضلال بغير علم (الثالثة والسبعون) دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه فطالبهم الله بقوله (قل ان كنتم تحبون الله) الآية (الرابعة والسبعون) دعواهم اياهم الى الكفر مع العلم (الخامسة والسبعون) المكر الكُبَّار كفعل قوم نوح (السادسة والسبعون) ان أئمتهم إما عالم فاجر

وإما عابد جاهل كما في قوله (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) الى قوله (ومنهم أميون) (السابعة والسبعون) تمنيهم الاماني الكاذبة كقوله لهم (لن تمسنا النار الا أياما معدودة) وقولهم (لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى) (الثامنة والسبعون) اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد (التاسعة والسبعون) اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذكر عن عمر (الثمانون) اتخاذ السرج على القبور (الحادية والثمانون) اتخاذها أعيادا (الثانية والثمانون) الذبح عند القبور (الثالثة والثمانون) التبرك بآثار المعظمين كدار ابن حزم لعبث مكرمة قريش (الرابعة والثمانون) الفخر بالاحساب (الخامسة والثمانون) الاستسقاء بالانواء (السادسة والثمانون) الطعن في الانساب (السابعة والثمانون) النياحة (الثامنة والثمانون) ان أجل فضائلهم الفخر بالانساب فذكر الله فيه ما ذكر (التاسعة والثمانون) ان أجل فضائلهم أيضا الفخر ولو بحق فنهى عنه (التسعون) ان الذي لا بد منه عندهم تعصب الانسان لطائفته ونصر من هو منها ظالما أو مظلوما فانزل الله في ذلك ما أنزل (الحادية والتسعون) ان دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره فانزل الله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (الثانية والتسعون) تعيير الرجل بما في غيره فقال « أعيرته بامه انك امرؤ فيك جاهلية » (الثالثة والتسعون) الافتخار بولاية البيت فذمهم الله بقوله (مستكبرين به سامرا تهجرون) (الرابعة والتسعون) الافتخار بكونهم ذرية الانبياء فأبى الله بقوله (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت) الآية (الخامسة والتسعون) الافتخار بالصنائع كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث (السادسة والتسعون) عظمة الدنيا في قلوبهم كقولهم (لولا أنزل

هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (السابعة والتسعون) التحكم على الله كما في الآية (الثامنة والتسعون) ازدراء الفقراء فأتاهم بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) (التاسعة والتسعون) رميهم اتباع الرسل بعدم الاخلاص وطلب الدنيا فأجابهم بقوله (ما عليك من حسابهم من شيء) الآية وأمثالها (المائة) الكفر بالملائكة (الحادية بعد المائة) الكفر بالرسل (الثانية بعد المائة) الكفر بالكتب (الثالثة بعد المائة) الاعراض عما جاء عن الله (الرابعة بعد المائة) الكفر باليوم الآخر (الخامسة بعد المائة) التكذيب بلقاء الله (السادسة بعد المائة) التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر كما في قوله (أولئك الذين كذبوا بآيات ربهم ولقائه) ومنها التكذيب بقوله (مالك يوم الدين) وقوله (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقوله (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) (السابعة بعد المائة) الايمان بالجبت والطاغوت (الثامنة بعد المائة) تفضيل دين المشركين على دين المسلمين (التاسعة بعد المائة) لبس الحق بالباطل (العاشرة بعد المائة) كتمان الحق مع العلم به (الحادية عشرة بعد المائة) قاعدة الضلال وهي القول على الله بلا علم (الثانية عشرة بعد المائة) التناقض الواضح لما كذبوا الحق كما قال تعالى (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) (الثالثة عشرة بعد المائة) الايمان ببعض المنزل دون بعض (الرابعة عشرة بعد المائة) التفريق بين الرسل (الخامسة عشرة بعد المائة) مخالفتهم فيما ليس لهم به علم (السادسة عشرة بعد المائة) دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم (السابعة عشرة بعد المائة) صدهم عن سبيل الله من آمن به (الثامنة عشرة بعد

المائة) مودتهم الكفر والكافرين (التاسعة عشرة والعشرون بعد المائة والحادية والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعشرون بعد المائة) العيافة والطرق والطيرة والكهانة والتحاكم الى الطاغوت وكراهة التزويج بين العبدين والله أعلم

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الرسالة الثانية

﴿ في ستة مواضع منقولة من السيرة النبوية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : تأمل رحمك الله ستة مواضع من السيرة وافهمها فهماً حسناً لعل الله أن يفهمك دين الانبياء لتتبعه ودين المشركين لتتركه فان أكثر من يدعي الدين ويدعى من الموحدين لا يفهم الستة كما ينبغي

(الاول) قصة نزول الوحي وفيها أن أول ما أرسله الله به (يا أيها المدثر قم فأنذر) فاذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة ويعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا ، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون شيئاً من العبادة ويتقربون بها إلى الله ، مثل الحج والعمرة والصدقة على المساكين وغير ذلك وأجلها عندهم الشرك فهو أجل ما يتقربون به إلى الله عندهم كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) فأول ما أمره

الله به الانذار عنه (١) قبل الانذار عن الزنا وغيره ، وعرفت أن منهم من تعلق على الاصنام ، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الاولياء من بني آدم ويقولون ما نريد منهم الا شفاعتهم ، ومع هذا بدأ بالانذار عنه في أول آية أرسل بها (١) فان أحكمت هذه المسئلة فيابشراك خصوصاً اذا عرفت أن مابعدها أعظم من الصلوات الخمس ولم تفرض الا في ليلة الاسراء سنة عشر بعد حصار الشعب وموت أبي طالب وبعد هجرة الحبشة بسنتين ، فاذا عرفت أن تلك الامور الكثيرة والعداوة البالغة كل ذلك عند هذه المسئلة قبل فرض الصلاة رجوت أن تعرف المسئلة:

(الموضع الثاني) أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك ويأمرهم بضده وهو التوحيد لم يكرهوا واستحسنوا وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه إلى أن صرح بسب دينهم وتجهيل علمائهم فحينئذ شمروا له ولاصحابه عن ساق العداوة وقالوا : سفه أحلامنا وعاب ديننا وشتم آلهتنا ، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه ولا الملائكة ولا الصالحين ، لكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون جعلوا ذلك شتماً

فاذا عرفت هذه عرفت أن الانسان لا يستقيم له اسلام ولو وحد الله وترك الشرك الا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية ، فاذا فهمت هذا فهماً جيداً عرفت أن كثيراً من الذين يدعون الدين لا يعرفونها والا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على

«١» يريد الشيخ رحمه الله تعالى بهذين الموضعين أن أول شيء نزل الوحي منذراً بالنهي عنه هو الشرك الذي فسر به قوله تعالى (والرجز فاهجر)

ذلك والعذاب والاسر والضرب والهجرة الى الحبشة مع أنه ﷺ أرحم الناس لو يجد لهم رخصة لارخص لهم كيف وقد أنزل الله تعالي (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) فاذا كان هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه فكيف بغير ذلك

(الموضع الثالث) قصة قراءته ﷺ سورة النجم بحضرتهم ، فلما بلغ (افرأيتم اللات والعزى) ألقى الشيطان في تلاوته: تلك الغرانيق العلى، وان شفاعتهن لترتجى .فظنوا أن رسول الله ﷺ قرأها ففرحوا بذلك وقالوا كلاما معناه هذا الذي نريد ونحن نعرف أن الله هو النافع الضار وحده لاشريك له ، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده ، فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه فشاع الخبر أنهم صافوه وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا ، فلما أنكر ذلك رسول الله ﷺ عادوا إلي أشر ماكانوا عليه ولما قالوا له انك قلت ذلك خاف من الله خوفا عظيما حتى أنزل الله عليه (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) الآية ، فمن فهم هذه القصة (١) ثم شك في دين النبي ﷺ ولم

(١) يعنى الشيخ رحمه الله ان هذا موضع الاعتبار بالقصة على تقدير صحة رواية الحديث فيها وهو مروي من طرق كلها ضعيفه ومنقطعة لايحتج بشيء منها عند الجمهور اتفاقا الا من يحتج منهم بالمرسل وقد قال الكرماني في شرحه للبخاري :وماقيل ان ذلك كان سببا لسجودهم لاصحة له عقلا ولا نقلا .قال القسطلاني بعد نقلة وهو مبني على القول ببطلان القصة من أصلها وانها موضوعة اه وقال بعضهم ان تعدد طرقها يدل على ان لها أصلا وأولوا ماأعترض عليها من جهة المعنى وهو أن القاء الشيطان في قراءة النبي ﴿ص﴾ يعد مطعنا في النبوة . وكل ماذكروه في التأويل ضعيف اغنانا الله عنه بعدم صحة الرواية . ولا يعترض على المصنف بذكرها فهى مذكورة في كتب التفسير والحديث والسير وقد امتازهو ببيان ما يستفاد من العبرة فيها وان لم يحتج بها

يفرق بينه وبين دين المشركين فأبعده خصوصاً ان عرف أن قولهم تلك الغرانيق الملائكة

(الموضع الرابع) قصة أبي طالب فمن فهمها فهما حسنا وتأمل اقراره بالتوحيد وحث الناس عليه وتسفيه عقول المشركين ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول الله ﷺ إلى أن مات ، ثم صبره على المشقة العظيمة ، لكن لما لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الاول لم يصر مسلما مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لابيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم ، ثم مع قرابته ونصرته استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) والذي يبين هذا أنه اذا عرف رجل(١) من أهل البصرة أو الاحساء يحب الدين ويحب المسلمين مع أنه لم ينصر الدين بيد ولا مال ولا له من الاعذار مثل مالابي طالب وفهم الواقع من أكثر من يدعي الدين تبين له الهدى من الضلال وعرف سوء الافهام والله المستعان

(الموضع الخامس) قصة الهجرة وفيها من الفوائد والعبر مالا يعرفه أكثر من قرأها ، ولكن مرادنا الآن مسئلة من مسائلها وهي أن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يهاجر من غير شك في الدين وتزيين دين المشركين ولكن محبة الاهل والمال والوطن ، فلما

«٢» ليس في بقية الكلام مايصلح جوابا لاذا فهل سقط من الناسخ ام تعمد المصنف حذفه للعلم به وهو انه كأبي طالب

خرجوا إلى بدر خرجوا مع المشركين كارهين قتل بعضهم بالرمي والرامى لايعرفه ، فلما سمع الصحابة أن من القتلى فلانا وفلانا شق عليهم وقالوا : قتلنا اخواننا فأنزل الله تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم — الى قوله — وكان الله عفواً غفوراً)

فمن تأمل قصتهم وتأمل قول الصحابة قتلنا اخواننا أنه لو يبلغهم(١) عنهم كلام في الدين أو كلام في تزيين دين المشركين لم يقولوا قتلنا اخواننا فان الله تعالى قد بين لهم وهم قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الايمان بقوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) وأبلغ من هـذا ماتقدم من كلام الله تعالى فيهم فان الملائكة تقول(فيم كنتم؟)ولم يقولوا كيف تصديقكم (قالوا كنا مستضعفين في الارض) لم يقولوا كذبتم مثل مايقول الله للمجاهد الذي يقول جاهدت في سبيلك حتى قتلت ، فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ، بل قاتلت ليقال جريء ، وكذلك يقولون للعالم والمتصدق كذبت ، بل تعلمت ليقال عالم وتصدقت ليقال جواد (٢)

وأما هؤلاء فلم يكذبوهم بل أجابوهم بقولهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟) ويزيد ذلك إيضاحا للعارف والجاهل الآية التي بعدها وهي قوله تعالى (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) فهذا أوضح جداً أن هؤلاء

---

(١) كذا قوله انه لو يبلغهم الخ كذا في الاصل الذي طبعا عنه ولعل الاصل الصحيح علم انه بلغهم عنهم كلام في ذم الدين الخ

«٢» إشارة لحديث في صحيح مسلم في اول من تسعر بهم النار وهم شهيد وقاريء ومتصدق

خرجوا من الوعيد فلم يبق شبهة لكن لمن طلب العلم بخلاف من لم يطلبه ، بل قال الله فيهم (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) ومن فهم هذا الموضع والذي قبله فهم كلام الحسن البصري قال : ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ماوقر في القلوب وصدقته الاعمال ، وذلك أن الله تعالى يقول (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

(الموضع السادس) قصة الردة بعد موت النبي ﷺ فمن سمعها (١) ثم بقي في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون العلماء وهي قولهم هذا هو الشرك لكن يقولون لا اله الا الله ومن قالها لا يكفر بشيء ، وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الاسلام شعرة ولكن يقولون لا إله الا الله وهم بهذه اللفظة اسلام وحرم الاسلام مالهم ودمهم ، مع اقرارهم بأنهم تركوا الاسلام كله ، ومع علمهم بانكارهم البعث واستهزائهم بمن أقر به ، واستهزائهم وتفضيلهم دين آبائهم المخالف لدين النبي ﷺ ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة أن البدو أسلموا ولو جرى منهم ذلك كله لانهم يقولون لا إله الا الله ، ولازم قولهم أن اليهود أسلموا لانهم يقولونها ، وأيضاً كفر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة أعني البوادي المتصفين بما ذكرنا(٢)

والذى يبين ذلك من قصة الردة أن المرتدين افترقوا في ردتهم

(١) قوله فمن سمعها الخ ليس في لاحق الكلام خبر لهذا المبتدأ. فاما ان يكون الخبر قد سقط من غفلة النساخ واما ان يكون الاصل فمن سمعها لا يبقى في قلبه مثقال ذرة الخ

(٢) هذا القيد يدحض قول من افترى على الشيخ رحمه الله بانه كان يكفر جميع اهل البادية على أن اكثرهم في اول عهد دعوته كانوا مجردين من دين الاسلام ثم هدى الله له الكثيرين بدعوته في حياته وبعد وفاته

فمنهم من كذب النبي صلى الله عليه وسلم ورجعوا الى عبادة الاوثان وقالوا لو كان نبيا مامات

ومنهم من ثبت على الشهادتين ولكن أقر بنبوة مسيلمة ظنا أن النبي ﷺ أشركه في النبوة لان مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك فصدقهم كثير من الناس ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك ومن شك في ردتهم فهو كافر .

فاذا عرفت ان العلماء أجمعوا أن الذين كذبوهم ورجعوا الى عبادة الاوثان وشتموا رسول الله ﷺ ومنهم من أقر بنبوة مسيلمة في حال واحدة ولو ثبت على الاسلام كله . ومنهم من أقر بالشهادتين وصدق طليحة في دعواه النبوة ، ومنهم من صدق العنسي صاحب صنعاء وكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم سواء ، ومنهم من كذب النبي ﷺ ورجع الي عبادة الاوثان على حال واحدة

ومنهم أنواع أخر آخرهم الفجاة السلمي لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين ويطلب من أبي بكر ان يمده فاعطاه سلاحا ورواحل فاستعرض السلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم فجهز أبو بكر جيشا لقتاله فلما أحس بالجيش قال لاميرهم أنت أمير أبي بكر وانا أميره ولم أكفر فقال إن كنت صادقا فألق السلاح فألقاه فبعث به الى أبي بكر فأمر بتحريقه بالنار وهو حي .فاذا كان هذا حكم الصحابة في هذا الرجل مع اقراره بأركان الاسلام الخمسة فما ظنك بمن لم يقر من الاسلام بكلمة واحدة الا أنه يقول لااله الا الله بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ ومن كتاب الله تعالى ويقولون هذا دين

الحضر ودیننا دین آبائنا

ثم یفتون [١] هؤلاء المردة الجهال ان هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله اذا قال لا اله الا الله سبحانك هذا بهتان عظيم وما أحسن ما قال واحد من البوادي لما قدم علينا وسمع شيئا من الاسلام قال أشهد أننا كفار يعني هو وجميع البوادي وأشهد ان المطوع الذى يسمينا أهل الاسلام أنه كافر. آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الرسالة الثالثة

في تفسير كلمة التوحيد

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لوليه والصلاة والسلام على نبيه

سئل الشيخ محمد رحمه الله تعالى عن معنى لا اله الا الله

فأجاب بقوله اعلم رحمك الله تعالى أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والاسلام، وهى كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى ، وهي التي جعلها ابراهيم عليه السلام (كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها فان المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الاسفل من النار مع كونهم يصلون ويتصدقون ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ما خالفها ومعاداته كما قال النبي ﷺ «من قال لا اله الا الله مخلصا» (٢) وفي رواية «خالصا من قلبه» وفي رواية

(١) اي ثم يفتى هؤلاء الخ وقوله يفتون جاء على لغة : أكلوني البراغيث

(٢) تتمته « دخل الجنة » والشاهد فيه قيد الاخلاص وكذا يقال فيما بعده

«صادقا من قلبه» وفي حديث آخر «من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله» الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على جهالة اكثر الناس بهذه الشهادة.

فاعلم أن هذه الكلمة نفي واثبات: نفي الآلهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى محمد ﷺ وجبريل فضلا عن غيرهم من الاولياء والصالحين [1]

اذا فهمت ذلك فتأمل هذه الالوهية التي أثبتها الله تعالى لنفسه ونفاها عن محمد (ص) وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل

فاعلم أن هذه الالوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية. والاله معناه الولي الذي فيه السر وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ ويسمونه العامة السيد وأشباه هذا [2] وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن يلتجيء الانسان اليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله

فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا انهم وسائطهم هم الذين يسمونهم الاولون الآلهة والواسطة هو الاله فقول الرجل لا اله الا الله ابطال للوسائط

واذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بامرين

---

(١) لم يفسر الاثبات كما فسر النهي اما لظهوره واما للعلم به مما بعده هذا إذا لم يسقط من الناسخ

«٢» أي كالوسيلة . وهذا تفسير من الشيخ تفسير مراد لا تفسير لغة فمن المعلوم المشهور الذي قرره هو وغيره ان معنى الاله في المعبود ، وكل معبود ولي وسيد لعابده ولكن ما كل ولي وسيد إلها ولا معبودا ولما كان الذين غلوا في تعظيم الاولياء وشيوخ الطريق وأئمة آل البيت من السادة قد عبدوهم بدعائهم حتى في الشدائد والطواف بقبورهم وذبح القرابين لهم وكانوا يجهلون انهم بهذ قد اتخذوهم آلهة اقتصر الشيخ رحمه الله هنا على هذا التفسير

(الاول) ان تعرف ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله (ص) وقتلهم ونهب أموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الامور الا الله وحده كما قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمّن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله) يونس ٣١

وهذه مسئلة عظيمة مهمة وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله ومقرون به ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الاسلام ولم يحرم دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضا يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله عز وجل ولكن (الامر الثاني) هو الذي كفرهم وأحل دماءهم وأموالهم وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الالوهية وهو أنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد كفر ومن نذر لغيره فقد كفر وأشباه ذلك

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله (ص) كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الاولياء فكفروا بهذا مع اقرارهم بان الله هو الخالق الرازق المدبر

اذا عرفت هذا عرفت معنى لا اله الا الله وعرفت أن من نحا نحيا أو ملكا أو ندبه أو استغاث به فقد خرج من الاسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله (ص)

فان قال قائل من المشركين نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لكنْ هؤلاء الصالحون يمكن أن يكونوا مقربين ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة والا نحن نفهم أن الله هو الخالق المدبر ، فقل كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله فانهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والاولياء يريدون ذلك كما قال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياءما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)

فاذا تأملت هذا تأملا جيدا وعرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية وهو تفرده بالخلق والرزق والتدبير وهم ينحون عيسى والملائكة والاولياء يقصدون أنهم يقربونهم الى الله زلفى ويشفعون عنده ، وعرفت أن من الكفار خصوصا النصارى منهم من يعبد الله الليل والنهار ويزهد في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلا في صومعة عن الناس وهو مع هذا كافر عدو لله مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الاولياء يدعوه أو يذبح له أو ينذر له ـ تبين لك كيف صفة الاسلام الذي دعا اليه نبيك (ص) وتبين لك أن كثيراً من الناس عنه بمعزل وتبين لك معنى قوله ﷺ « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ »

فالله الله يا إخواني تمسكوا باصل دينكم ،وأوله وآخره وأسه ورأسه شهادة أن لا اله الا الله ، واعرفوا معناها وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم اخوانكم ولو كانوا بعيدين ،واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوا من

أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم أو قال ما علي منهم أو قال ما كلفني الله بهم فقد كذب هذا على الله وافترى فقد كلفه الله تعالى بهم وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا اخوانهم وأولادهم ، فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا . اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله تعالى في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفراً من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ قال الله تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم اذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ ولم يستغيثوا بهم بل أخلصوا لله وحده لا شريك له ، واستغاثوه وحده ، فاذا جاء الرخاء أشركوا ، وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة اذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير وأجل من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ فالله المستعان . وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل شمسان وادريس (ويقال له الاشقر) ويوسف وأمثالهم والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله اولا وآخراً وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين آمين

﴿ تمت ويليها رسالة الاربع القواعد له أيضا ﴾

الرسالة الرابعة[1]

(في أربع قواعد الدين * تميز بين المؤمنين والمشركين)

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة وأن يجعلك مباركا أينما كنت وأن يجعلك ممن اذا أعطي شكر، واذا ابتلي صبر، واذا أذنب استغفر، فان هذه الثلاث عنوان السعادة

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة ابراهيم أن تعبد الله مخلصا له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فاذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة، فاذا دخل الشرك فيها فسدت كالحدث اذا دخل في الصلاة كما قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر . أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) فاذا عرفت أن الشرك اذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن

[1] ذكرت هذه القواعد عينها في رسالة اخرى له مختصرة فاقتصرنا على المطولة لانها مشتملة على ما في المختصرة وزيادة في البيان والدلائل

يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه

(الاولى) أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار الذي يدبر جميع الامور وما أدخلهم ذلك في الاسلام . والدليل قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض ، أمن يملك السمع والابصار ،ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي،ومن يدبر الامر؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)

(القاعدة الثانية) انهم يقولون ماتوجهنا اليهم ودعوناهم الا لطلب القربة والشفاعة نريد من الله لا منهم لكن بشفاعتهم والتقرب اليهم ودليل القربة قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون. ان الله لايهدي من هو كاذب كفار) ودليل الشفاعة قوله تعالى (ويعبدن من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالي عما يشركون)

(القاعدة الثالثة) أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم منهم من يعبد الشمس والقمر ، ومنهم من يعبد الصالحين،ومنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الانبياء ومنهم من يعبد الاشجار والاحجار وقاتلهم ﷺ وما فرق بينهم. والدليل قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله) ودليل الشمس والقمر قوله تعالى(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم إياه تعبدون)ودليل الصالحين قوله تعالى(قل ادعوا

الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه . إن عذاب ربك كان محذورا) ودليل الملائكة قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون *قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون * فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) ودليل الانبياء قوله تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب *ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) ودليل الاشجار والاحجار حديث أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال ﷺ «الله أكبر انها السنن قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون *ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين)

(القاعدة الرابعة) ان مشركي زماننا أعظم شركا من الأولين لأن

الاولين كانوا يخلصون لله في الشدة ويشركون في الرخاء ومشركي زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة. والدليل قوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون *ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون) والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تمت ويليها رسالة للشيخ محمد أيضا كتبها رحمه الله تعالى للعامة ﴾

الرسالة الخامسة

« في تلقين أصول العقيدة للعامة بالاسئلة والاجوبة »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إذا قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله . فاذا قيل لك إيش معنى الرب ؟ فقل المعبود المالك المتصرف . فاذا قيل ايش اكبر ما ترى من مخلوقاته ؟ فقل السموات والارض . فاذا قيل لك ايش تعرفه به ؟ فقل أعرفه بآياته ومخلوقاته . واذا قيل لك ايش أعظم ماترى من آياته ؟ فقل الليل والنهار ، والدليل على ذلك قوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمسَ والقمر والنجوم مسخرات بامره ، ألا له الخلق والامر تبارك رب العالمين) فاذا قيل لك ايش معنى الله ؟ فقل معناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، فاذا قيل لك لاي شيء الله خلقك ؟ فقل لعبادته . فاذا قيل لك أي شيء عبادته ؟ فقل توحيده وطاعته ، فاذا قيل لك أي شيء الدليل على ذلك ؟ فقل قوله تعالى (وماخلقت الجن والانس

إلا ليعبدون) ، واذا قيل لك أي شيء أول ما فرض الله عليك ؟فقل كفر بالطاغوت وإيمان بالله ، والدليل على ذلك قوله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقداستمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم) فاذا قيل أيش العروة الوثقى ؟ فقل لا إله الا الله ، ومعنى (لا إله) نفي و (الا الله) اثبات . فاذا قيل لك إيش أنت نافي [١] وايش أنت مثبت ؟ فقل نافي جميع ما يعبد من دون الله ومثبت العبادة لله وحده لا شريك له ، فاذا قيل لك أيش الدليل على ذلك ؟ فقل قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه إنني براءمما تعبدون) هذا دليل النفي ودليل الاثبات (الا الذي فطرني)

فاذا قيل لك إيش الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الآلهية ؟ فقل توحيد الربوبية فعل الرب مثل الخلق والرزق والاحياء والاماتة وانزال المطر ، وانبات النباتات، وتدبير الامور ،وتوحيد الآلهية فعلك يا العبد [٢] مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والانابة والرغبة والرهبة والنذر والاستغاثة وغيرذلك من أنواع العبادة

فاذا قيل لك ايش دينك فقل ديني الاسلام وأصله وقاعدته امران (الاول) الامر بعبادة الله وحده لاشريك له ، والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه والانذار عن الشرك في عبادة الله ،والتغليظ

« ١ » كذا فى الاصل والظاهر ان الشيخ تعمد اثبات الياء لانه لغة العامة الذين كتب الرسالة لهم

« ٢ » كذا فى الاصل وهو لغة العامة يدخلون حرف النداء على المعرف باللام والفصيح ان يقال : فعلك ايها العبد ولكن الشيخ متعمد للغة العامة كما تقدم نظيره

في ذلك والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله وهو مبني على خمسة أركان شهادة ان لا إله الا الله، وان محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ،وايتاءالزكاة وصوم رمضان وحج البيت مع الاستطاعة ، ودليل الشهادة قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم) ودليل ان محمدا رسول الله قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) والدليل على اخلاص العبادة والصلاة والزكاة قوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) ودليل الصوم قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) ودليل الحج قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين)

وأصول الايمان ستة : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، والاحسان أن تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

فاذا قيل من نبيك؟ فقل محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم، وهاشم من قريش وقريش من العرب والعرب من ذرية اسماعيل بن ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، بلده مكة ،وهاجر الي المدينة ، وعمره ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا رسولا ، نبيء باقرأ ، وارسل بالمدثر . فاذا قيل هو مات أو مامات؟ فقل مات ودينه مامات(١) الى يوم القيمة والدليل قوله تعالى (انك ميت وانهم

«١» لعله سقط من هنا : ولا يموت ـ اولن يموت لان الغاية متعلقة بالمستقبل

ميتون * ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون) والناس اذا ماتوا يبعثون ؟ فقل نعم والدليل قوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) والذي ينكر البعث كافر ، والدليل قوله تعالى (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً :

﴿ تمت وبعدها ثلاث مسائل للشيخ محمد أيضا رحمه الله تعالى ﴾

الرسالة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)

اعلم رحمك الله تعالى أنه واجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاث مسائل

(المسئلة الاولى) أن الله خلقنا ولم يخلقنا عبثاً ، ولم يتركنا هملا ، بل أرسل الينا رسولا ومعه كتاب من أطاعه فهو في الجنة ، ومن عصاه فهو في النار ، والدليل قوله تعالى (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا)

(المسئلة الثانية) أن أعظم ماجاء به هذا الرسول أن لا يشرك مع الله في عبادته أحد ، والدليل قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)

(المسئلة الثالثة) أن من وحد الله تعالى وعبد الله تعالى لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ، أو اخوانهم أو

عشيرتهم ، والدليل قوله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا ان حزب الله هم المفلحون) تمت

﴿ تمت ويليها رسالة الطاغوت له رحمه الله تعالى ﴾

الرسالة السابعة

(في معنى الطاغوت ورءوس أنواعه)

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله تعالى أن أول مافرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والايمان بالله والدليل قوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

فأما صفة الكفر بالطاغوت فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم

وأما معنى الايمان بالله فأن تعتقد أن الله هو الاله المعبود وحده دون من سواه وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الاخلاص وتواليهم ، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم . وهذه ملة ابراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها ، وهذه هي الاسوة التي أخبر الله بها في قوله (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا

لقومهم انا برءاؤامنكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) والطاغوت عام في كل ماعبد من دون الله ورضي بالعبادة فهو طاغوت[1] من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت [1] والطواغيت كثيرة ورءوسهم خمسة

(الاول) الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله والدليل قوله تعالى (ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين)

(الثاني) الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالي والدليل قوله تعالي (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلي الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً)

(الثالث) الذي يحكم بغير ماأنزل الله والدليل قوله تعالي (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

(الرابع) الذي يدعي علم الغيب من دون الله والدليل قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) وقال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)

«١» كذا فى الأصلين المخطوط والمطبوع . والظاهر ان فيه غلطا من الناسخ وان أصله : فكل ماعبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود او متبوع أومطاع فى غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت

(الخامس) الذى يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة والدليل قوله تعالى (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين) واعلم أن الانسان مايصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت والدليل قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم) الرشد دين محمد ﷺ والغي دين أبي جهل ، والعروة الوثقى شهادة أن لا اله الا الله وهي متضمنة للنفي والاثبات تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لاشريك له

الرساله الثامنة

(في الاصول الثلاثة الواجبه على كل مسلم ومسلمة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول وهي : معرفة ربه ودينه ونبيه ﷺ

﴿ الاصل الاول ﴾ إذا قيل لك من ربك؟ فقل : ربي الذي ربانى بنعمته وخلقني من عدم إلى وجود . والدليل قوله تعالى (ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) وإذا قيل لك بأي شيء عرفت ربك؟ فقل عرفته بآياته ومخلوقاته ، فأما الدليل على آياته فقوله تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) ودليل مخلوقاته قوله تعالى (ان ربكم الله

الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) وإذا قيل لك لاي شيء خلقك الله له ؟ فقل : خلقني لعبادته وطاعته واتباع أمره واجتناب نهيه ،ودليل العبادة قوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)ودليل الطاعة قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول)يعني كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . واذا قيل لك أي شيء أمرك الله به ونهاك عنه ؟ فقل : أمرني بالتوحيد ونهاني عن الشرك ودليل الامر[1] قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) ودليل النهي عن الشرك قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)

﴿ الاصل الثاني ﴾ اذا قيل لك مادينك ؟ فقل ديني الاسلام وهو الاستسلام والاذعان والانقياد الى الله تعالى والدليل قوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام * ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وهو مبني على خمسة أركان أولها شهادة أن لا

« ١ » قد جمع الامر والنهي في قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا)وايراد الشيخ الامر بالعدل دليلا على التوحيد مبني على قول بعض المفسرين ان العدل هو الوسط في الامور كلها فالتوحيد وسط بين التعطيل وتعدد الآلهة الخ (راجع البيضاوي)

اله الا الله وأن محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا . فأما دليل الشهادة فقوله تعالى (شهد الله أنه لااله الا هو ، والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) ودليل ان محمداً رسول الله قوله تعالى (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ودليل الصلاة قوله تعالى (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) ودليل الزكاة قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم) ودليل الصوم قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) واذا قيل لك الصيام شهر ؟ فقل نعم والدليل قوله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) الآية واذا قيل لك الصيام في الليل أو في النهار ؟ فقل في النهار والدليل قوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل) ودليل الحج قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين)

واذا قيل لك وما الايمان ؟ فقل أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى. والدليل قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) ودليل القدر قوله تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر)

واذا قيل لك ماالاحسان ؟فقل أن تعبدالله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، والدليل قوله تعالى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وإذا قيل لك منكر البعث كافر ؟ فقل نعم والدليل قوله تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير)

﴿الاصل الثالث﴾ اذا قيل لك من نبيك فقل محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ،وقريش من كنانة وكنانة من العرب والعرب من ذرية اسماعيل واسماعيل من ابراهيم الخليل وابراهيم من نوح ونوح من آدم وآدم من تراب والدليل قوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)

واذا قيل لك من أول الرسل فقل أولهم نوح وآخرهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ، والدليل قوله تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده)واذا قيل لك بينهم رسل فقل نعم ، والدليل قوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

واذا قيل لك محمد بشر فقل نعم والدليل قوله تعالى (انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) .

واذا قيل لك محمد عبد فقل نعم والدليل قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله)

واذا قيل لك كم عمره ؟ فقل ثلاث وستون سنة أربعون منها قبل النبوه وثلاث وعشرون نبي ورسول نبي باقرأ وأرسل بالمدثر .وخرج على الناس

فقال « يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا» فكذبوه وآذوه وطردوه وقالوا ساحر كذاب فنزل الله عليه (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) بلده مكة وولد فيها وهاجر الى المدينة وبها توفي دفن جسمه وبقي علمه نبي لا يعبد ، ورسول لا يكذب ، بل يطاع ويتبع

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه اجمعين

وبعدها رسالة للشيخ محمد أيضا

الرسالة التاسعة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(فان قيل) فما الجامع لعبادة الله وحده؟ قلت طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. فان قيل فما أنواع العبادة التي لا تصلح الا لله تعالى؟ قلت من أنواعها الدعاء والاستعانة والاستغاثة وذبح القربان والنذر والخوف والرجاء والتوكل والانابة والمحبة والخشية والرغبة والرهبة والتاله والركوع والسجود والخشوع والتذلل والتعظيم الذي هو من خصائص الآلهية ودليل الدعاء قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الى قوله (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)

ودليل الاستعانة قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) ودليل الاستغاثة قوله تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) ودليل الذبح

قوله تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ودليل النذر قوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) ودليل الخوف قوله تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) ودليل الرجاء قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ودليل التوكل قوله تعالى (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) ودليل الانابة قوله تعالى (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له) ودليل المحبة قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) ودليل الخشية قوله تعالى (فلا تخشوا الناس واخشون إن كنتم مؤمنين) ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) ودليل التأله قوله تعالى (والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) ودليل الركوع والسجود قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) ودليل الخشوع قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) الآية ونحوها فمن صرف شيئا من هذه الانواع لغير الله تعالى فقد أشرك بالله غيره

(فان قيل) فما أجل أمرٍ أمرَ الله به وقيل توحيده بالعبادة وقد تقدم بيانه، وأعظم نهيٍ نهى الله عنه الشرك به وهو أن يدعو مع الله غيره أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة . فمن صرف شيئا من أنواع العبادة

لغير الله تعالى فقد اتخذه ربا والها وأشرك مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة . وقد تقدم من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه وأنكره على المشركين . وقد قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) وقال تعالى (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) والله أعلم

﴿ تمت رسائل الشيخ المتعلقة بالعقائد من هذه المجموعة ﴾

ويليها أربع رسائل أخرى في الاحكام العملية والردة وبعض فوائد التفسير

الرسالة الاولى

في أحكام الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ بابُ: شروط الصلاة تسعة ﴾ الاسلام والعقل والتمييز والطهارة وستر العورة واجتناب النجاسة والعلم بدخول الوقت واستقبال القبلة والنية بالقصد

﴿ باب: أركان الصلاة أربعة عشر ركنا ﴾ القيام مع القدرة وتكبيرة الاحرام وقراءة الفاتحة والركوع والرفع منه والاعتدال والسجود والرفع منه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة في الجميع والتشهد الاخير والجلوس له والتسليمة الاولى

﴿ باب : مبطلات الصلاة ثمانية ﴾ الكلام العمد والضحك والاكل والشرب وكشف العورة والانحراف عن جهة القبلة والعبث الكثير وحدوث النجاسة

﴿ باب : واجبات الصلاة ثمانية ﴾ التكبيرات غير تكبيرة الاحرام (الثاني) قول سمع الله لمن حمده لامام ومنفرد (الثالث) قول ربنا ولك الحمد (الرابع) تسبيح الركوع (الخامس) تسبيح السجود (السادس) قول رب اغفر لي بين السجدتين والواجب مرة (السابع) التشهد الاول لانه عليه السلام فعله وداوم على فعله وأمر به وسجد للسهو حين نسيه (الثامن) الجلوس له

﴿ باب: فرائض الوضوء ستة أشياء ﴾ غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح جميع الرأس وغسل الرجلين الي الكعبين والترتيب والموالاة

﴿ باب : شروط الوضوء خمسة ﴾ ماء طهور وكون الرجل مسلماً مميزا وعدم المانع ووصول الماء الى البشرة ودخول الوقت في دائم الحدث

﴿ باب : نواقض الوضوء ثمانية ﴾ الخارج من السبيلين ، والخارج الفاحش من البدن وزوال العقل بنوم أو غيره ولمس المرأة بشهوة ومس الفرجين من الآدمي وغسل الميت وأكل لحم الجزور والردة عن الاسلام أعاذنا الله منها والله أعلم

الرسالة الثانيه

فى الكلام على بعض فوائد سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) قال الشيخ رحمه الله تعالى تضمنت ثلاث آيات ثلاث مسائل

(الآية الاولى) فيها المحبة أن الله منعم والمنعم يحب على قدر انعامه والمحبة تنقسم على أربعة أنواع محبة شركية وهم الذين قال الله فيهم (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) الى قوله (وماهم بخارجين من النار) المحبة الثانية حب الباطل وأهله ، وبغض الحق وأهله وهذه صفة المنافقين . المحبة الثالثة طبيعية وهي محبة المال والولد . اذا لم تشغل عن طاعة الله ولم تعن على محارم الله فهي مباحة (والمحبة الرابعة) حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك وهي أوثق عرى الايمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه

(الآية الثانية) فيها الرجاء (والآية الثالثة) فيها الخوف

(إياك نعبد) أي أعبدك يارب بما مضى بهذه الثلاث بمحبتك ورجائك وخوفك فهذه الثلاث أركان العبادة ، وصرفها لغير الله شرك ، وفي هذه الثلاث الرد على من تعلق بواحدة منهن كمن تعلق بالمحبة وحدها أو تعلق بالرجاء وحدها او تعلق بالخوف وحده فمن صرف واحدة منهن لغير الله فقد اشرك ، وفيها من الفوائد الرد على الثلاث الطوائف التي كل طائفة تتعلق بواحدة

منها كمن عبد الله تعالى بالمحبة وحدها ، وكذلك من عبد الله بالرجاء وحده كالمرجئة ، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده كالخوارج

(إياك نعبد وإياك نستعين) فيها توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية

(اهدنا الصراط المستقيم) فيها الرد على المبتدعين

وأما الآيتان الاخيرتان ففيهما من الفوائد ذكر أحوال الناس. قسمهم الله تعالى ثلاثة أصناف : منعم عليه، ومغضوب عليه، وضال. فالمغضوب عليهم أهل علم ليس معهم عمل ، والضالون أهل عبادة ليس معها علم ، وان كان سبب النزول في اليهود والنصارى فهي لكل من اتصف بذلك (الثالث) من اتصف بالعلم والعمل وهم المنعم عليهم

وفيها من الفوائد التبري من الحول والقوة لانه منعم عليه، وكذلك فيها معرفة الله على التمام ونفي النقائص عنه تبارك وتعالى ، وفيها معرفة الانسان ربه ومعرفة نفسه فانه اذا كان هنا رب فلا بد من مربوب ، واذا كان هنا راحم فلا بد من مرحوم ، واذا كان هنا مالك فلا بد من مملوك ، واذا كان هنا عبد فلا بد من معبود ، واذا كان هنا هاد فلا بد من مهدي ، واذا كان هنا منعم فلا بد من منعم عليه ، وإذا كان هنا مغضوب عليه فلا بد من غاضب

فهذه السورة تضمنت الالوهية والربوبية ، ونفي النقائص عن الله عزوجل وتضمنت معرفة العبادة وأركانها. والله أعلم



الرسالة الثالثة

في نواقض الاسلام

ويليها عشر درجات تتعلق ببطلان الشرك ومعاملة أهله ، وثمان حالات لاقامة دين الحنيفية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اعلم ان نواقض الاسلام عشرة نواقض (الاول) الشرك في عبادة الله تعالى قال الله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (وقال) ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر

(الثاني) من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعا (الثالث)من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر (الرابع) من اعتقد ان غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو ان حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر (الخامس) : من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر . (السادس) من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر والدليل قوله تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ؟ لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) (السابع) السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر . والدليل قوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا

تكفر) (الثامن) مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدي القوم الظالمين) (التاسع) من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر (العاشر) الاعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى (ومن أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه ثم أعرض عنها؟ انا من المجرمين منتقمون) ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد ، والخائف الا المكره وكلها من أعظم مايكون خطراً ، وأكثر ما يكون وقوعا ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم

***

(وبعد)فهذه عشر درجات قالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أيضاً في قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) فهذا كلام وجيز يبين غربة الدين لمن تدبره وهي عشر درجات (الاولى) تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة [1] وقد خالف فيها من خالف (الثانية) انها منكر يجب فيها البغض ، وقد خالف فيها من خالف (الثالثة) انها من الكبائر والعظائم المستحقة المقت والمفارقة وقد خالف فيها من خالف (الرابعة) ان هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره ، وقد خالف فيها من خالف (الخامسة) ان المسلم اذا اعتقده أو دان به كفر وقد خالف فيها من خالف (السادسة) ان

(١) المراد بدعوة غير الله دعاؤه بأن يطلب منه ما لا يطلب الا من الله تعالى وهو استعمال عربي فصيح

المسلم الصادق اذا تكلم به هازلا أو خائفاً أو طامعاً كفر بذلك لعلمه، وأين ينزل القلب هذه الدرجة ويصدقه بها ؟ وقد خالف فيها من خالف (السابعة) انك تعمل معه عملك مع الكفار من عداوة الاب والابن وغير ذلك وقد خالف فيها من خالف (الثامنة) ان هذا معنى «لا اله الا الله والاله» هو المألوه والتأله عمل من الاعمال ، وكونه منفيا عن غير الله ترك من التروك (التاسعة) القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله (العاشرة) ان الداعي لغير الله لا تقبل منه الجزية كما تقبل من اليهود ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود ، لانه أغلظ كفرا . وكل درجة من هذه الدرجات اذا عملت بها تخلف عنك بعض من كان معك والله أعلم

(قوله) عند كل درجة وقد خالف فيها من خالف ـ أناس يعتقدون ان دعوة غير الله جائزة والرسول ومن آمن به مخالفون لهم ، وناس ما يكفرون بالطاغوت ولا يبغضونه والرسول وأتباعه مخالفون لهم بل ملة ابراهيم هي الكفر بالطاغوت والايمان بالله وهكذا سائر الدرجات والله أعلم

وبعدها كلام للشيخ رحمه الله تعالى على قوله تعالى (قل يا أيها الناس) الآية وفيها ثمان حالات

قوله تعالى (قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم . وأمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين * ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) وقوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيه ثمان حالات .

(الاولى) ترك عبادة غير الله مطلقا ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل كما جرى لسعد رضي الله عنه مع امه

(الحالة الثانية) ان كثيراً من الناس اذا عرف الشرك وأبغضه وتركه لا يقطن بما يريد الله من اجلاله ورهبته فذكر هذه الحالة بقوله (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم)

(الحالة الثالثة): ان قدرنا انه ظن وجود الترك والفعل فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ولو لم يقض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلد كثيرة فيها من الطواغيت الذين يبلغون الغاية في العداوة حتى يصرح انه من هذه الطائفة المحاربة لهم

(الحالة الرابعة) ان قدرنا انه ظن وجود هذه الثلاث فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين ، والجد والصدق هو اقامة الوجه للدين

(الحالة الخامسة) ان قدرنا انه ظن وجود الحالات الاربع فلا بد من مذهب ينتسب إليه فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية ، وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحا ففي الحنيفية عنه غنية

(الحالة السادسة) ان قدرنا انه ظن وجود الحالات الست (١) فقد يدعو من غير قلبه نبيا أو غير شيء من مقاصد ولو كان دينا يظن انه ان نطق

«١» قد كتب في حاشية الاصل الذي جاءنا من نجد بازاء هذه الحالة: كذا في الاصل. وذلك ان الكلام فيها لا يكاد يفهم. ولا شك ان في الكلام تحريفا وسقطا والظاهر ان سبب مثل هذا الغلط والاضطراب في هذه الرسالة وغيرها من هذه الرسائل المختصرة ان بعض العوام نقلها عن بعض ولم توجد نسخة صحيحة بخط المؤلف او بعض اولاده العلماء يرجع اليها. وقد حرص الامام على ان يطبع الموجود كما وجد حتى لا يضيع منه شيء

بذلك من غير قلبه لاجل كذا وكذا خصوصا عند الخوف انه لا يدخل في هذا
(الحالة الثامنة) ان ظن سلامته من ذلك لكن غيره من اخوانه فعله
خوفا أو لغرض من الاغراض هل يصدق الله ان هذا ولو كان أصلح الناس
قد صار من الظالمين، أو يقول كيف يكفر فهو يحب الدين ويبغض الشرك؟
وما أعز من يتخلص من هذا بل ما أعز من يفهمه وان لم يعمل به، بل ما أعز
من لا يظنه جنونا والله اعلم

الرسالة الرابعة

في ستة أصول عظيمة مفيدة جليلة للشيخ محمد بن عبد الوهاب
قدس الله روحه ونور ضريحه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب امام الدعوة الاسلامية، وحامي حمى
الملة الحنيفة .

من أعجب العجاب، واكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب
ستة أصول بينها الله تعالى بيانا واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون
ثم بعد هذا غلط فيها أذكياء العالم، وعقلاء بني آدم الا أقل القليل

(الاصل الاول) اخلاص الدين لله تعالى وحده لاشريك له، وبيان
ضده الذي هو الشرك بالله وكون أكثر القرآن في بيان هذا الاصل من
وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم صار على أكثر الامة ما صار : أظهر
لهم الشيطان الاخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم

وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم

(الاصل الثاني) أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فبين الله هذا بيانا شافيا تفهمه العوام ، ونهانا ان نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا. وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه. ويزيده وضوحا ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك ، ثم صار الامر الى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الامر بالاجتماع لا يقوله الا زنديق أو مجنون

(الاصل الثالث) أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدا حبشيا فبين النبي ﷺ هذا بيانا شائعا ذائعا بكل وجه من أنواع البيان شرعا وقدرا ثم صار هذا الاصل لا يعرف عند اكثر من يدعي العلم فكيف العمل به؟

(الاصل الرابع) بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء ، وبيان من تشبه بهم وليس منهم، وقد بين الله تعالى هذا الاصل في أول سورة البقرة من قوله (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم — الى قوله قبل ذكر ابراهيم عليه السلام — يابني اسرائيل) الآية ويزيده وضوحا ما صرحت به السنة في هذا من الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد ، ثم صار هذا أغرب الاشياء وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم

(الاصل الخامس) بيان الله سبحانه لاولياء الله وتفريقه بينهم وبين

المتشبهين بهم من أعداء الله والمنافقين والفجار. ويكفي في هذا آية في آل عمران وهي قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية، وآية في المائدة وهي قوله (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآية، وآية في يونس وهي قوله (إلا إن اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون) ثم صار الامر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع الى أن الاولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل، ومن تبعهم فليس منهم يارينا نسألك العفو والعافية انك سميع الدعاء

(الاصل السادس) رد السنة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتباع الاراء والاهواء المتفرقة المختلفة، وهي أي السنة التي وضعها الشيطان هي أن القرآن والسنة لا يعرفهما الا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافا لعلها لاتوجد تامة في أبي بكر وعمر فان لم يكن الانسان كذلك فليعرض عنهما فرضا حتما لاشك ولا اشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو اما زنديق وإما مجنون لأجل صعوبتهما

سبحان الله وبحمده والامر بردهذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت الى أمر الضروريات العامة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون * لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

بضع رسائل

أخرى

في التوحيد والإيمان وما يتعلق بهما

لبعض أحفاد الشيخ محمد عبد الوهاب

وغيرهم من علماء نجد

رضي الله عنهم اجمعين

آمين

الرسالة الاولى

﴿ في أصل دين الاسلام وقاعدته ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ المجدد الامام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى أجمعين.

قوله(١) أصل دين الاسلام وقاعدته أمران

(الاول) الامر بعبادة الله تعالى وحده لاشريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه : قلت وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر كقوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) الآية أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب الى معنى لااله الا الله الذي دعا اليه العرب وغيرهم والكلمة هي لااله الاالله ففسرها بقوله (انلا نعبد الا الله) فقوله (أن لا نعبد) فيه معنى (لااله)وهي نفي العبادة عما سوى الله تعالى. قوله (الا الله) هو المستثنى في كلمة الاخلاص فامره تعالى أن يدعوهم الى قصر العبادة عليه وحده ونفيها عمن سواه ومثل هذه الآية كثير يبين أن الالهية هي العبادة وأنها لايصلح منها شيء لغير الله قال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه) معنى قضى أمر ووصى قولان ومعناهما واحد، وقوله (أن لا تعبدوا) فيه معنى (لااله) وقوله (الا اياه) فيه معنى (الا الله) وهذا هو توحيد العبادة وهو دعوة الرسل اذقالوا لقومهم (ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره

(١) ينظر مرجع الضمير هنا وفيما بعده من أمثاله

فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً، والبراءة منه وممن فعله كما قال تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام (اذ قال لابيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله وقال عنه عليه السلام (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما كما صرح به في قوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) والذين معه هم الرسل كما ذكره ابن جرير

وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا رحمه الله تعالى من التحريض على التوحيد ونفي الشرك والموالاة لاهل التوحيد وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له، فان من فعل الشرك فقد ترك التوحيد فانهما ضدان لا يجتمعان فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد، وقد قال تعالى في حق من أشرك (وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) فكفره تعالى باتخاذ الانداد وهم الشركاء في العبادة وأمثال هذه الآيات كثير، فلا يكون المرء موحداً الا بنفي الشرك والبراءة منه وتكفير من فعله

ثم قال رحمه الله تعالى (الثاني) الانذار عن الشرك في عبادة الله تعالى والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله فلا يتم مقام التوحيد الا بهذا وهو دين الرسل أنذروا قومهم عن الشرك كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون)

وقال تعالى (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا الا الله)

(قوله في عبادة الله) العبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة (قوله والتغليظ في ذلك) وهذا موجود في الكتاب والسنة كقوله تعالى (ففروا الى الله إني لكم منه نذير مبين* ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين) ولولا التغليظ لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ماجرى من الاذى العظيم كما هو مذكور في السير مفصلا فانه بادأهم بسب دينهم وعيب آلهتهم

(قوله رحمه الله تعالى والمعاداة فيه) كما قال (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) والآيات في هذا كثيرة جداً كقوله (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله) والفتنة الشرك ،ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لايحصى من الآيات فلابد من تكفيرهم أيضاً هذا هو مقتضى لا اله الا الله كلمة الاخلاص فلا يتم معناها الا بتكفير من جعل لله شريكا في عبادته كما في الحديث الصحيح «من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»

(فقوله وكفر بما يعبد من دون الله) تأكيد للنفي فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك فلو شك أو تردد لم يعصم دمه وماله فهذه الامور هي تمام التوحيد لأن لا إله إلا الله قيدت في الاحاديث بقيود ثقال بالعلم والاخلاص والصدق واليقين وعدم الشك فلا يكون المرء موحدا إلا باجتماع هذا كله واعتقاده وقبوله ومحبته والمعاداة فيه والموالاة فبمجموع ما ذكره شيخنا رحمه الله يحصل ذلك

ثم قال رحمه الله تعالى: والمخالف في ذلك أنواع فاشدهم مخالفة من خالف في الجميع فقبل الشرك واعتقده دينا ،وأنكر التوحيد واعتقده باطلا كما هو حال الاكثر ، وسببه الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد وما ينافيه من الشرك والتنديد،واتباع الاهواء، وماعليه الاباء ، كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل ،فرموا أهل التوحيد بالكذب والزور ، والبهتان والفجور ،وحجتهم (إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون)

وهذا النوع من الناس والذين بعدهقد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الاخلاص ، وما وضعت له ، وما تضمنته من الدين الذي لا يقبل الله دينا سواه ، وهو دين الاسلام الذي بعث الله به جميع أنبيائه ورسله واتفقت دعوتهم عليه كما لا يخفى فيما قص الله عنهم في كتابه

ثم قال رحمه الله تعالى: ومن الناس من عبد الله وحده ،ولم ينكر الشرك ولم يعاد أهله .(قلت) ومن المعلوم أن من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ولم يأت به،وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك والكفر بالطاغوت المذكور في الاية ، ثم قال رحمه الله ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم فهذا النوع أيضا لم يأت بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك وما تقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان اجماعا ، وهو مضمون سورة الاخلاص و (قل يا أيها الكافرون) وقوله في آية الممتحنة(كفرنا بكم)ومن لم يكفر من كفره القرآن فقد خالف ماجاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه

فالجواب ان من لم يحب التوحيد لم يكن موحداً لانه هو الدين الذي

رضيه الله لعباده كما قال تعالى (ورضيت لكم الاسلام دينا) فلو رضي بما رضي به الله تعالى وعمل به لأحبه ولا بد من المحبة لعدم حصول الاسلام بدونها فلا اسلام الا بمحبة التوحيد

قال الشيخ أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى: الاخلاص محبة الله وارادة وجهه فمن أحب الله تعالى أحب دينه ومن لا فلا ، والمحبة يترتب عليها كلمة الاخلاص وهي من شروط التوحيد

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه (قلت) ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته لا إله إلا الله من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه فهذا ليس من الاسلام في شيء أصلا، ولم يعصم دمه ولا ماله كما دل عليه الحديث المتقدم ، وقوله رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره ولم ينفه ، ولا يكون موحداً إلا من نفى الشرك وتبرأ منه وممن فعله وكفّرهم ، وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه لا إله إلا الله ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها فليس من الاسلام في شيء لانه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ويقين وصدق واخلاص ومحبة وقبول وانقياد ، وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء ، وإن قال لا إله الا الله فهو لا يعرف ما دلت عليه وما تضمنته

ثم قال رحمه الله تعالى ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره ، فأقول هذا كالذي قبله ، لم يرفعوا رأسا بما خلقوا له من الدين الذي بعث الله به رسله ، وهذه الحال حال من قال الله فيهم (ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا)

(وقوله) رحمه الله تعالى: ومنهم — وهو أشد الانواع خطرا — من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره، ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم. فقوله رحمه الله تعالى

وهو أشد الانواع خطراً لانه لم يعرف قدر ما عمل به ولم يأت بما يصحح توحيده من القيود الثقال التي لا بد منها لما علمت من أن التوحيد يقتضي نفي الشرك والبراءة منه ومعاداة أهله وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم . فهذا قد يغتر بحاله ، وهو لم يأت بما عليه من الامور التي دلت عليها كلمة الاخلاص نفياً واثباتاً ، وكذلك قوله رحمه الله تعالى ومنهم من ترك الشرك وكرهه ولم يعرف قدره . فهذا أقرب من الذي قبله لكن لم يعرف قدر الشرك لانه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات ، كقول الخليل (انني براء مما تعبدون . الا الذي فطرني) وقوله (انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) فلا بد لمن عرف الشرك وتركه من ان يكون كذلك من الولاء والبراءة من العابد والمعبود ، وبغض الشرك وأهله وعداوتهم ، وهذان النوعان هما الغالب على أحوال كثير ممن يدعي الاسلام فيقع منهم من الجهل بحقيقة ما ينمع الاتيان بكلمة الاخلاص ، وما اقتضته على الكمال الواجب الذي يكون به موحداً . فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين

فاذا عرفت ان الله كفر أهل الشرك ووصفهم به في الايات المحكمات بقوله (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) وكذلك السنة

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : فأهل التوحيد والسنة يصدقون الرسل فيما أخبروا ، ويطيعونهم فيما أمروا ، ويحفظون ما قالوا ويفهمونه ويعملون به ، وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويجاهدون من خالفهم تقربا إلى الله وطلبا للجزاء من الله لا منهم ، وأهل

الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به ونهوا عنه ، ولا بين ما صح عنهم ولا ما كذب عليهم ، ولا يفهمون حقيقة مرادهم ، ولا يتحرون طاعتهم ، بل هم جهال بما أتوا به معظمون لاغراضهم

﴿ قلت ﴾ ماذكره شيخ الاسلام يشبه حال هذين النوعين الاخيرين بقي مسئلة حدثت تكلم فيها شيخ الاسلام ابن تيمية وهي عدم تكفير المعين ابتداء لسبب ذكره رحمه الله تعالى أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه . قال رحمه الله تعالى : ونحن نعلم بالضرورة ان النبي ﷺ لم يشرع لاحد أن يدعو أحداً من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها كما انه لم يشرع لامته السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك بل نعلم انه نهى عن هذه الامور كلها ، وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ﷺ ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه . انتهى

قلت : فذكر رحمه الله تعالى ما اوجب له عدم اطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة الا بعد البيان والاصرار فانه قد صار أمة واحدة ، ولان من العلماء من كفره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة فلا يمكنه أن يعاملهم إلا بمثل ما قال كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في ابتداء دعوته فانه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال : الله خير من زيد . تمرينا لهم على نفي الشرك بلين الكلام نظرا إلى المصلحة وعدم النفرة والله سبحانه وتعالى أعلم

الرسالة الثانية

(في الجواب عن أسئلة في الاسم والقضاء والقدر والاستواء على العرش الخ)

للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي الصادق الامين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

﴿ أما بعد ﴾ فقد وردت علينا أسئلة من (عمان) صدرت من جهمي ضال يستعجز بها بعض المسلمين فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم وما لا فائدة فيه لا يحتاج إلى الاشتغال بالجواب عنه . فمما ينبغي أن نجيب عنه قوله : ان الاسم مشتق من السمو أو السمة واشتقاق الاسم من هذين ذكره العلماء في كتبهم لكن يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق وما معنى الاشتقاق الذي يذكره العلماء فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين وان كانا مذكورين في كتب النحاة وغيرهم وقد ذكرته في فتح المجيد ، لشرح كتاب التوحيد

وأما سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر . فالقدر أصل من أصول الايمان كما في سؤال جبريل وما أجابه به رسول الله ﷺ حين سأله قال « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » وفي الحديث الصحيح « ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » أي جرى بما يكون

مما يعلم الله تعالى فانه تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين)

وأما القضاء فيطلق في القرآن ويراد به ايجاد المقدر كقوله (فقضاهن سبع سماوات في يومين) وقوله(فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الارض)الآية ويطلق ويراد به الاخبار بما سيقع مما قدر كقوله (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب)اخبرهم في كتابهم انهم يفسدون في الارض مرتين ، ويطلق ويراد به الامر والوصية كما قال (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) أي أمر ووصى ، ويطلق ويراد به الحكم كقوله(وقضي بينهم بالحق) ويطلق ويراد به القدر ونحو ذلك

وأما ما تزعمه من أن الأدلة الدالة على استوائه سبحانه على عرشه لا تمنع أن يكون مستويا على غيره ، فالجواب أن نقول : قد أجمع أهل السنة والجماعة قديما وحديثا على أنه لا يجوز أن يوصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله ﷺ ومن وصفه بغير ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فهو جهمي ضال مضل يقول على الله بلا علم . وقد ذكر سبحانه استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه في سورة الاعراف وفي سوره يونس وفي سورة الرعد وفي سورة طه وفي سورة الفرقان وفى سورة السجدة وفي سورة الحديد ، ولم يذكر تعالى انه استوى على غير العرش ولا ذكره رسوله ﷺ فعلم انه ليس من صفاته التي يجوز أن يوصف بها فمن أدخل في صفات الله ما لم يذكر في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فهو جهمي يقول على الله ما لا يعلم . وقد قال الله تعالى (تعرج الملائكة

والروح اليه * اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * يخافون ربهم من فوقهم * اني متوفيك ورافعك إلي * بل رفعه الله اليه * وهو العلي العظيم * وهو العلي الكبير) علو القدر وعلو القهر وعلو الذات لا يجوز أن يوصف إلا بذلك كله لكماله تعالى في أوصافه، فله الكمال المطلق في كل صفة وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ وقال تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش) فذكر العرش عند هذه الصفة من أدلة فوقيته تعالى كما هو صريح فيما تقدم من الآيات وكقوله تعالى (تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم) الآية. وذكر النبي ﷺ في معنى قول الله تعالى (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) الآية « اللهم أنت الاول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء » فقوله « فليس فوقك شيء » نص في انه تعالى فوق جميع المخلوقات وهو الذي ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم في معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) ان معنى استوى: استقر وارتفع وعلا وكلها بمعنى واحد لا ينكر هذا إلا جهمي زنديق يحكم على الله وعلى أسمائه وصفاته بالتعطيل (قاتلهم الله أنى يؤفكون)

والنصوص الدالة على اثبات الصفات كثيرة جداً وقد صنف أهل السنة من المحدثين والعلماء مصنفات كبار، ومن ذلك كتاب السنة لعبد الله ابن الامام أحمد ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين والأئمة وكتاب التوحيد لامام الائمة محمد بن خزيمة، وكتاب السنة للاثرم صاحب الامام أحمد، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي، وكتاب السنة للخلال وكتاب العلو للذهبي وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ولله الحمد والمنة

ونذكر بعض الاحاديث الصريحة في المعنى فمن ذلك ما في الصحيح عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله ﷺ « اذا أراد الله تعالى أن يوحي بالامر (١) تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة ، أو قال رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا له سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر على سماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا ياجبريل ؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير . فيقولون مثل ما قاله جبريل فينتهي جبريل بالوحي الي حيث أمره الله عز وجل »

ففي هذا الحديث التصريح بان جبريل ينزل بالوحي من فوق السموات السبع فيمر بها كلها نازلا الى حيث أمره الله ، وهذا صريح بأن الله تعالى فوق السموات على عرشه بائن من خلقه كما قال عبد الله ابن المبارك لما قيل له بم نعرف ربنا ؟ قال بانه على عرشه بائن من خلقه ، وهذا قول أئمة الاسلام قاطبة خلافا للجهمية الحلولية والفلاسفة وأهل الوحدة وغيرهم من أهل البدع . فرحم الله أهل السنة والجماعة المتمسكين بالوحيين ، وصح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال « ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي

« ١ » كذا في الاصل وقوله « تكلم بالوحي » يوشك ان يكون قد سقط قبله « او اذا تكلم بالوحي » ففي شرح القسطلاني على البخاري مانصه : وفي حديث النواس بن سمعان عند الطبراني مرفوعاً « اذ تكلم الله بالوحي اخذت الملائكة رجفة شديدة من خوف الله » الخ وعزاه في فتح الباري الى ابن أبي حاتم وزاد بعد رجفة : او رعدة شديدة الخ وقد رواه غيرهما فلعل المصنف أشار الى لفظين في اوله. ومعناه في البخاري وغيره من حديث ابي هريرة واوله « اذا قضي الله الامر في السماء »

فهو عنده فوق العرش » وفي حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه أن النبي ﷺ ذكر سبع سموات وما بينهما ثم قال « وفوق ذلك بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ما بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ظهورهن العرش ما بين أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء والله تعالى فوق ذلك » وفي حديث ابن مسعود الذي رواه عبد الرحمن بن مهدي شيخ الامام احمد عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال « بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء الى سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله تعالى فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم » والجهمية جحدوا هذه النصوص وعاندوا في التكذيب فصاروا بذلك(١) كفاراً عند أكثر أهل السنة والجماعة ،

وهذا القدر الذي ذكرنا كاف في بيان ما عليه أهل السنة والجماعة من علو الله تعالى على جميع المخلوقات واستوائه على عرشه ، وقد تظاهرت

«١» اي بجملة ذلك ومجموعه من الآيات والاحاديث الصحيحة لا بكل واحد منه فان بعض هذه الروايات موقوف كحديث ابن مسعود وحديث العباس قبله ضعيف الاسناد ، وانما ذكرهما الشيخ وجده وغيرهما من العلماء لموافقتهما للمعنى الصحيح في اثبات علو الله تعالى فهو من باب التقوية المألوف عند العلماء : فمن اعترف بالمعنى الصحيح فيهما لا يكلف اعتقاد غير ذلك من معانيهما كمسافة الخمسمائة عام فاذا هو لم يثبتها لعدم صحة الحديث بها لا يكفر ولا يعد مبتدعا ولا يصدق عليه جحود النصوص والعناد في التكذيب وهما السببان اللذان ناط المؤلف بهما تكفير اهل السنة للجهمية

الادلة من الكتاب والسنة على ذلك ، ولو ذهبنا نذكر ما ورد في ذلك لاحتمل مجلداً فالحمد لله الذي حفظ على الامة دينها في كتابه وسنة رسوله ، وبنقل العلماء الذين هم في هذه الامة كانبياء بني اسرائيل ، وهدانا الى ذلك فابطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة حدثت في هذه الامة

فيالها من نعمة ما أجلها في حق من تلقى الحق بالقبول وعرفه ورضي به نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمه ، مثنين بها عليه فله الحمد لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يثني عليه خلقه

فاهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرف به اليهم من صفات كماله اللائقة بجلال الله فاثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، وعرفوه بافعاله وعجائب مخلوقاته ، وبما أظهره لهم من عظيم قدرته ، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه ، فعبدوا ربا أحداً صمداً إلها واحداً وهو الله الذي الالهية وصفه ، فالخلق خلقه والملك ملكه لاشريك له في الهيته ولا في ربوبيته ولا في ملكه تعالى وتقدس كما قال تعالى (قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس) ونزهوه عما ننزهه عنه وعن كل ما فيه عيب ونقص ، وعن كل ما وصفته الجهمية وأهل البدع مما لا يليق بجلاله وعظمته ، فعطلوه من صفات الكمال وصاروا انما يعبدون عدما لانهم وصفوه بما ينافي الكمال ويوقع في النقص العظيم ، فشبهوه بالناقصات تارة وبالمعدوم تارة : فهم أهل التشبيه كما عرفت من حالهم وضلالهم ومحالهم

* * *

وأما ما أورده هذا الجهمي الجاهل من آيات العلم كقوله (وهو معكم أينما كنتم) وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فلا منافاة

بين استوائه على عرشه واحاطة علمه بخلقه والسياق يدل على ذلك

(أما الآية الاولى) فهي مسبوقة بقوله تعالى (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) ذكر استواءه على عرشه وذكر احاطة علمه بما في الارض والسموات ثم قال (وهو معكم أينما كنتم) أي بعلمه المحيط بما كان وما يكون

(وأما الآية الثانية) فهي كذلك مسبوقة بالعلم وختمها تعالى به فقال (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) الى قوله (إن الله بكل شيء عليم)

فعلم أن المراد علمه بخلقه وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم كما قال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما)

وهذا المعنى الذي ذكرنا هو الذي عليه المفسرون من الصحابة والتابعين والائمة وجميع أهل السنة والجماعة

وأما الجهمية وأهل البدع فحرموا معرفة الحق لانحرافهم عنه وجهلهم به وبالقرآن والسنة كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا * تقييده بشرائع الايمان

ومن المعلوم أنه لا يقبل الحق الا من طلبه، وأما أهل البدع فاشربوا في قلوبهم ما وقعوا فيه من البدع والضلال وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

فاذا عرف ذلك فيتعين أن نسأل هذا الجهمي وغيره من المبتدعة

عن أمور لا يسع مسلما أن يجهلها لان الاسلام يتوقف على معرفتها فمن ذلك ما معنى كلمة الاخلاص « لا إله الا الله » وما الالهية المنفية بلا النافية للجنس وما خبرها وما معنى الالهية التي ثبتت لله وحده دون ما سواه وما أنواع التوحيد وألقابه وأركانه وما معنى الاخلاص الذي أمر الله به عباده وأخبرهم أنه له وحده ؟ وما تعريف العبادة التي خلقوا لها؟ وما أقسام العلم النافع الذي لا يسع أحداً جهله ؟ وما معنى اسم الله تعالى الذي لا يسمى بهذا الاسم غيره؟ وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه

فالجواب عن هذا هو المطلوب والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيد المرسلين وامام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا

الرسالة الثالثة

في أنواع التوحيد وأنواع الشرك للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد اعلم أرشدك الله تعالى أن الله خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) والعبادة هي التوحيد لان الخصومة بين الانبياء والامم فيه كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع توحيد الربوبية ، وتوحيد الالوهية وتوحيد الاسماء والصفات

أما توحيد الربوبية فهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ﷺ ولم يدخلهم في الاسلام وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم وهو توحيده بفعاله تعالى ، والدليل قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمّن يملك السمع والابصار؟ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ؟ومن يدبر الامر ؟فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون ؟ قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله. قل أفلا تذكرون؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله. قل أفلا تتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله. قل فانى تسحرون) والآيات على هذا كثيرة جدا أكثر من أن تحصر. واشهر من أن تذكر

(وأما الثاني) وهو توحيد الالوهية(١) فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والانابة ، ودليل الدعاء قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وكل نوع من هذه الانواع عليه دليل من القرآن وأصل العبادة تجريد الاخلاص لله تعالى وحده وتجريد المتابعة للرسول ﷺ قال تعالى(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى (له دعوة الحق ـ الى قوله ـ وما دعاء الكافرين

(١) في النسخة التي طبعناعنها (الاصل الثاني) وكذا (والاصل الثالث) وهو غلط من الناسخ بدليل قول المؤلف اولا: اما توحيد الربوبيه الخ وقوله في أخبار المبتدأ الثلاثة: فهو

الا في ضلال) وقال تعالى (ذلك بان الله هو الحق وان مايدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير) والآيات معلومات وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)

(واما الثالث) فهو توحيد الذات والاسماء والصفات وقال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وقال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) وقال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

ثم اعلم ان ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة أنواع ، شرك أكبر ، وشرك أصغر ، وشرك خفي ، والدليل على الشرك الاكبر قوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً * وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وهو أربعة أنواع

(النوع الاول) شرك الدعوة (١) والدليل قوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون)

(النوع الثاني) شرك النية والارادة والقصد . والدليل قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)

(١) أي الدعاء

(النوع الثالث) شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وتفسيرها الذي لا اشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لادعاؤهم اياهم كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال لسنا نعبدهم فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية

(النوع الرابع) شرك المحبة والدليل قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله)

(والنوع الثاني) شرك أصغر وهو الرياء والدليل قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)

(النوع الثالث) شرك خفي والدليل عليه قوله ﷺ « الشرك في هذه الامة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل» وكفارته قوله ﷺ « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم » (١)

فالكفر كفران: كفر يخرج من الملة وهو خمسة أنواع (النوع الاول) كفر التكذيب والدليل قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق

« ١ » هذا الدعاء ورد في حديث ابي بكر الصديق « رض» مرفوعا «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء اذا قلته اذهب عنك صغار الشرك وكباره : تقول : اللهم انى اعوذ بك ان اشرك بك وانا أعلم واستغفرك لما لا اعلم . تقولها ثلاث مرات » رواه ابن حبان في الضعفاء وهناد في الزهد والحكيم الترمذي في نوادر الاصول وابو يعلى وابن المنذر وابن السني في عمل اليوم والليلة. ضعفه ابن حبان والبيهقي وحسنه غيرهما، واول الحديث في لفظ المصنف رواه الحكيم ايضا

لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين؟)(النوع الثاني) كفر الإباء والاستكبار مع التصديق والدليل قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (النوع الثالث) كفر الشك وهو كفر الظن والدليل قوله تعالى (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدنّ خيراً منها منقلبا * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ؟ * لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً)(النوع الرابع) كفر الاعراض والدليل قوله تعالى (والذين كفروا عما أنذروا معرضون) (النوع الخامس) كفر النفاق والدليل قوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) وكفر أصغر لا يخرج من الملة وهو كفر النعمة والدليل قوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)

وأما النفاق فنوعان: اعتقادي وعملي فأما الاعتقادي فهو ستة أنواع تكذيب الرسول ﷺ ، أو تكذيب بعض ماجاء به الرسول ،أو بغض الرسول أو بغض بعض ماجاء به الرسول أو المسرة بانخفاض دين الرسول أو الكراهية لانتصار دين الرسول فهذه الانواع الستة صاحبها من أهل الدرك الاسفل من النار

وأما العملي فهو خمسة أنواع والدليل قوله ﷺ « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان واذا خاصم فجر، واذا عاهد غدر » نعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الادب والله أعلم

الرسالة الرابعة

﴿في التوحيد وطروء الشرك على المسلمين وجهاد العلماء له﴾

له ايضاً

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين ،وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

اعلم ان أعظم شهادة وأفرضها على الخلق قولا وعملا واعتقادا ماشهد الله به لنفسه من اختصاصه بالآلهية دون جميع خلقه أزلا وأبدا . قال تعالى (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم)فكرر الشهادة به في هذه الآية وأخبر أن ملائكته وأولي العلم شهدوا له بذلك جل وعلا ،وأخبر عباده بهذه الشهادة ودعاهم الى أن يشهدوا بها ويدينوا بها ، قال الله تعالى (الله لا إله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ، ومن أصدق من الله حديثا) وقال (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) وقال تعالى (الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة) وأخبر انه بعث رسله بهذه الشهادة جميعهم فقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) فبين في هذه الآية وأمثالها ان الالهية هي العبادة فان الاله هو المألوه الذي تألهه القلوب محبة وتعظيما وتذللا وخضوعا وتوكلا ورغبة اليه ورهبة وخوفا ورجاء وغير ذلك من انواع العبادة وقال تعالى (ذلكم الله ربكم لا اله الا

هو خالق كل شيء . وهو على كل شيء وكيل) وبين تعالى ما تضمنته هذه الشهادة من النفي والاثبات بقوله عن خليله ابراهيم عليه السلام لابيه وقومه (انني براء مما تعبدون * الا الذي فطرني فانه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) والكلمة : لا اله الا هو ، فعبر عنها الخليل بمعناها فنفى ما نفته هذه الكلمة من الشرك في العبادة بالبراءة من كل ما يعبد من دون الله ، واستثنى الذي فطره وهو الله سبحانه الذي لا يصلح من العبادة شيء لغيره كما قال تعالى (الر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * أن لا تعبدوا الا الله) فقوله (أن لا تعبدوا) فيه معنى لا اله وقوله (الا الله) هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة ، ففي هذه الآيات نفى الالهية عما سوى الله نفيا عاما بلا النافية للجنس وأثبت الالهية له وحده دون كل ما سواه

والآيات في معنى هذه الكلمة كثيرة في القرآن . قال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه) فقوله أن لا تعبدوا نفى استحقاق العبادة لغيره وأثبتها لنفسه بقوله (الا اياه) وقال تعالى (امر أن لا تعبدوا الا اياه) وأمر نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب الى معنى هذه الكلمة وما تضمنته من النفي والاثبات فقال (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله) فتضمنت هذه الآية معنى لا اله الا الله من نفي الالهية عما سوى الله وتفرده بالعبادة دون كل ما سواه ، ومعنى (تعالوا) أي هلموا واقبلوا إلى أن نكون نحن وأنتم في توحيد الله سواء مجتمعين على ذلك ثم قرر تعالى معناها بقوله (ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا) الآية ، وهذه الكلمة هي التي دعا رسول

النبي ﷺ قريشا والعرب أن يقولوها ويعملوا بها، وقال لهم « قولوا لا اله الا الله تفلحوا. كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، وتكونون بها ملوكا في الجنة » فقالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا لشيء عجاب * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) وذلك أنهم نشأوا في الفترة بعد عبادة الاصنام حين استخرجها عمرو بن لحي الخزاعي وفرقها في القبائل وهي الاصنام التي عبدها قوم نوح فعبدوها وكثرت عبادة الاوثان والاصنام فصار عند الكعبة ثلاثمائة وستون صنما على صور من كانوا يعبدونه، وعبدوا اللات والعزى، ومناة وذا الخلصة وغيرها مما لا يحصى كثرة ولذلك أنكروا معنى لا إله إلا الله لما دعاهم النبي ﷺ الى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله فابوا أن ينفوا ما نفته من عبادة الاوثان والاصنام، وان يخلصوا العبادة لله وحده. ولمعرفتهم معنى هذه الكلمة نهوا أبا طالب عن أن يقولها عند موته لما قال له رسول الله ﷺ « يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاجّ لك بها عند الله » قال له أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ علموا أنه لو قالها لترك عبادة غير الله وأنكرها لمعرفتهم ما دلت عليه من النفي والاثبات. قال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

وأما هذه الامة فلما كثر الشرك فيهم كما كثر في أولئك وبنيت المساجد على القبور وعبدت وبنيت المشاهد على اسم من بنيت باسمه من الصالحين وعبدت صاروا يقولون لا اله الا الله والشرك قد قام في قلوبهم واتخذوها دينا فأثبتوا ما نفته هذه الكلمة من عبادة غير الله، وأنكروا

ما دلت عليه من الاخلاص ،فعكسوا مدلول هذه الكلمة العظيمة بكونهم أثبتوا ما نفته من الشرك ، ونفوا ما أثبتته من الاخلاص الذي هو حق الله على عباده ، فيقول قائلهم (لا اله الا الله) وقد اعتقد عكس مادلت عليه ، وهذا غاية الجهل والضلال يقول كلمة تتضمن النفي والاثبات فلا يعرف ما نفت ولا ما أثبتت ،هذا وهم فيما يقرؤنه ويقرئونه في مذاهبهم وما كانوا يتعاطونه من العلوم لا يجهلون مثل هذا .وكثير منهم له في علم المعقول اليد الطولى . فسبحان الله كيف جهلوا من ذلك ما دعت اليه الرسل من توحيد الله ونفي الشرك الذي نهوا أممهم عنه كما هو صريح في القرآن لا يخفى على من له أدنى فهم ان وفق لفهمه ، فوضعوا الشرك موضع التوحيد بالقبول ، ووضعوا التوحيد موضع الشرك بالانكار على من دعا اليه وعداوته

فبهذا تبين لك معنى ما أخبر به النبي ﷺ من قوله « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ» فلا غربة للاسلام أعظم من هذه الغربة التي عليها الاكثرون في هذه القرون المتأخرة

وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى من أهل السنة والجماعة في معنى لا اله الا الله وبيان ما نفته وما أثبتته ما يفيد العلم واليقين بمعناها الذي أوجب الله تعالى معرفته وما تضمنته من النفي والاثبات

قال الوزير أبو المظفر في الافصاح : قوله «شهادة أن لا اله الا الله» يقتضي أن يكون الشاهد عالما بان لا اله إلا الله كما قال تعالى (فاعلم أنه لا إله الا الله) قال واسم الله مرتفع بعد الا من حيث انه الواجب له الالهية فلا يستحقها غيره سبحانه (قال) وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه

الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والايمان بالله فانك لما نفيت الالهية وأثبت الايجاب لله تعالى كنت ممن كفر بالطاغوت ، وآمن بالله

قال ابن القيم في البدائع :فدلالتها أي (لا اله الا الله) على اثبات الهيته أعظم من دلالة قولنا «الله اله »ولا يستريب أحد في هذا البتة انتهى بمعناه

وقال رحمه الله والاله هو الذي تألهه القلوب محبة واجلالا وانابة واكراما وتعظيما وذلا وخضوعا وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا له منه ودعاء له ، لا يصلح ذلك كله الا لله، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص الالهية كان ذلك قد جافى اخلاصه في قوله لا اله الا الله،وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك

وقال أبو عبدالله القرطبي في تفسير(لا اله الا هو) أي لا معبود الا هو

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الاله هو المعبود المطاع فان الاله هو المألوه الذي يستحق أن يعبد وكونه يستحق هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع

وقال رحمه الله تعالى : فان الاله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتنيب اليه في شدائدها وتدعوه في مهماتها وتتوكل عليه فى مصالحها وتلجأ اليه وتطمئن بذكره وتسكن الى حبه ، وليس ذلك الا لله وحده ، ولهذا كانت لا إله الا الله أصدق الكلام وكان أهلها أهل الله وحزبه ، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته ،فاذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق ، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله

وقال البقاعي : لا إله إلا الله أي انتفاء عظيما أن يكون معبوداً بحق

غير الملك الاعظم فان هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجيه من أهوال الساعة ، وانما يكون علما اذا كان نافعا وانما يكون نافعاً اذا كان مع الاذعان والعمل بما تقتضيه والا فهو جهل صرف ، وهذا الذي ذكرناه عن شيخ الاسلام والبقاعي هو الموجود في كلام أهل السنة جميعهم

إذا عرفت ذلك فمما يدل على غربة الاسلام ما أخبر به النبي ﷺ من وقوع الشرك في هذه الامة ما في الصحيح من حديث ثوبان « وحتى تعبد فئام من أمتي الاوثان » وأخرج أبو دواد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: تدور رحى الاسلام لخمس وثلاثين أوست وثلاثين أو سبع وثلاثين فان يهلكوا فسبيل من هلك ، وان يقم لهم دينهم يقم تسعين عاما . قال قلت أمما بقي أو مما مضى ؟قال مما مضى

ومما يبين غربة الاسلام وشدته ماجرى من الملوك والقضاة والرؤساء على شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من العداوة والحبس وشدة الانكار عليه لما دعاهم الى ما تضمنته لا إله الا الله ومعناها الذى تقدم عنه وعن أمثاله من العلماء ، وقد ردوا عليه بشبهات واهية، وضلالات في الضلال متناهية ، ورد عليهم رحمه الله تعالى في منهاج السنة واقتضاء الصراط المستقيم وكتاب الاستغاثة في الرد على ابن البكري، ورد على أهل البدع جميعهم من الفلاسفة والمتكلمين كالجهمية والمعتزلة والاشاعرة وذكر رحمه الله تعالى أن هؤلاء كلهم وان كثرت أبحاثهم ومصنفاتهم فما منهم من يعرف مادلت عليه كلمة الاخلاص(لا إله الا الله)فلم يعرفوا التوحيد الذي أثبتته ولا الشرك الذى نفته. هذا معنى كلامه

ولتلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في بيان أنواع التوحيد

والرد على أهل البدع المصنفات الكثيرة المفيدة فمن أحسنها اغاثة اللهفان، وكتاب الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة وللحافظ ابن عبد الهادي الصارم المنكي في الرد على السبكي ولهم أصحاب كثير أخذوا عنهم

فلما طال الامد بعدهم صارت كتبهم في أيدي أناس جهلة ، وفي خزائن الكتب الموقوفة فلم يلتفتوا اليها فرجعوا الى ما كان عليه من قبلهم ممن مضى من المبتدعة ، وكثر الشرك في القرى والامصار وصاروا لا يعرفون من التوحيد الا ما تدعيه الاشاعرة من تأويل صفات الرب والالحاد فيها فصاروا كذلك حتى نسي العلم وعم الشرك والبدع الى منتصف القرن الثاني عشر فانه لا يعرف إذ ذاك عالم أنكر شركا أو بدعة مما صار في آخر هذه الامة

فشرح الله صدر شيخنا فضلا من الله تعالى ونعمة عظيمة منّ بها تعالى في آخر هذا الزمان فعرف من الحق ما عرف شيخ الاسلام ابن تيمية وأصحابه بتدبره الآيات المحكمات ، وصحيح البخاري وصحيح مسلم والسنن والمسانيد والآثار ومعرفته ما كان عليه رسول الله ﷺ والتابعون وأتباعهم وما عليه سلف الامة وأئمتها والائمة من أهل الحديث والتفسير والفقهاء كالائمة الاربعة ومن أخذ عنهم فتبين له التوحيد وما ينافيه والسنة وما يناقضها فدعا الناس من أهل قريته وما قرب منها أن يتركوا عبادة أرباب القبور والطواغيت وعبادة الأشجار والاحجار والذبح للجن ونحو ذلك وكل هذا قد وقع في قرى نجد وغيرها حتى البوادي .

فلما أنكر ذلك كرهوا ذلك منه وطرده أهل قريته عنها وهي عريملا وصار في العيينة يدعو الى دين الاسلام ، وينهى عن الشرك وعبادة الاوثان ، وقبل ذلك طائفة منهم ومن أهل الدرعية . ثم بعد ذلك ضاق

فطاق أمير العيينة لما رآه قد أنكر قوله الخلق الكثير والجم الغفير ، وقد نصب له العداوة أهل القرى والامصار والبادي والحاضر فامره أن ينتقل من بلده عنه وصار في الدرعية عند محمد بن سعود وأولاده واخوانه وبعض الاعيان من جماعته ، فصار لهم قبول لهذه الدعوة فصبروا على عداوة الناس قريبهم وبعيدهم وكلٌّ قصدهم بالحرب فثبتهم الله تعالى على قلتهم وكثرة من خالفهم وقتل من قتل من أعيانهم فصبروا وصارت الحرب بينهم سجالا والله تعالى يحميهم ويقوي قلوبهم ، وماجرى بينهم وبين عدوهم مذكور في التاريخ ، فاظهر الله هذا الدين في نجد والبادية حتى لم يكن فيهم من ينازع ويجادل لان الله تعالى أبطل كل شبهة بما أبداه هذا الشيخ ببيانه ومصنفاته التي صارت في أيدي المسلمين وانتشرت دعوته في الامصار وقبلها القليل منهم ممن له التفات الى ماينفعه بخلاف من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله وهم الاكثرون ، فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة ، فياسعادة من هدي الى معرفة حقيقة دين الاسلام واتبعه

وقد وجدت للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى كلاما في الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة يتعين نقله هنا لعظيم فائدته وشدة الحاجة اليه

قال رحمه الله تعالى (فصل) عظيم النفع جليل القدر ينتفع به من عرف نوعي التوحيد القولي العلمي الخبري والتوحيد القصدي الارادي العملي كما دل على الاول سورة (قل هو الله أحد) وعلى الثاني سورة (قل ياأيها الكافرون) وكذلك دل على الاول قوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم) وعلى الثاني (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) الآية ولهذا كان

النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنّة الفجر وسنّة المغرب ويقرأبهما في ركتي الطواف ويقرأ بالآيتين في سنّة الفجر لتضمنهما التوحيد العلمي والعملي .

والتوحيد العلمي أساسه اثبات الكمال للرب، ومباينته لخلقه ، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل

والتوحيد العملي تجريد القصد بالحب والخوف والرجاء والتوكل والانابة والاستعانة والاستغاثة والعبودية بالقلب واللسان والجوارح لله وحده ، ومدار مابعث الله به رسله وأنزل به كتبه على هذين التوحيدين . وأقرب الخلق الى الله تعالى أقومهما بهما علما وعملا ، ولهذا كانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أقرب الخلق الى الله تعالى ، وأقربهم اليه وسيلة أولو العزم ، وأقربهم الخليلان . وخاتمهم سيد ولد آدم أكرمهم على الله لكمال عبوديته وتوحيده . فهذان الاصلان هما قطب رحى الدين وعليهما مداره وبيانهما من أهم الامور والله سبحانه بينهما غاية البيان بالطرق العقلية والنقلية والفطرية والنظرية والامثال المضروبة ، ونوّع سبحانه الطرق باثباتها أكمل التنويع بحيث صارت معرفة القلوب الصحيحة والفطر السليمة لها بمنزلة رؤية العين المبصرة التي لا آفة بها للشمس والقمر والنجوم والارض والسماء فذلك للبصيرة بمنزلة هذه للبصر ، فان تسلط التأويل على التوحيد الخبري العلمي كان تسليطه على التوحيد العملي القصدي أسهل ، وأعمت رسوم التوحيد وأقامت معالم التعطيل والشرك ولهذا كان الشرك والتعطيل متلازمين لا ينفك أحدهما عن صاحبه . وإمام المعطلين المشركين

فرعون فهو امام كل معطل ومشرك الى يوم القيامة كما ان امام الموحدين ابراهيم ومحمد عليهما السلام

وقال أيضا لما ذكر سبب عبادة الاصنام التي صورها قوم نوح على صور الصالحين: وما زال الشيطان يوحي الى عبّاد القبور ويلقي اليهم ان البناء والعكوف من محبة أهل القبور من الانبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة الى الدعاء به والاقسام به على الله تعالى، فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل باحد من خلقه، فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة واتخاذ قبره وثنا تعلق عليه القناديل والستور ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويذبح عنده، فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم وكل هذا قد علم بالاضطرار من دين الاسلام انه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد وأن لا يعبد الا الله. فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم وزعم انه لا حرمة لهم ولا قدر وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب الي العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا انهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، وأبى الله ذلك (وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون) اه كلامه

وقال تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ، ان الله لقوي عزيز)

فتأمل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه فمن لم يسمعه فقد عصى أمره كيف تضمن ابطال الشرك وأسبابه باصح برهان في أوجز عبارة وأحسنها وأحلاها ، وسجل على جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد وساعد بعضهم بعضا وعاونه بابلغ المعاونة لعجزوا عن خلق ذباب واحد ثم بين ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلبه الذباب اياه ، فأيّ اله أضعف من هذا الاله المطلوب ومن عابده الطالب ؟ فهل قدر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه آلهة هذا شأنها ؟ فأقام سبحانه حجة التوحيد وبين إفك أهل الشرك والالحاد باعذب الالفاظ وأحسنها لم يعترها غموض ولم يشبها تطويل ولم يعبها تعقيد ولم يزدرها زيادة ولا تنقيص بل بلغت في الحسن والفصاحة والايجاز ما لا يتوهم متوهم ولا يظن ظان أن يكون أبلغ في معناها منها وتحتها من المعنى الجليل العظيم الشريف البالغ في النفع ما هو أجل الالفاظ انتهى

﴿ تمت الرسالة المفيدة السديدة وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ﴾

ويليها رسالة أوردها الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد علي الجهمي الذي في بني ياس في الكلام على معنى لا اله الا الله

الرسالة الخامسة

له في الكلام على « لا اله الا الله » وتحقيق معنى التوحيد
بيانا لما أورد على الجهمي الذي رد عليه في الرسالة ـ قال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الكلام في بيان ما أوردناه على الجهمي الذي في بني ياس

أما الكلام في معنى لا اله الا الله فأقول وبالله التوفيق

أما هذه الكلمة العظيمة فهي التي شهد الله بها لنفسه وشهد بها له ملائكته واولوا العلم من خلقه كما قال تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) فلا اله الا الله هي كلمة الاسلام لا يصح اسلام أحد الا بمعرفة ما وضعت له ودلت عليه وقبوله والانقياد للعمل له ، وهي كلمة الاخلاص المنافية للشرك ، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله فلا تنفع قائلها الا بشروط سبعة (الاول) العلم بمعناها نفيا واثباتا (الثاني) اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب (والثالث) الاخلاص المنافي للشرك (والرابع) الصدق المانع من النفاق (والخامس) المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك (والسادس) الانقياد بحقوقها وهي الاعمال الواجبة اخلاصا لله وطلبا لمرضاته (والسابع) القبول المنافي للرد [1]

---

(١) ونظمها بعضهم فقال :

علم يقين واخلاص وصدق مع * محبة وانقياد والقبول لها

فقد يتولها من يعرفها لكن لا يقبلها ممن دعاه اليها تعصبا وتكبراً كما هو قد وقع من كثير

اذا عرفت ذلك فقولك (لا اله الا الله) فلا نافية للجنس والاله هو المألوه بالعبادة وهو الذي تألهه القلوب وتقصده رغبة اليه في حصول نفع أو دفع ضر كحال من عبد الاموات والغائبين والاصنام فكل معبود مألوه بالعبادة . وخبر لا المرفوع محذوف تقديره حق وقوله (الا الله) استثناء من الخبر المرفوع فالله سبحانه هو الحق وعبادته وحده هي الحق وعبادة غيره منتفية بلا في هذه الكلمة . قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وان مايدعون من دونه هو الباطل) فالهية ما سواه باطلة فدلت الآية على أن صرف الدعاء الذي هو مخ العبادة عنه لغيره باطل

فتبين أن الالهية هي العبادة لان الدعاء من أفرادها فما صرف منها لغيره تعالى فهو باطل ، والقرآن كله يدل على أن الالهية هي العبادة كما قال تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اني براء مما تعبدون* الا الذي فطرني) فذكر البراءة من كل معبود سوى الله ولم يستثن الا عبادة من فطره سبحانه وتعالى ثم قال (وجعلها كلمة باقية في عقبه) أى (لا اله الا الله) فعبر عن الالهية بالعبادة في النفي والاثبات .

وقال تعالى (قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا) فقوله (قل انما أدعو ربي) هو معنى (الا الله) في كلمة الاخلاص وقوله (ولا أشرك به أحدا) هو المنفي في كلمة الاخلاص بلا آله .فتبين أن (لا إله الا الله) دلت على البراءة من الشرك في العبادة في حق كل ما سوى الله .

وقال الله تعالى (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) والدين

هو العبادة ، وقال تعالى (قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به * قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) أي الذي لا تصلح الالهية إلا له وحده فانتفت الالهية وبطلت في حق كل ما سوى الله، والقرآن يبين بعضه بعضا ويفسره ، والرسل انما يفتتحون دعوتهم بمعنى لا اله الا الله (اعبدوا الله مالكم من اله غيره . يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) فتبين أن الالهية هي العبادة ، وبهذا قال قوم هود لما قال (يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره . قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) فتبين بالآية أنهم لم يستنكفوا من عبادة الله لكنهم أبوا أن يخلصوا العبادة لله وحده فلم ينفوا ما نفته لا اله الا الله فاستوجبوا ما وقع بهم من العذاب لعدم قبولهم ما دعاهم اليه من اخلاص العبادة كما قال تعالى (واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) وهم الرسل جميعهم (أن لا تعبدوا الا الله) وهذا هو معنى كلمة الاخلاص الذي اجتمعت عليه الرسل فقوله (أن لا تعبدوا) هو معنى (لا اله) وقوله (الا الله) هو المستثنى في كلمة الاخلاص

فهذا هو تحقيق معناها بحمد الله : انذار الرسل جميعهم أممهم عن الشرك في العبادة وأن يخلصوها لله وحده لا شريك له

فقيما ذكرناه في هذه الآيات في معناه كاف واف شاف ولله الحمد والمنة

وأما تعريف العبادة فقد قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية

وعبادة الرحمن غاية حبه * مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر * ما دار حتى قامت القطبان

ومداره بالامر أمر رسوله * لا بالهوى والنفس والشيطان

فذكر أصل العبادة التي يصلح العمل مع حصولها اذا كان على السنة فذكر قطبيها وهما غاية المحبة لله في غاية الذل له والغاية تفوت بدخول الشرك، وبه يبطل هذا الاصل لان المشرك لا بد أن يحب معبوده ولا بد أن يذل له ففسد الاصل بوجود الشرك فيه، ولا تحصل الغاية فيهما الا بانتفاء الشرك وقصر المحبة والتذلل على الله وحده، وبهذا تصلح جميع الاعمال المشروعة وهي المراد بقوله* وعليهما فلك العبادة دائر * والدائرة هي الاعمال ولا تصلح الا بمتابعة السنة

وهذا معنى قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى في قول الله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه، قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة

وأما أقسام التوحيد فهي ثلاثة توحيد الالهية وهي العبادة كما تقدم فهي تتعلق باعمال العبد وأقواله الباطنه والظاهرة كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة (قلت) فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك بالله، وهذا هو الذي أرسلت الرسل وأنزلت الكتب بالانذار عنه وترتبت عليه عقوبات الدنيا والآخرة في حق من لم يتب منه

ويسمى هذا التوحيد اذا كان لله وحده توحيد القصد والطلب والارادة، وهو الذي جحده المشركون من الامم، وقد بعث الله نبينا

محمداً ﷺ بالامر به والنهي عما ينافيه من الشرك فابى المشركون الا التمسك بالشرك الذي عهدوه من اسلافهم فجاهدهم ﷺ على هذا الشرك وعلى اخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * اجعل الآلهة الها واحداً) الى قوله (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد)

(النوع الثاني) توحيد الربوبية ، وهو العلم والاقرار بان الله تعالى رب كل شيء ومليكه وهو المدبر لامور خلقه جميعهم كما قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمّن يملك السمع والابصار ـ الى قوله ـ ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقال (قل لمن الارض ومن فيها ـ الى قوله ـ فانى تسحرون) وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير وهذا النوع قد أقر به المشركون كما دلت عليه الآيات

(والنوع الثالث) توحيد الاسماء والصفات وهو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال التي تعرّف بها سبحانه وتعالى الى عباده ونفي مالا يليق بجلاله وعظمته ، وهذا النفي أقسام ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية فأهل السنة والجماعة سلفا وخلفا يثبتون لله تعالى هذا التوحيد على ما يليق بجلال الله وعظمته اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، وهذا النوع والذى قبله هو توحيد العلم والاعتقاد

وأما تعريف التوحيد فقد ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية بقوله

فالصدق والاخلاص ركناذلك التوحيد كالركنين للبنيان
وحقيقة الاخلاص توحيد المـ راد فلا يزاحمه مراد ثاني
والصدق توحيد الارادة وهو بذ ل الجهد لا كسلا ولا متواني

ثم ذكر توحيد المتابعة فقال

والسنة المثلى لسالكها فتو حيد الطريق الاعظم السلطاني
فلواحد كن واحدا في واحد أعني سبيل الحق والايمان

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الاخلاص بمثل ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى فقال الاخلاص محبة الله وارادة وجهه

وأما أقسام العلم النافع الذي يجب معرفته واعتقاده فهو يتضمن ما سبق ذكره وهو ثلاثة أقسام ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية قال :

والعلم أقسام ثلاث مالها من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الاله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن
والامر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وبهذا تم الجواب عما أوردناه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿ طبعت عن نسخة كتبت بنجد سنة ١٣٤٥ ﴾

الرسالة السادسة

﴿ المسماة أوثق عرى الايمان ﴾

وهي جواب سؤال سئل عنه العلامة الشيخ سليمان بن العلامة الشيخ عبدالله ابن شيخ الاسلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى أجمعين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(وبه نستعين)

(السؤال) ماقولكم أدام الله النفع بعلومكم ، في أهل بلد مرتدين أو بادية وهم بنو عم ويجيء لهم ذكر عند الامراء فيتسبب في الدفع عنهم بعض أقاربهم ممن هو عند المسلمين حمية دنيوية إما بطرح نكال أو دفن نقائص المسلمين أو يشير بكف المسلمين عنهم هل يكون هذا موالاة نفاق أو يصير كفرا ؟ وإذا كان لا يقدر أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ماحكمه ؟ وكذلك إذا عرفت هذا من انسان ماذا يجب عليك ؟ افتنا مأجوراً

(الجواب) الحمد لله رب العالمين . اعلم أولا أيدك الله تعالى بتوفيقه ان أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله ، وان الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين من الكفار والمنافقين وجفاة الاعراب الذين يُعرفون بالنفاق ولا يؤمنون بالله ورسوله ، وان الله أمرهم بجهادهم والاغلاظ عليهم بالقول والفعل وتوعدهم الله تعالى باللعن والقتل بقوله (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم ، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم ، وكيف يدعي رجل محبة الله تعالى

وهو يحب أعداءه الذين ظاهروا الشياطين على عدوانهم واتخذوهم أولياء من دون الله كما قيل :

تحب عدوي ثم تزعم انني صديقك ان الود عنك لعازب

والجملة فالحب في الله والبغض في الله أصل عظيم من أصول الايمان يجب على العبد مراعاته ولهذا جاء في الحديث « أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله » (١) ولذلك أكثر الله من ذكره في القرآن قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال بعض المفسرين : نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الاسلام أو غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر . وقوله (من دون المؤمنين) يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكفار فلا تؤثروهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي ومن يتولى الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية ، يعني انه منسلخ من ولاية الله رأساً ، وهذا أمر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان (إلا أن تتقوا منهم تقاة) فرخص في موالاتهم إذا خافوهم فلم يحسنوا معاشرتهم الا بذلك وكانوا مقهورين لا يستطيعون اظهار العداوة لهم فحينئذ تجوز المعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء ينتظر زوال المانع كما قال تعالى (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) قال ابن عباس ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان . قال أيضا : نهى الله المؤمنين أن

(١) سيأتي له انه رواه أحمد عن البراء بن عازب . أقول وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس « أوثق عرى الايمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله » وهو أقوى في مراد المؤلف وموضوعه

يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين الا أن يكون الكفار ظاهرين فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين ، وذلك قوله تعالى (الا أن تتقوا منهم تقاة) ذكره ابن جرير وابن أبي حاتم . وقال تعالى (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم) الآية . قال القرطبي لاتجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم . قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ،ومن يتولهم منكم فانه منهم) الى آخر قوله (فان حزب الله هم الغالبون) قال حذيفة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أونصرانيا وهو لا يشعر لهذه الآية (ومن يتولهم منكم فانه منهم) قال مجاهد في قوله تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم) قال المنافقون في مصانعة اليهود ومداخلتهم واسترضاعهم أولادهم اياهم . وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى (أذلة على المؤمنين) قال أهل رقة على أهل دينهم (أعزة على الكافرين) وقال أهل غلظة على من خالفهم في دينهم وكذا نقل معناه عن غير واحد من السلف . وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء)وقال تعالى(ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون) والآية بعدها

وقال تعالى(يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)فقد أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم الاسلام ، وأمر بالاغلاظ عليهم قولا وفعلا . وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية : جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان(واغلظ عليهم)قال اذهب الرفق.

عنهم . وقال ابن مسعود رضي الله عنه (جاهد الكفار والمنافقين) قال: بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وليلقه بوجه مكفهر أي عابس متغير من الغيظ والبغض ذكره ابن أبي حاتم وجاء معناه في حديث مرفوع رواه البيهقي في الشعب . وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم) الآية . نفى سبحانه وتعالى الايمان عمن هذا شأنه ولو كانت مودته ومحبته ومناصحته لابيه وأخيه وابنه فضلا عن غيرهم .

وقال تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) قال ابن عباس (ولا تركنوا) قال لا تميلوا . وقال عكرمة ان تطيعوهم أو تودوهم أو تصطنعوهم ، ومعنى تصطنعوهم أي تولوهم الاعمال كمن يولي الفساق والفجار ، وقال الثوري: ومن لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً أو ناولهم قرطاسا دخل في هذا . قال بعض المفسرين في الآية فالنهي متناول للانحطاط في هوتهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى بأعمالهم ، والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله (ولا تركنوا) والركون هو الميل اليسير [1]

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله ـ أولئك هم الظالمون) وصح أن صدر هذه السورة نزلت في حاطب بن أبي بلتعة لما كتب الى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله

(١) هذا التفسير ضعيف لان الركون مشتق من ركن الشيء وهو جانبه القوي وكل ما يقوى به الشيء فهو ركن ومنه اركان الاسلام وقوله تعالى (أو آوي الى ركن شديد) فالركون الى الشيء هو الميل القوي الذي تسكن اليه النفس وتطمئن وتعز وهذا المعنى يوافق تفسير عكرمة

ﷺ اليهم وجاء في تفسير قوله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) الآية أنها في عبيدة بن الجراح لما قتل أباه يوم بدر كما رواه الطبراني وابن أبي حاتم والحاكم وغيرهم ، وعن ابن جريج قال حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكه أبو بكر صكة سقط منها فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « أفعلت يا أبا بكر ؟ » فقال والله لو كان السيف قريبا مني لضربته فنزلت (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) رواه ابن المنذر وهذا والله أعلم في أول الاسلام فان أبا قحافة أسلم عام الفتح فلم يكن ليسب النبي ﷺ بعد الاسلام وأبو بكر خرج مهاجراً من مكة ولم يعد اليها إلا بعد الاسلام فى عمرة مع النبي ﷺ وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، وعادى في الله ، ووالى في الله ، فانما تنال ولاية الله بذلك . رواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم ، وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « أوحى الله الى نبي من الانبياء أن قل لفلان العابد أما زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك ، وأما انقطاعك الي فتعززت به ، فماعملت فيما لي عليك ؟ قال يارب ومالك علي ؟ قال هل واليت لي وليا أو عاديت لي عدوا ؟ »

وقال تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) فعقد تعالى الموالاة بين المؤمنين وقطعهم من ولاية الكافرين ، وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض وان لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبير شيء عظيم وكذلك يقع فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد وعلم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا بالحب في الله والبغض في الله والمعاداة في الله والموالاة في الله ، ولو كان الناس متفقين

على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء لم يكن فرقانا بين الحق والباطل ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والآيات في هذا كثيرة

وأما الاحاديث فروى أحمد عن البراء بن عازب: أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وفي حديث مرفوع « اللهم لا تجعل للفاجر عندي يدا ولا نعمة فيوده قلبي فاني وجدت فيما أوحي الي (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) رواه ابن مردويه وغيره عن أبي ذر مرفوعا « أفضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله » رواه أبو داود ورواه أحمد مطولا ، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا « المرء مع من أحب » وعن ابن مسعود مرفوعا « لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي » رواه ابن حبان في صحيحه وعن علي رضي الله عنه مرفوعا « لا يحب رجل قوما الا حشر معهم » رواه الطبراني باسناد جيد قاله ابن المنذر ، وقد روى أحمد معناه عن عائشة باسناد جيد أيضا عنها مرفوعا « الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل ، وهل الدين الا الحب في الله والبغض في الله ؟ قال الله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية » رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد فقد جعل النبي ﷺ في هذا الحديث الحب على شيء من الجور وان قل والبغض على شيء من العدل وان قل من الشرك ، فليحذر أشد الحذر من موادة أعداء الله من الكفار والمنافقين ، وعن بريدة مرفوعا « لا تقولوا للمنافق سيدا فانه ان لم يكن سيدا فقد أسخطتم

ربكم عز وجل » رواه أبو داود والنسائي باسناد صحيح ورواه الحاكم ولفظه « اذا قال الرجل للمنافق ياسيدي فقد أغضب ربه عزوجل » وقال صحيح الاسناد ، وعن ابن مسعود مرفوعا «مثل الذي يمين قومه على غير الحق كمثل بعير تردى في بئر فهو ينزع بذنبه »رواه أبو داود وابن حبان قال ابن المنذر ومعنى الحديث أنه وقع في الاثم وهلك البعير اذا تردى في بئر فصار ينزع بذنبه فلا يقدر على الخلاص ، والاحاديث في ذلك كثيرة

(فصل في ذكر الآثار عن السلف) وهي كثيرة فنذكر منها بعضها . قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم — الى قوله — ان الله عليم بذات الصدور) والآية بعدها قال ابن عباس في الآية رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية فانزل الله فيهم ينهاهم عن بطانتهم لخوف الفتنة عليهم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا) قال هم المنافقون رواه ابن أبي حاتم ، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قيل له ان هنا غلاما من أهل الحيرة حافظا كاتبا فلو اتخذته كاتبا قال : قد اتخذت اذاً بطانة من دون المؤمنين رواه ابن أبي شيبة ، وعن الربيع : لا تتخذوا بطانة قال لا تستدخلوا المنافقين تتولونهم دون المؤمنين ، وفي تفسير القرطبي في الكلام على هذه الآية نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين واليهود وأهل الاهواء دخلاء وولائج يفاوضونهم في الآراء ويسندون اليهم أمورهم ، ويقال كل من كان على خلاف دينك ومذهبك لا ينبغي أن تخادنه . قال القائل شعراً

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » وروي عن بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : اعتبروا الناس باخدانهم . ثم بين المعنى الذي لاجله ورد النهي عن المواصلة قال (لا يألونكم خبالا) يعني فساداً يعني لا يتركون فسادكم . قال وقد مر أبو موسى الاشعري على عمر رضي الله عنه بحساب فدفعه الى عمر فاعجبه فقال لابي موسى أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس . فقال : انه لا يدخل المسجد . فقال لم ؟ أجنب هو ؟ قال : انه نصراني . قال فانتهره وقال لا تدنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله ، ولا تأمنهم وقد خونهم الله

ومن كتاب الامام محمد بن وضاح قال سئل ابن (١) جاء في الاثر من جالس صاحب بدعة فقد مشى في هدم الاسلام ، وقال الاوزاعي كانت اسلافكم تشتد عليهم - أي على أهل البدع - ألسنتهم، وتشمئز منهم قلوبهم ، ويحذرون الناس بدعتهم ، وقال الحسن لا تجالس صاحب بدعة فانه يمرض قلبك ، وقال ابراهيم لا تجالسوا أهل البدع ولا تكلموهم فاني أخاف أن ترتد قلوبكم . روى هذه الآثار ابن وضاح

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : اعلم رحمك الله تعالى ان كلام السلف في معاداة أهل البدع والضلالة فاذا كان هذا كلام السلف وتشديدهم في معاداة أهل الضلالات ونهيهم عن مجالستهم فما ظنك بمجالسة

(١) بياض بالاصل

الكفار والمنافقين وجفاة الاعراب الذين لا يؤمنون بالله ورسوله والسعي في مصالحهم والذب عنهم وتحسين حالهم مع كونهم بين اثنتين اما كافر أو منافق ومن يهتم بمعرفة الاسلام منهم قليل فهذا من رؤسهم وأصحابهم وهو معهم يحشر يوم القيمة قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) الآية وقال تعالى (واذا النفوس زوجت) وقد تقدم الحديث « لا يحب رجل قوما الا حشر معهم »

فصل

(في التنبيه على حاصل ماتقدم)

قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكفار وشدد في ذلك وأخبر أن من تولاهم فهو منهم وكذلك جاءت الاحاديث عن النبي ﷺ وأخبر النبي ﷺ أن من أحب قوما حشر معهم . ويفهم مما ذكرنا من الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور من فعلها دخل في تلك الآيات وتعرض للوعيد بمسيس النار نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه

(احدها) التولي العام (الثاني) المودة والمحبة الخاصة (الثالث) الركون القليل قال تعالى (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا * (١) اذاً

(١) لما كان الركون الميل القوي وصف هنا بالقليل للدلالة على ان النبي (ص) لولا تثبيت الله إياه بالعصمة لقارب ان يركن اليهم قليلا من الركون لا كثيرا ولا ركونا مطلقا لان فطرته الزكية وعقله الكامل كافيان لحفظه من هذا وذاك بل من مقاربته — وفي هذا دليل على ان العقاب على الركون قليلا مفروض فرضا على امر بعيد الوقوع اشد البعد ليعتبر المؤمنون بذلك وهذا التعبير من اعجاز القرآن الذي لا يوجد في كلام احد من الخلق ما يقاربه في بلاغته

لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) فاذا كان هذا الخطاب لاشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه فكيف بغيره

(الرابع) مداهنتهم ومداراتهم قال الله تعالى (ودوا لو تدهن فيدهنون)

(الخامس)طاعتهم فيما يقولون وفيما يشيرون كما قال تعالى (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا)وقال تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين) الايآت (السادس)تقريبهم في الجلوس والدخول على امراء الاسلام (السابع) مشاورتهم في الامور (الثامن)استعمالهم في امر من امور المسلمين اي امر كان امارة او عمالة او كتابة او غير ذلك (التاسع) اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين (العاشر) مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم (الحادي عشر)البشاشة لهم والطلاقة(الثاني عشر)الاكرام العام (الثالث عشر)استئمانهم وقد خونهم الله (الرابع عشر) معاونتهم في امورهم ولو بشيء قليل كبري القلم وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم (الخامس عشر)مناصحتهم (السادس عشر)اتباع اهوائهم (السابع عشر) مصاحبتهم ومعاشرتهم (الثامن عشر)الرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم (التاسع عشر)ذكر ما فيه تعظيم لهم كتسميتهم سادات وحكماء كما يقال للطواغيت السيد فلان او يقال لمن يدعي علم الطب الحكيم ونحو ذلك (العشرون) السكنى معهم في ديارهم كما قال ﷺ «من جامع المشركين وسكن معهم فانه مثلهم» رواه ابو داود

اذا تبين هذا فلا فرق في هذه الامور بين ان يفعلها مع اقربائه منهم او مع غيرهم كما في آية المجادلة وحينئذ فالذي يتسبب بالدفع عنهم حمية اما بطرح نكال او دفن نقائص المسلمين او يشير بكف المسلمين عنهم من

اعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين وغيرهم خصوصا المرتدين ينبغي ان يكون الغلظة عليهم اشد من الكافر الاصلي لان هذا عادى الله على بصيرة وعادى رسوله ﷺ بعد ما عرف الحق ثم انكره وعاداه والعياذ بالله فاذا كان من اعان ظالما فقد شاركه في ظلمه فكيف بمن يعين الكفار والمنافقين على كفرهم ونفاقهم . واذا كان من اعان ظالما مسلما في خصومة ظلم عند حاكم يكون شريكا للظالم فكيف بمن يعين الكفار ويذب عنهم عند الامراء ؟ واذا كان الحرامية الذين يأخذون اموال الناس اذا بذلوا للامير مالا على ان يكف عنهم فهو رئيسهم فما ظنك بمن يسر الى الكفار بالمودة ويعلمهم انه يحبهم ليواصلوه ويكرموه كما نص على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وغيره لكن طرح النكال ان كان عن مسلم مظلوم فالشفاعة فيه والسعي في اسقاطه بالراي ونحوه حسن وان كان عن مرتد فلا لعا لعثرته ولا كرامة ويكفي في ذلك ما رواه احمد والترمذي وحسنه وابن ابي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال لما كان يوم بدر جيء بالاسرى وفيهم العباس فقال رسول الله ﷺ «ما تأمرون في هؤلاء الاسرى» فقال ابو بكر قومك يارسول الله واهلك فاستبقهم لعل الله يتوب عليهم وفي حديث انس عن احمد نرى ان تعفو عنهم وتقبل منهم الفداء . رجع الحديث الى ابن مسعود فقال عمر يارسول الله كذبوك واخرجوك وقاتلوك قدمهم فاضرب اعناقهم فدخل النبي ﷺ ولم يرد عليهم شيئا فخرج رسول الله ﷺ وقال «يا ابا بكر مثلك مثل ابراهيم عليه السلام قال (من اتبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) ومثلك يا عمر كمثل نوح قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا)

اتم عالة فلا ينفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق» فأنزل الله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) الآيتين مختصراً . وفي حديث أنس فأنزل الله تعالى (لولا كتاب من الله سبق) الآية. وفي حديث ابن عمر عن أبي نعيم فلقي رسول الله ﷺ عمر فقال «كاد أن يصيبنا في خلافك شر» وفي رواية عند ابن المنذر وابن مردويه فقال رسول الله ﷺ «ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ، ولو نزل عذاب ما أفلت الا عمر» فاذا كان هذا في رأي للصديق رضي الله عنه الذي اجتهد فيه ونصح لله ولرسوله ﷺ فما ظنك بمن يفعل ذلك مع قريبه حمية دنيوية لا لغرض دين، ولا يقصد وجه الله بذلك بل لا يقصد الا الدنيا ؟

﴿ فان قيل ﴾ فالنبي ﷺ لم يذم أبا بكر على التشبيه بل شبهه بابراهيم وعيسى وميكائيل عليهم السلام وشبه عمر بجبريل ونوح وموسى عليهم السلام

﴿ قيل ﴾ المراد في الموافقة في أهل اللين والرحمة لا في خصوص هذه المسئلة فان الصواب فيها مع عمر قطعاً بكتاب الله تعالى ومع ذلك توعد الله في أخذ الفداء بالعذاب لولا ما سبق من كتاب الله انه رأي للصديق رضي الله عنه الذي اجتهد فيه فكيف بمن ينصح لهم ويرفق بهم ويرى الكف عن القتال ، ويشير باسقاط النكال عنهم من غير مسوغ شرعي بل لمجرد المحبة الدنيوية ؟

وأما من يشير بكف المسلمين عنهم فان كان مراده بذلك تأليفهم على الدخول في الاسلام أو دخلوا فيه أو واعدوه بالدخول فيه عن قريب وكانت المصلحة في تركهم قليلة ونحوه يجوز ذلك ، وان كان المراد به أن لا يتعرض المسلمون لهم بشيء لا بقتال ولا نكال واغلاظ ونحو ذلك

فهو من أعظم أعوانهم ، وقد حصلت له موالاتهم مع بُعد الديار ، وتباعد الاقطار ، كما قيل :

سهم أصاب ورامیه بذي سَلَم من بالعراق لقد أبعدت مرماك

وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم ان كانوا مرتدين فهذا عند الفقهاء مخطيء آثم لانه يجب على المرتد ضمان ما أتلفه للمسلمين في حال الردة خصوصاً من تكررت منه الردة مراراً فانه لا يقصد بذلك في هذا الزمان إلا الاغارة والنهب لاغير فترك ذلك له من أعظم المعاونة على الاثم والعدوان. ولهذا لما صار هذا أمرا سائغا عند بعض الناس انفتحت للبدوان أبواب الردة وأتوها مهطعين من كل وجه ، ولو كان هذا مصلحة في بعض الاوقات رآها بعض الامراء فلا يجب طرد ذلك لكل أحد في كل زمان فاعلم ذلك

(وأما قول السائل) هل يكون هذا موالاة نفاق أم يكون كفرا ؟

(فالجواب) ان كانت الموالاة مع مساكنتهم في ديارهم والخروج معهم في قتالهم ونحو ذلك فانه يحكم على صاحبها بالكفر كما قال تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم) وقال تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، انكم إذاً مثلهم) وقال النبي ﷺ «من جامع المشركين وسكن معهم فانه مثلهم » وقال « أنا بريء من مسلم بين أظهر المشركين » رواهما أبو داود

وان كانت الموالاة لهم في ديار الاسلام إذا قدموا اليهم ونحو ذلك فهذا عاص آثم متعرض للوعيد . وان كانت موالاتهم لاجل دينهم يجب عليه من التعزير بالهجر والأدب ونحوه مايزجر أمثاله . وإن كانت الموالاة

لاجل دينهم فهو مثلهم ومن أحب قوما حشر معهم . ولكن ليتفكر السائل في قوله حمية دنيوية يمكن هذا لابلاغ المحبة في قلوبهم، والا فلو كان يبغضهم في الله وما يعاديهم لكان أقر شيء لعينه مايسخطهم ولكن كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى

أتحب أعداء الحبيب وتدعي حبا له ما ذاك في امكان

(وأما قول السائل) فان كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ما حكمه ؟

(فالجواب) لا يخلو ذلك عن أن يكون شاكا في كفرهم أو جاهلا به أو يقر بأنهم كفرة هم وأشباههم ولكن لا يقدر على مواجهتهم وتكفيرهم ، أو يقول : أقول غيرهم كفار لا أقول انهم كفار .فان كان شاكا في كفرهم أو جاهلا بكفرهم بينت له الادلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على كفرهم. فان شك بعد ذلك وتردد فانه كافر باجماع العلماء على ان من شك في كفر الكفار فهو كافر ، وان كان يقر بكفرهم ولا يقدر على مواجهتهم بتكفيرهم فهو مداهن لهم ويدخل في قوله تعالى (ودوا لو تدهن فيدهنون) وله حكم أمثاله من أهل الذنوب. وان كان يقول أقول غيرهم كفار ولا أقول هم كفار ،فهذا حكم منه باسلامهم اذ لا واسطة بين الكفر والاسلام فان لم يكونوا كفارا فهم مسلمون وحينئذ فمن سمى الكفر اسلاما أو سمى الكفار مسلمين فهو كافر فيكون هذا كافرا

(وأما قوله) اذا عرفت هذا من انسان ماذا يجب عليك ؟

(فالجواب) يجب عليك أن تنصحه وتدعوه الى الله سبحانه وتعالى وتعرفه قبيح ما ارتكبه فان تاب فهذا هو المطلوب، وان أصر وعاند فله

حكم ما ارتكبه ان كفرا فكافر ، وان كان معصية أو اثما فعاصٍ آثم يجب الانكار عليه وتأديبه وهجره وابعاده حتى يتوب. وقد هجر النبي ﷺ من تخلف عن غزوة واحدة ونهى عن كلامهم والسلام عليهم فكيف بمن يوالي الكفار ويظهر لهم المودة ؟ اه ما نقلناه من تأليف الشيخ سليمان ابن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنهم أجمعين

الرسالة السابعة

(في حكم موالاة أهل الاشراك)

للشيخ الامام سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله أجمعين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اعلم رحمك الله تعالى أن الانسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم فانه كافر مثلهم ، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ويحب الاسلام والمسلمين ، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل وأعانهم عليه بالنصرة والمال ، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعد ما كان من جنود الاخلاص والتوحيد وأهله ، فان هذا لا يشك مسلم انه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ ، ولا يستثنى من ذلك إلا المكره وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له اكفر

أو افعل كذا وإلا فعلنا بك وقتلناك أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالايمان . وقد أجمع العلماء على ان من تكلم بالكفر هازلا انه يكفر فكيف بمن أظهر الكفر خوفا وطمعا في الدنيا ، وأنا أذكر بعض الادلة على ذلك بعون الله تعالى وتأييده

(الدليل الاول) قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) فاخبر تعالى أن اليهود والنصارى وكذلك المشركون لا يرضون عن النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم ويشهد أنهم على حق ثم قال تعالى (قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) وفي الآية الاخرى (إنك اذا لمن الظالمين) فاذا كان النبي ﷺ لو يوافقهم على دينهم ظاهراً من غير عقيدة القلب لكن خوفا من شرهم ومداهنة كان من الظالمين فكيف بمن أظهر لعبّاد القبور والقباب أنهم على حق وهدى مستقيم فانهم لا لا يرضون الا بذلك؟

(الدليل الثاني) قوله تبارك وتعالى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فاخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم ان استطاعوا ولم يرخص في موافقتهم خوفا على النفس والمال والحرمة بل أخبر عمن وافقهم بعد ان قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتد فان مات على ردته بعد أن قاتله المشركون فانه من أهل النار الخالدين فيها فكيف بمن

وافقهم من غير قتال ؟فاذا كان من وافقهم بعد ان قاتلوه لا عذر له عرفت أن الذين يأتون اليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال أنهم أولى بعدم العذر وأنهم كفار مرتدون

(الدليل الثالث) قوله تبارك وتعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين .ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة) فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحابا من دون المؤمنين وان كانوا خائفين منهم وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء أي لا يكون من أولياء الله تعالى الموعودين بالنجاة في الآخرة (إلا أن تتقوا منهم تقاة) وهو أن يكون الانسان مقهوراً معهم لا يقدر على عداوتهم فيظهر لهم المعاشرة والقلب مطمئن بالبغضاء والعداوة، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر استحباباً الحياة الدنيا على الآخرة والخوف من المشركين وعدم الخوف من الله،فما جعل الله الخوف منهم عذرا بل قال تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين)

(الدليل الرابع) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين) فاخبر تعالى أن المؤمنين ان أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على اعقابهم عن الاسلام فانهم لا يقنعون منهم بدون الكفر وأخبر أنهم ان فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفا منهم ،وهذا هو الواقع فانهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بشهادة انهم على حق وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين وقطع اليد منهم ثم قال (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين)

فاخبر تعالى أن الله مولى المؤمنين وناصرهم وهو خير الناصرين ففي ولايته وطاعته غنية وكفاية عن طاعة الكفار. فياحسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ونشأوا فيه ودانوا به زمانا كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين وخير الناصرين الى ولاية القباب وأهلها ورضوا بها بدلا عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء؟ بئس للظالمين بدلا

(الدليل الخامس) قوله تعالى (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) فأخبر تعالى أنه لا يستوي من اتبع رضوان الله، ومن اتبع مايسخطه ومأواه جهنم يوم القيمة. ولا ريب أن عبادة الرحمن وحدها ونصرها وكون الانسان من أهلها من رضوان الله، وأن عبادة القباب والاموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط الله، فلا يستوي عند الله من نصر توحيده ودعوته بالاخلاص وكان مع المؤمنين، ومن نصر الشرك ودعوة الاموات وكان مع المشركين. فان قالوا خفنا قيل لهم كذبتم، وأيضا فما جعل الله الخوف عذراً في اتباع مايسخطه واجتناب ما يرضيه، وكثير من أهالي الباطل انما يتركون الحق خوفا من زوال دنياهم، والا فيعرفون الحق ويعتقدونه ولم يكونوا بذلك مسلمين

(الدليل السادس) قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض. قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) أي في أي فريق كنتم؟ أفي فريق المسلمين أم في فريق المشركين؟ فاعتذروا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف فلم تعذرهم الملائكة وقالوا لهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت

مصيرا) ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين صاروا مع المشركين وفي فريقهم وجماعتهم هذا مع أن الآية نزلت في أناس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة فلما خرج المشركون الى بدر أكرهوهم على الخروج معهم فخرجوا خائفين فقتلهم المسلمون يوم بدر فلما علموا بقتلهم تأسفوا وقالوا قتلنا إخواننا ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، فكيف باهل البلدان الذين كانوا على الاسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم وأظهروا لاهل الشرك الموافقة على دينهم ودخلوا في طاعتهم وآووهم ونصروهم وخذلوا أهل التوحيد واتبعوا غير سبيلهم وخطئوهم وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم والاستهزاء بهم وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد والصبر عليه وعلى الجهاد فيه وعاونوهم على أهل التوحيد طوعا لا كرها واختيارا لا اضطرارا ، فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحا بالوطن وخوفا من الكفار وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين

فان قال قائل هلا كان الاكراه على الخروج عذرا للذين قتلوا يوم بدر ؟ قيل لا يكون عذرا لانهم في أول الامر لم يكونوا معذورين اذا قاموا مع الكفار فلا يعذرون بعد ذلك بالاكراه لانهم السبب في ذلك حيث قاموا معهم وتركوا الهجرة

(الدليل السابع) قوله تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم) فذكر الله تعالى أنه نزل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا يقعدوا معهم

حتى يخوضوا في حديث غيره ، وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم، ولم يفرق بين الخائف وغيره إلا المكره. هذا وهم في بلد واحد في أول الاسلام فكيف بمن كان في سعة الاسلام وعزه وبلاده فدعا الكافرين بآيات الله المستهزئين بها إلى بلاده واتخذهم أولياء وأصحابا ومجلساء وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرهم وطرد أهل التوحيد وأبعدهم ؟

(الدليل الثامن) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم وهكذا حكم من تولي الكفار من المجوس وعباد الاوثان فهو منهم فان جادل مجادل في أن عبادة القباب ودعاء الاموات مع الله ليس بشرك وان أهلها ليسوا بمشركين بان أمره ، واتضح عناده وكفره ، ولم يفرق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره بل أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفا من الدوائر وهكذا حال هؤلاء المرتدين خافوا من الدوائر لما في قلوبهم من عدم الايمان بوعد الله الصادق بالنصر لاهل التوحيد فبادروا وسارعوا إلى أهل الشرك خوفا أن تصيبهم دائرة . قال الله تعالى (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين)

(الدليل التاسع) قوله تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) فذكر الله تعالى أن موالاة الكفار موجبة لسخط الله والخلود في العذاب

بمجردها ، وان كان الانسان خائفا الا من أكره بشرطه فكيف اذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح وهو معاداة التوحيد وأهله والمعاونة على زوال دعوة الله بالاخلاص وعلى تثبيت دعوة غيره

(الدليل العاشر) قوله تعالى (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) فذكر تعالى ان موالاة الكفار منافية للايمان بالله والنبي ﷺ وماأنزل اليه . ثم أخبر ان سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين ولم يفرق بين من خاف الدائرة وبين من لم يخف ، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون فجرهم ذلك الى موالاة الكفار ، والردة عن الاسلام نعوذ بالله من ذلك

(الدليل الحادي عشر) قوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) وهذه الآية نزلت لما قال المشركون تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ماقتل الله ، فأنزل الله تعالى هذه الآية فاذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركا من غير فرق بين الخائف وغيره الا المكره فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم والكون معهم ونصرهم والشهادة انهم على حق واستحلال دماء المسلمين وأموالهم والخروج عن جماعة المسلمين الى جماعة المشركين ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال

(الدليل الثاني عشر) قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) وهذه الآية نزلت في عالم عابد في زمان بني إسرائيل يقال له (بلعام) وكان يعلم الاسم الاعظم. قال

ابن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل بهم موسى عليه السلام يعني بالجبارين أتاه بنو عمه وقومه فقالوا إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه ، قال اني ان دعوت ذهبت دنياي وآخرتي . فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله مما كان عليه فذلك قوله تعالى (فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين)

وقال ابن زيد كان هواه مع القوم يعني الذين حاربوا موسى وقومه فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله تعالى بعد أن أعطاه الله تعالى اياها وعرفها وصار من أهلها ثم انسلخ منها أي ترك العمل بها وذكر في انسلاخه منها ما معناه : انه مظاهرة المشركين ومعاونتهم برأيه والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه أن يردهم الله عن قومه خوفا على قومه وشفقة عليهم ، مع كونه يعرف الحق ويشهد به ويتعبد ولكن صده عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه واخلاده الى الارض فكان هذا انسلاخا من آيات الله تعالى وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين وأعظم فان الله أعطاهم آياته التي فيها الامر بالتوحيد ودعوته وحده لاشريك له والنهي عن الشرك به ودعوة غيره والامر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم والاعتصام بحبل الله جميعا والكون مع المؤمنين والامر بمعاداة المشركين وبغضهم وجهادهم وفراقهم والامر بهدم الاوثان وازالة القباب والمواطن والمنكرات وعرفوها وأقروا بها ثم انسلخوا من ذلك كله فهو أولى بالانسلاخ من آيات الله والكفر والردة من بلعام أو هو مثله

(الدليل الثالث عشر) قوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) فذكر

تعالى ان الركون الى الظلمة من الكفار والظالمين موجب لمسيس النار ولم يفرق بين من خاف منهم وغيره الا المكره فكيف بمن اتخذ الركون اليهم دينا ورأيا حسنا وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأي وأحب زوال التوحيد وأهله ، واستيلاء أهل الشرك عليهم ؟ فان هذا أعظم الكفر والركون

(والدليل الرابع عشر) قوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) فحكم تعالى حكما لا يبدل ان من رجع عن دينه إلى الكفر فهو كافر سواء كان له عذر خوفا على نفس أو مال أو أهل أم لا ، وسواء كفر بباطنه أو بظاهره دون باطنه ، وسواء كفر بفعاله ومقاله أو باحدهما دون الآخر ، وسواء كان طامعا في دنيا ينالها من المشركين أم لا فهو كافر على كل حال ، الا المكره وهو في لغتنا المغصوب فاذا أكره الانسان على الكفر وقيل له اكفر وإلا قتلناك أو ضربناك أو أخذه المشركون فضربوه ولم يمكنه التخلص الا بموافقتهم جاز له موافقتهم في الظاهر بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالايمان أي ثابتا عليه معتقداً له فاما إن وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرها

وظاهر كلام أحمد رحمه الله تعالى أنه في الصور الاولى لا يكون مكرها حتى يعذبه المشركون فانه لما دخل عليه يحيى برمعين وهو مريض فسلم عليه لم يرد عليه السلام فما زال يعتذر ويقول حديث عمار وقال الله تعالى (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) فقلب أحمد وجهه الى الجانب الآخر فقال يحيى : لا يقبل عذراً . فلما خرج يحيى قال أحمد يحتج بحديث

عمار وحديث عمار : مررت بهم وهم يسبونك فنهيتهم فضربوني وأنتم قيل لكم زيد أن نضربكم .فقال يحي والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله تعالى منك(١)ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين الشارحين صدورهم بالكفر وان كانوا يقطعون على الحق ويقولون ما فعلنا هذا إلا خوفا ، فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك أو الجهل بالتوحيد أو البغض للدين أو محبة الكفر وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين وعلى رضى رب العالمين،فقال(ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين)فكفرهم تعالى وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا . ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لاجل استحباب الدنيا على الآخرة هم الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وانهم هم الغافلون . ثم أخبر خبراً مؤكداً محققا انهم في الآخرة هم الخاسرون

(الدليل الخامس عشر) قوله تعالى عن أهل الكهف (انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبدا)فذكر تعالى عن أهل الكهف انهم ذكروا عن المشركين انهم ان قهروكم وغلبوكم فهم بين أمرين اما أن يرجموكم أي يقتلوكم شر قتلة بالرجم واما أن يعيدوكم في ملتهم ودينهم(ولن تفلحوا اذاً أبدا)أي وان وافقتموهم على

(١) يحي بن معين من اقران احمد في علم الحديث ونقد رواته وكان احمد يقول يحي اعلمنا بالرجال وانما كان احمد افقه منه كما هو مشهور عندهم .وقد لان يحي حين دعي الى القول بخلق القرآن متأولا

دينهم بعدأن غلبوكم وقهروكم فلن تفلحوا إذاً أبد . فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد وأجابهم الى ماطلبوا من غير غلبة ولا اكراه ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون

(الدليل السادس عشر) قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) فاخبر تعالى أن من الناس من يعبد الله على حرف أي على طرف (فان أصابه خير) أي نصر وعز وصحة وسعة وأمن وعافية ونحو ذلك (اطمأن به) أي ثبت وقال هذا دين حسن ما رأينا فيه الا خيراً (وان أصابته فتنة) أي خوف ومرض وفقر ونحو ذلك (انقلب على وجهه)أي ارتد عن دينه ورجع الى أهل الشرك فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة (يعبدون الله على حرف) أي على طرف ليسوا ممن يعبد الله على يقين وثبات فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم ، وأظهروا موافقة المشركين وأعطوهم الطاعة وخرجوا عن جماعة المسلمين الى جماعة المشركين فهم معهم في الآخرة كما هم معهم في الدنيا فخسروا الدنيا والآخرة (ذلك هو الخسران المبين) هذا مع ان كثيراً منهم في عافية ما أتاهم من عدو وانما ساء ظنهم بالله فظنوا أنه يديل الباطل وأهله على الحق وأهله فاراهم سوء ظنهم بالله كما قال تعالى فيمن ظن به ظن السوء (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) وأنت يامن منّ عليه الله بالثبات على الاسلام احذر أن يدخل في قلبك شيء من الريب أو تحسين أمر هؤلاء المرتدين ، أو أن موافقتهم للمشركين واظهار طاعتهم

رأي حسن حذرا على الانفس والاموال والمحارم فان هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيرا من الاولين والآخرين في الشرك بالله ولم يعذرهم الله بذلك والا فكثير منهم يعرفون الحق ويعتقدونه بقلوبهم وانما يدينون بالشرك للاعذار الثمانية التي ذكرها الله تعالى في كتابه والا ببعضها فلم يعذر بها أحداً ولا ببعضها فقال (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

(الدليل السابع عشر) قوله تعالى (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم * ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم إسرارهم * فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم * ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم) فذكر الله تعالى عن المرتدين على أدبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدوا على علم ولم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة وغرهم الشيطان بتسويله وتزيين ما ارتكبوه من الردة ، وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة غرهم الشيطان وأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة ، وأنهم بمعرفة الحق ومحبة الشهادة به لا يضرهم ما فعلوه ، ونسوا أن كثيراً من المشركين يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به ، ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة للدنيا وخوفا على الأنفس والاموال والمآكل والرياسات . ثم قال تعالى (ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر) فاخبر

تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة وتسويل الشيطان وأملائه لهم هو قولهم للذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الامر .فاذا كان من وعد المشركين الكارهين لما أنزل الله بطاعتهم في بعض الامر كافر وان لم يفعل ما وعدهم به — فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الامر بعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه من الانداد والطواغيت والاموات، وأظهر أنهم على هدى، وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم ،وأن الصواب في مسالمتهم والدخول في دينهم الباطل ؟ فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الامر . ثم أخبر عن حالهم العظيم عند الموت ثم قال (ذلك) الامر الفظيع عند الوفاة (بانهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)

ولا يستريب مسلم أن اتباع المشركين والدخول في جملتهم والشهادة أنهم على حق ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله ونصرة القباب والقحاب واللواط من اتباع ما يسخط الله ، وكراهة رضوانه وإن ادعوا أن ذلك لاجل الخوف فان الله تعالى ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين بل نهى عن خوفهم فأين هذا ممن يقول ما جرى منا شيء ونحن على ديننا ؟

(الدليل الثامن عشر) قوله تعالى (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون) فعقد تعالى الاخوة بين المنافقين والكفار وأخبر أنهم يقولون لهم في السر (لئن أخرجتم لنخرجن معكم) أي لئن غلبكم محمد ﷺ وأخرجكم من بلادكم (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا) أي لا نسمع من أحد

فيكم قولا ولا نعطي فيكم طاعة (وان قوتلتم لننصرنكم) أي ان قاتلكم محمد ﷺ لننصركم ونكون معكم. ثم شهد تعالى أنهم كاذبون في هذا القول فاذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرهم والخروج معهم ان أجلوا نفاقا وكفراً وان كان كذبا فكيف بمن أظهر ذلك صادقا وقدم عليهم ودخل في طاعتهم ودعا اليها ونصرهم وانقاد لهم وصار من جملتهم واعانهم بالمال والرأي ؟ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك الا خوفا من الدوائر كما قال تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) فكذا حال كثير من المرتدين في هذه الفتنة فان عذر كثير منهم هو هذا العذر الذي ذكره الله تعالى عن الذين في قلوبهم مرض ولم يعذرهم به قال الله تبارك وتعالى (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين) ثم قال تعالى (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين)

فاخبر تعالى أنه لا بد عند وجود المرتدين من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين، ووصفهم بالذلة والتواضع للمؤمنين، والعزة والغلظة والشدة على الكافرين، بضد من كان تواضعه وذله ولينه لعباد القباب وأهل القحاب واللواط، وعزته وغلظته على أهل التوحيد والاخلاص. فكفى بهذا دليلا على كفر من وافقهم وان ادعى أنه خائف فقد قال تعالى (ولا يخافون لومة لائم) وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفا من المشركين ثم قال

تعالى (يجاهدون في سبيل الله) أي في توحيده صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم لتكون كلمة الله هي العليا (ولا يخافون لومة لائم) أي لا يبالون بمن لامهم وآذاهم في دينهم بل يمضون على دينهم يجاهدون فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسخطه ولا رضاه انما همتهم وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم والهرب من سخطه وهذا بخلاف من كانت همته وغاية مطلوبه رضى عباد القباب وأهل القحاب واللواط ورجائهم والهرب مما يسخطهم فان هذا غاية الضلال والخذلان

ثم قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) فاخبر تعالى أن هذا الخير العظيم والصفات الحميدة لاهل الايمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن ليس بحولهم ولا بقوتهم وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم :

ثم قال تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) فأخبر تعالى خبراً بمعنى الامر بولاية الله تعالى ورسوله والمؤمنين وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين ولا يخفى أي الحزبين أقرب الى الله ورسوله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة فالمتولي لضدهم واضع للولاية في غير محلها مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة ولاية أهل الشرك والاوثان والقباب . ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ولمن تولاهم فقال (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)

(الدليل التاسع عشر) قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو

أو إخوانهم أو عشيرتهم) الآية فاخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، وأن هذا مناف للايمان مضاد له لا يجتمع هو والايمان إلا كما يجتمع الماء والنار وقد قال تعالى في غير موضع آخر (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون)

ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لاحد في الموافقة على الكفر خوفاً على الاموال والآباء والابناء والازواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس إذا كان لم يرخص لاحد في موادتهم واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفا منهم وإيثاراً لمرضاتهم فكيف بمن اتخذ الكفار الا باعد أولياء وأصحابا وأظهر لهم الموافقة على دينهم خوفا على بعض هذه الامور ومحبته لها، ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له فجمعوا مع الردة استحلال الحرام

(الدليل العشرون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة — إلى قوله — ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء فقد ضل سواء السبيل أي أخطأ الصراط المستقيم وخرج عنه إلى الضلالة فاين هذا ممن يدعي أنه على الصراط المستقيم لم يخرج عنه فان هذا تكذيب لله ومن كذب الله فهو كافر ، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار ومن استحل محرما فهو كافر ، ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالارحام والاولاد فقال (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة

يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) فلم يعذر تعالى من اعتذر بالارحام والاولاد والخوف عليها ومشقة مفارقتها بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة ولا تغني من عذاب الله شيئا كما قال في الاية الاخرى (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)

(الدليل الحادي والعشرون) من السنة ما رواه أبو داود وغيره عن سمرة ابن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » فجعل ﷺ في هذا الحديث من جامع المشركين أي اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم ؟ فان قالوا خفنا قيل لهم كذبتم، وأيضا فليس الخوف بعذر كما قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الاذى والخوف فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف وإنما جاء وابا الباطل محبة له وخوفا من الدوائر والادلة على هذا كثيرة ، وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته

وأما من أراد الله فتنته وضلالته فكما قال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) ونسأل الله الكريم المنان أن يحيينا مسلمين وأن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين ، برحمته وهو أرحم الراحمين

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

آمين

تمت وبعدها ست مسائل سئل عنها الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى أيضا وعفا عنا وعنهم أجمعين وعن سائر المسلمين آمين

الرساله الثامنة

(في حكم السفر الى بلاد الشرك والاقامة فيها للتجارة واظهار علامات التفاق وموالاة الكفار)

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي مسائل سئل الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب فأجاب

(المسئلة الاولى) هل يجوز للمسلم ان يسافر الى بلد الكفار الحربية لاجل التجارة ام لا ؟

(الجواب) الحمد لله ان كان يقدر على اظهار دينه ولا يوالي المشركين جاز له ذلك فقد سافر بعض الصحابة رضي الله عنهم كابي بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة الى بلدان المشركين لاجل التجارة ولم ينكر ذلك النبي ﷺ كما رواه أحمد في مسنده وغيره وان كان لا يقدر على اظهار دينه ولا على عدم موالاتهم لم يجز له السفر الى ديارهم كما نص على ذلك العلماء وعليه تحمل الاحاديث التي تدل على النهي عن ذلك ولان الله تعالى اوجب على الانسان العمل بالتوحيد وفرض عليه عداوة المشركين فما كان ذريعة وسببا الى اسقاط ذلك لم يجز وايضا فقد يجر ذلك الى موافقتهم وارضائهم كما هو الواقع كثيرا ممن يسافر الى بلدان المشركين من فساق المسلمين نعوذ بالله من ذلك

(المسئلة الثانية)هل يجوز للانسان ان يجلس في بلد الكفار وشعائر الكفر ظاهرة لاجل التجارة؟

(الجواب) عن هذه المسئلة هو الجواب عن التي قبلها سواء ولا فرق في ذلك بين دار الحرب او دار الصلح فكل بلد لا يقدر المسلم على اظهار دينه فيها لا يجوز له السفر اليها

(المسئلة الثالثة) هل يفرق بين المدة القريبة مثل شهر او شهرين و المدة البعيدة ؟

(الجواب)انه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة فكل بلد لا يقدر على اظهار دينه فيها ولا على عدم موالاة المشركين لا يجوز له المقام فيها ولا يوما واحدا اذا كان يقدر على الخروج منها

(المسئلة الرابعة) في معنى قوله تبارك وتعالى(انكم اذا مثلهم)وقوله في الحديث « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله »

(الجواب)ان معنى الآية على ظاهرها وهو ان الرجل اذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فجلس عند الكافرين المستهزئين من غير اكراه ولا انكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فهو كافر مثلهم وان لم يفعل فعلهم لان ذلك يتضمن الرضا بالكفر والرضا بالكفر كفر وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على ان الراضي بالذنب كفاعله فان ادعى انه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه لان الحكم على الظاهر وهو قد اظهر الكفر فيكون كافرا ، ولهذا لما وقعت الردة بعد موت النبي ﷺ وادعى اناس انهم كرهوا ذلك لم يقبل منهم الصحابة ذلك بل جعلوهم كلهم مرتدين الا من انكر بلسانه وقلبه وكذلك قوله في الحديث «من جامع المشرك وسكن

معه فانه «مثله» على ظاهره وهو ان الذي يدعي الاسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم بحيث يعده المشركون منهم فهو كافر مثلهم وان ادعى الاسلام الا ان كان يظهر دينه ولا يوالي المشركين

ولهذا لما ادعى بعض الناس الذين اقاموا بمكة بعد ماهاجر النبي ﷺ فادعوا الاسلام الا انهم اقاموا في مكة يعدهم المشركون منهم وخرجوا معهم يوم بدر كارهين للخروج فقتلوا فظن بعض الصحابة انهم مسلمون وقالوا قتلنا اخواننا فانزل الله تعالى فيهم (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم) الآية قال السدي وغيره من المفسرين انهم كانوا كفارا ولم يعذر الله تعالى الا المستضعفين

(المسئلة الخامسة) هل يقال لمن اظهر علامات النفاق ممن يدعي الاسلام انه منافق ام لا ؟

(الجواب) انه من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب على المؤمنين وخذلانهم عند اجتماع العدو كالذين قالوا (لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر) الآية . وكونه إذا غلب المشركون التجأ معهم وان غلب المسلمون التجأ اليهم ومدحه للمشركين بعض الاحيان وموالاتهم من دون المؤمنين وأشباه هذه العلامات التي ذكر الله أنها علامات للنفاق وصفات للمنافقين فانه يجوز إطلاق النفاق عليه وتسميته منافقا ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك كثيراً كما قال حذيفة رضي الله عنه : ان الرجل ليتكلم بالكلمة في عهد رسول الله ﷺ فيكون بها منافقا . وكما قال عوف بن مالك رضي الله عنه لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح : كذبت ولكنك منافق . وكذلك قال عمر

في قصة حاطب : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق — وفي رواية — دعني أضرب عنقه فانه منافق . وأشباه ذلك كثير ، وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عبادة لما قال ذلك الكلام : كذبت ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ، ولكن ينبغي أن يعرف انه لا تلازم بين إطلاق النفاق عليه ظاهراً وبين كونه منافقا باطنا ، فاذا فعل علامات النفاق جاز تسميته منافقا لمن أراد أن يسميه بذلك وإن لم يكن منافقا في نفس الامر ، لان بعض هذه الامور قد يفعلها الانسان مخطئا لا علم عنده أو لمقصد يخرج به عن كونه منافقا ، فمن أطلق عليه النفاق لم ينكر عليه كما لم ينكر النبي ﷺ على أسيد بن حضير تسميته سعداً منافقا مع أنه ليس بمنافق ، ومن سكت لم ينكر عليه ، بخلاف المذبذب الذي ليس مع المسلمين ولا مع المشركين فانه لا يكون إلا منافقا

واعلم أنه لا يجوز إطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصبية ، أو لكونه يشاحن رجلا في أمر دنيا أو يبغضه لذلك ، أو لكونه يخالف في بعض الامور التي لا يزال الناس فيها مختلفين ، فليحذر الانسان أشد الحذر فانه قد صح في ذلك الحديث عن النبي ﷺ فيمن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله . وإنما يجوز من ذلك ما كانت العلامات مطردة في النفاق كالعلامات التي ذكرناها وأشباهها بخلاف مثل الكذبة والفجرة ونحو ذلك وكان قصد الانسان ونيته إعلاء كلمة الله تعالى ونصر دينه

﴿ المسئلة السادسة ﴾ في الموالاة والمعاداة هل هي من معنى لا إله الا الله أو من لوازمها ؟

(الجواب) أن يقال : الله أعلم لكن حسب المسلم أن يعلم أن الله

افترض عليه عداوة المشركين وعدم موالاتهم ، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم ، وأخبر ان ذلك من شروط الايمان ونفى الايمان عمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم

وأما كون ذلك من معنى لا إله الا الله أو لوازمها فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك وانما كلفنا بمعرفة أن الله تعالى فرض ذلك وأوجبه وأوجب العمل به فهذا هو الفرض والحتم الذي لاشك فيه ، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لازمها فهو حسن وزيادة خير ، ومن لم يعرفه فلم يكلف بمعرفة لاسيما اذا كان الجدال والمنازعة فيه مما يفضي الى شر واختلاف ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الايمان ، وجاهدوا في سبيل الله وعادوا المشركين ووالوا المسلمين فالسكوت عن ذلك متعين ، وهذا ماظهر لي على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى والله تعالى أعلم ولله الحمد والمنة . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً آمين

الرسالة التاسعة

(في معنى كلمة التوحيد وتضمنها الكفر بما يعبد من دون الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل العالم العلامة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن المعروف بابا بطين رحمه الله تعالى عن معنى لا إله إلا الله وعمن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله وهل من تألهها ودعا نبيا أو وليا هل تنفعه أو هو مباح الدم والمال ولو قالها؟

أجاب رحمه الله تعالى وعفا عنه . معنى لا إله إلا الله عند جميع أهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء كلهم يفسرون الاله بالمعبود والتأله التعبد وأما

العبادة فعرفها بعضهم بانه ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي ، والمأثور عن السلف تفسير العبادة بالطاعة فيدخل في ذلك فعل المأمور وترك المحظور من واجب ومندوب وترك المنهى عنه من محرم ومكروه فمن جعل نوعا من أنواع العبادة لغير الله كالدعاء والسجود والذبح والنذر وغير ذلك فهو مشرك . ولا اله الا الله متضمنة للكفر بما يعبد من دونه لان معنى لا اله الا الله اثبات العبادة لله وحده والبراءة من كل معبود سواه وهذا معنى الكفر بما يعبد من دونه لان معنى الكفر بما يعبد من دونه البراءة منه واعتقاد بطلانه

وهذا معنى الكفر بالطاغوت في قول الله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) والطاغوت اسم لكل معبود سوى الله كما في قوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح « من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » فقوله وكفر بما يعبد من دون الله فالظاهر أن هذا زيادة ايضاح لأن لا اله الا الله متضمنة الكفر بما يعبد من دون الله . ومن قال لا اله الا الله ومع ذلك يفعل الشرك الاكبر كدعاء الموتى والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب اليهم بالنذور والذبائح فهذا مشرك شاء أم أبي والله لا يغفر أن يشرك به ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار . ومع هذا الفعل مشرك ومن فعله فهو كافر

ولكن على ماقال الشيخ لا يقال فلان كافر حتى يبين له ماجاء به الرسول ﷺ فان أصر بعد البيان حكم بكفره وحل دمه وماله . وقال تعالى (وقاتلوهم

حتى لا تكون فتنة) أي شرك (ويكون الدين كله لله) فاذا كان في بلد وثن يعبد من دون الله قوتلوا لاجل هذا الوثن أي لازالته وهدمه وترك الشرك حتى يكون الدين كله لله ، والدعاء دين سماه الله دينا كما في قوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) أي الدعاء وقال ﷺ « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لاشريك له » فمتى كان شيء من العبادة مصروفا لغير الله فالسيف مسلول على ذلك والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الرسالة العاشرة

(في معنى كلمة التوحيد له أيضا)

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل بعض الاخوان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمة الله تعالى علينا وعليه عن معنى لا إله إلا الله وماتنفي وماتثبت

فاجاب رحمه الله تعالى : وماسألت عنه من معنى لا إله إلا الله وما تثبت وماتنفي ؟ فاول واجب على الانسان معرفة معنى هذه الكلمة قال الله تعالى لنبيه ﷺ (فاعلم أنه لا إله الا الله) وقال (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق) أى بلا إله إلا الله (وهم يعلمون) بقلوبهم ماشهدوا به بالسنتهم فأفرض الفرائض معرفة معنى هذه الكلمة ثم التلفظ بمقتضاها فالاله هو المعبود والتأله التعبد [1] لامعبود

« ١ » بياض بالاصل وما سقط هنا يعلم مما تكرر مرارا في هذه المجموعة

الا الله نفت الالهية عمن سوى الله وأثبتتها لله تعالى وحده

فاذا عرفت أن الاله هو المعبود والالهية هي العبادة والعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله تعالى ويرضاه من الاقوال والافعال فالاله هو المعبود المطاع فمن جعل شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك وذلك كالسجود والدعاء والذبح والنذر وكذلك التوكل والخوف والرجاء وغير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة وإفراد الله سبحانه بالعبادة ونفيها عمن سواه هو حقيقة التوحيد وهو معنى لا إله الا الله فمن قال لا إله الا الله بصدق ويقين أخرجت من قلبه كل ماسوى الله محبة وتعظيما واجلالا ومهابة وخشية وتوكلا فلا يصير في قلبه محبة لما يكرهه الله ولا كراهة لما يحبه وهذا حقيقة الاخلاص الذي قال فيه ﷺ « من قال لا إله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة أو حرم الله عليه النار » قيل للحسن البصري إن ناسا يقولون من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال: من قال لا اله الا الله فأدى حقها وفرضها الخ ،وغالب من يقول لا اله الا الله انما يقولها تقليداً ولم يخالط الايمان بشاشة قلبه فلا يعرف الاخلاص فيها ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت وفي غالب من يفتن القبور(١) أمثال هؤلاء كما في الحديث «سمعت الناس يقولون شيئا فقلته» نسأل الله أن يثبتنا وايا كم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

(١) كذا في الاصل وفيه تحريف وسقط من النساخ والمعنى ان غالب من يفتن في القبور عند السؤال أمثال هؤلاء. وأشار الى مافي حديث اسماء في الصحيحين من ان المنافق والمرتاب اذا سئل « ماعلمك بهذا الرجل ؟ يعني النبي (ص) ـ قال «لاأدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته»

الرسالة الحادية عشر

(في تعريف العبادة وتوحيدها والاخلاص والنسب بينها)

ومعنى الإله ومعنى الطاغوت الذي أمرنا بالكفر به

وله أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

ماقولكم دام فضلكم في تعريف العبادة وتعريف توحيد العبادة وأنواعه وتعريف الاخلاص ومابين الثلاثة من العموم والخصوص وهل هو مطلق أو وجهي ومامعنى الاله وما معنى الطاغوت الذي أمرنا باجتنابه والكفر به ؟

(الجواب) الحمد لله رب العالمين : أما العبادة في اللغة فهي من الذل يقال بعير معبد أي مذلل وطريق معبد اذا كان مذللا قد وطأته الاقدام، وكذلك الدين أيضا من الذل يقال دنته فدان أي ذللته فذل

وأما تعريفها في الشرع فقد اختلفت عبارتهم في تعريفها والمعنى واحد(١)

«١» التحقيق ان المعنى الكلي الجامع لكل ماذكروه ولا يصح شيء بدونه ان العبادة كل عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعده صاحبه قربة لمن له سلطان غيبي فوق ادراك العقل غير مقيد بالاسباب المسخرة للناس فيستطيع ان ينفع ويضر من غير طريق الاسباب التي ينفع أو يضر بها بعض الناس بعضا، والاله المعبود هو صاحب هذا السلطان الغيبي سواء كان له من ذاته لذاته وهو رب العالمين كلهم وهو المعبود بحق ـ او كان له بما يعتقد من قربه من الرب تعالى وتأثيره في ارادته بحيث يفعل الرب لاجله او يمكنه من الفعل ـ وهذا هو المعبود بالباطل لان الرب لا يشرك في فعله ولا في حكمه احدا . وكتبه محمد رشيد رضا

فعرفها طائفة بقولهم: هي ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي، وعرفها طائفة بانها: كمال الحب مع كمال الخضوع، وقال أبو العباس رحمه الله تعالى هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والحج وصدق الحديث وأداء الامانة وبر الوالدين وصلة الارحام والوفاء بالعهد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين والاحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة اليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضاء بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك، فالدين كله داخل في العبادة انتهى

ومن عرفها بالحب مع الخضوع فلأن الحب التام مع الذل التام يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له والخضوع لمحبوبه فالعبد هو الذي ذلله الحب فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون طاعته فمحبة العبد لربه وذله له يتضمن عبادته وحده لا شريك له والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى

ليس العبادة غير توحيد المحبة * مع خضوع القلب والاركان
والحب نفس وفاقه فيما يحب * وبغض مالا يرتضي بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره * والقصد وجه الله ذي الاحسان

فعرف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح، فمن أحب شيئا وخضع له فقد تعبد قلبه له فلا تكون المحبة المنفردة عن

الخضوع عبادة ولا الخضوع بلا محبة عبادة فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر ، فمن خضع لانسان مع بغضه له لم يكن عابداً له ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابداً له كما يحب ولده وصديقه(١) ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء بل لا يستحق المحبة الكاملة والذل التام إلا الله سبحانه وتعالى

إذا عرف ذلك فتوحيد العبادة هو إفراد الله سبحانه بانواع العبادة المتقدم تعريفها وهو نفس العبادة المطلوبة شرعا ليس أحدهما دون الآخر ولهذا قال ابن عباس : كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد . وهذا هو التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون

وأما العبادة من حيث هي فهي أعم من كونها توحيداً عموما مطلقا فكل موحد عابد لله وليس كل من عبد الله يكون موحداً ولهذا يقال عن المشرك إنه يعبد الله مع كونه مشركا كما قال الخليل ﷺ (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون * فانهم عدو لي إلا رب العالمين) وقال أيضا عليه السلام(إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فانه سيهدين) فاستثنى الخليلُ ربه من معبوديهم فدل على أنهم يعبدون الله سبحانه (٢)

---

(١) لكن هنالك حبا مقترنا بالخضوع والذل والطاعة ولا يسمى عبادة الا من باب التجوز وهو حب العاشق المتبول لمعشوقه فحبه هذا لا يعد شركا بالله تعالى فهو ليس عبادة حقيقة لان العاشق لا يعتقد ان لمعشوقه سلطانا بقدرته على التصرف في الكون من غير طريق الاسباب المسخرة للناس

(٢) لو كانوا يعبدونهم وحدهم ولا يعبدون الله تعالى لما سميت عبادتهم شركا به سبحانه . وقد قال تعالى(وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون)

فان قيل ما معنى النفي في قوله سبحانه(ولا أنتم عابدون ما أعبد)؟ قيل إنما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد ، وقد نبه ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا المعنى اللطيف في بدائع الفوائد فقال لما انجر كلامه على سورة قل يا أيها الكافرون :

«وأما المسئلة الرابعة وهو أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم الفاعل وفي جهته جاء بالفعل المستقبل تارة وباسم الفاعل أخرى وذلك والله أعلم لحكمة بديعة وهي أن المقصود الاعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت فاتى أولا بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد، ثم أتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت فأفاد في النفي الاول أن هذا لا يقع مني، وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي ولا شأني، فكأنه قال عبادة غير الله لا تكون فعلا لي ولا وصفا فأتى بنفيين مقصودين بالنفي، وأما في حقهم فانما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل ، أي الوصف الثابت اللازم للعابد لله منتف عنكم فليس هذا الوصف ثابتا لكم وإنما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة لم يشرك معه فيها أحداً ،وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه وإن عبدتموه في بعض الاحيان فان المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره كما قال أهل الكهف (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله) أي اعتزلتم معبوديهم الا الله فانكم لم تعتزلوه وكذا قول المشركين عن معبوديهم (إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى) فهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره لم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم ونفى الوصف لان من عبد غير الله لم يكن ثابتا

على عبادة الله موصوفا بها، فتأمل هذه النكتة البديعة كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بانه عابد لله وان عبده ولا المستقيم على عبادته إلا من انقطع اليه بكليته وتبتل اليه تبتيلا لم يلتفت الى غيره ولم يشرك به أحداً في عبادته، وانه ان عبده وأشرك به غيره فليس عابدا لله ولا عبدا له، وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة التي هي أحدى سوري الاخلاص التي تعدل ربع القرآن كما جاء في بعض السنن، وهذا لا يفهمه كل أحد ولا يدركه إلا من منحه الله فهما من عنده فله الحمد والمنة» انتهى كلامه رحمه الله تعالى

وأما الاخلاص فحقيقته أن يخلص العبد لله في أقواله وأفعاله وارادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة ابراهيم ﷺ التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الاسلام (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وهي ملة ابراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه) وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على اشتراط الاخلاص للاعمال والاقوال الدينية وان الله لا يقبل منها إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه. ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم ويرون الاخلاص أعز الاشياء وأشقها على النفس، وذلك لمعرفتهم بالله وما يجب له ويعلل الاعمال وآفاتها، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم وانما يهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه أو المنقصة له، قال الامام احمد رحمه الله تعالى: أمر النية شديد، وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا أشد علي من نيتي لانها تنقلب علي، وقال يوسف بن أسباط تخليص النية من فسادها أشد على

العاملين من طول الاجتهاد ، وقال سهل بن عبد الله ليس على النفس شيء أشق من الاخلاص لانه ليس لها فيه نصيب ، وقال يوسف بن الحسين أعز شيء في الدنيا الاخلاص ولم أجتهد إلا في إسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه على لون آخر ، فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء لان الاعمال بالنيات ولكل امريء ما نوى

وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص وهل هو وجهي أو مطلق فقد قدمنا أن العبادة من حيث هي أعم من توحيد العبادة عموما مطلقا وان العبادة المطلوبة شرعا هي نفس توحيد العبادة ودل كلام ابن القيم رحمه الله تعالى أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص حيث قال :

فلواحد كن واحدا في واحد أعني سبيل الحق والايمان
هذا وثاني نوعي التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمان
أن لا تكون لغيره عبداً ولا تعبد بغير شريعة الايمان
فتقوم بالاخلاص والايمان والإحسان في سر وفي اعلان
والصدق والاخلاص ركنا ذلك التو حيد كالركنين للبنيان

الى أن قال رحمه الله تعالى

وحقيقة الاخلاص توحيد المر اد فلا يزاحمه مراد ثاني
والصدق توحيد الارادة وهو بذ ل الجهد لا كسلا ولا متواني
والسنة المثلى لسالكها فتو حيد الطريق الاعظم السلطاني

فقوله رحمه الله تعالى والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد جعل الاخلاص أحد ركني توحيد العبادة والصدق ركنه الآخر وفسر

الصدق بما ذكر ، وقال في بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص . فعرفنا رحمه الله تعالى أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص ولم يذكر إلا عموما مطلقا . وأما العموم الوجهي فالظاهر أن المراد به إذا كان أحد الشيئين أعم من وجه وأخص من وجه والعموم الذي بين مطلق العبادة وبين توحيد العبادة والاخلاص مطلق لا وجهي

وأما الاله فهو الذي تألهه القلوب بالمحبة والخضوع والخوف والرجاء وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة والتوكل والاستغاثة والدعاء والذبح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة فهو إله بمعنى مألوه أي معبود، وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى الاله قال الجوهري: أله بالفتح الهة أي عبد عبادة قال ومنه قولنا الله وأصله إلاه على فعال بمعنى مفعول لانه مألوه بمعنى معبود كقولنا امام فعال بمعنى مفعول لانه مؤتم به قال والتأليه التعبيد والتأله التنسك والتعبد قال رؤبة: * سجن واسترجعن من تألهي * انتهى

وقال في القاموس أله إلهة وألوهة عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة واختلف فيه على عشرين قولا يعني في لفظ الجلالة . قال وأصله إله بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه . قال والتأله التنسك والتعبد انتهى

وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الاله بانه المعبود ، وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين فظن أن الاله هو القادر على الاختراع وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش إذا تصوره العامي العاقل تبين له بطلانه وكأن هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرون بان الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك مشركون

ومن أبعد الاشياء أن عاقلا يمتنع من التلفظ بكلمة يقر بمعناها ويعترف به ليلا ونهاراً سراً وجهاراً هذا مالا يفعله من له أدنى مسكة من عقل ، قال أبو العباس رحمه الله تعالى وليس المراد بالاله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظن أن الالوهية هي القدرة على الاختراع وأن من أقر بان الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله فان المشركين كانوا مقرين بهذا التوحيد كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ؟) الآيات وقال تعالى (ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال ابن عباس رضي الله عنهما تسألهم من خلق السموات والارض ؟ فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره ، وهذا التوحيد من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به الواجب ولا يخلص بمجرده من الاشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله بل لا بد أن يخلص لله الدين فلا يعبد إلا إياه فيكون دينه لله، والاله هو المألوه الذي تألهه القلوب فهو إله بمعنى مألوه لا بمعنى آله انتهى

وقد دل صريح القرآن على معنى الاله وأنه هو المعبود كما في قوله تعالى (وإذ قال ابراهيم لابيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فانه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه) قال المفسرون هي كلمة التوحيد « لا إله إلا الله» باقية في عقبه أي ذريته . قال قتادة لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده ، والمعنى جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في ذرية ابراهيم يتوارثها الانبياء واتباعهم

بعضهم عن بعض وهي كلمة « لا إله إلا الله » فتبين أن موالاة الله سبحانه بعبادته والبراءة من كل معبود سواه هو معنى « لا إله الا الله »

اذا تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئا من العبادة المتقدم تعريفها كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك فقد عبد ذلك الغير واتخذه الها واشركه مع الله في خالص حقه وان فر من تسمية فعله ذلك تألها وعبادة وشركا، ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الاشياء لا تتغير بتغير أسمائها فلما سمى الزنا والربا والخمر بغير أسمائها لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمرا ونحو ذلك. ومن المعلوم أن الشرك انما حرم لقبحه في نفسه وكونه متضمنا مسبة الرب وتنقصه وتشبيهه بالمخلوقين فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه كتسميته توسلا وتشفعا وتعظيما للصالحين وتوقيرا لهم ونحو ذلك فالمشرك مشرك شاء أم أبى كما أن الزاني زان شاء أم أبى والمرابي مرابي شاء أم أبى، وقد أخبر النبي ﷺ أن طائفة من أمته يستحلون الربا باسم البيع ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها وذمهم على ذلك فلو كان الحكم دائراً مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستحق الذم، وهذه من أعظم مكايد الشيطان لبني آدم قديما وحديثا أخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم وغير اسمه بتسميته اياه توسلا وتشفعاً ونحو ذلك والله الهادي الى سواء السبيل.

وأما تعريف الطاغوت فهو مشتق من طغا وتقديره طغوت، ثم قلبت الواو ألفا، قال النحويون وزنه فعلوت والتاء زائدة، وقال الواحدي قال جميع أهل اللغة: الطاغوت كل ماعبد من دون الله يكون

واحداً وجمعاً ويذكر ويؤنث ، قال تعالى (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) فهذا في الواحد ، وقال تعالى في الجمع (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) وقال في المؤنث (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) قال ومثله في أسماء الفلك يكون واحداً وجمعا ومذكراً ومؤنثا قال : قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة : الطاغوت كل ماعبد من دون الله وقال الجوهري : الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال ، وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف : كل ماعبد من دون الله فهو طاغوت . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما وكثير من المفسرين : الطاغوت الشيطان . قال ابن كثير رحمه الله تعالى وهو قول قوي جداً فانه يشمل كل ماعليه أهل الجاهلية من عبادة الاوثان والتحاكم اليها والاستنصار بها ، وقال الواحدي عند قول الله تعالى (يؤمنون بالجبت والطاغوت) كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت ، قال ابن عباس في رواية عطية : الجبت الاصنام ، والطاغوت تراجمة الاصنام الذين يكونون بين أيديهم يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس ، وقال في رواية الوالبي : الجبت الكاهن ، والطاغوت الساحر ، وقال بعض السلف في قوله سبحانه (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) انه كعب بن الاشرف ، وقال بعضهم حيي بن أخطب ، وانما استحقا هذا الاسم لكونهما من رءوس الضلال ، ولافراطهما في الطغيان واغوائهما الناس ولطاعة اليهود لهما في معصية الله فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت)

لما ذكر ماقيل إنها نزلت فيمن طلب التحاكم إلى كعب بن الاشرف أو إلى حاكم الجاهلية وغير ذلك، قال والآية أعم من ذلك كله فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ماسواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا

فتحصل من مجموع كلامهم رحمهم الله تعالى أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله، وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسنه، ويشمل أيضا كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ويشمل أيضاً الكاهن والساحر وسدنة الاوثان إلى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضلة للجهال الموهمة أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من توجه اليه وقصده، وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذب أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده فيوقعهم في الشرك الاكبر وتوابعه

وأصل هذه الانواع كلها وأعظمها الشيطان فهو الطاغوت الاكبر والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

هذا ما جمعه الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن

المعروف بأبابطين شكر الله سعيه

آمين





الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة

جمع الشيخ العالم العلامة

الشيخ عبدالله ابن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ابن الشيخ سليمان بن علي

مفتي الديار النجدية في زمنه

رحمهم الله تعالى ، ورفع درجاتهم

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه نستعين ﴾

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا (من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي بعثه رحمة للعالمين ، وحجة على المعاندين، الذي أكمل به الدين ، وختم به الانبياء والمرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين

﴿ أما بعد ﴾ فهذه فصول وكلمات نقلتها من كلام العلماء المجتهدين من أصحاب الأئمة الاربعة الذين هم أئمة أهل السنة والدين ، في بيان بعض الافعال والاقوال المكفرة للمسلم المخرجة له من الدين، وأن تلفظه بالشهادتين وانتسابه إلى الاسلام وعمله ببعض شرائع الدين لا يمنع من تكفيره وقتله وإلحاقه بالمرتدين .

والسبب الحامل على ذلك ان بعض من ينتسب إلى العلم والفقه من أهل هذا الزمان غلط في ذلك غلطا فاحشا قبيحا ، وأنكر على من أفتى به من أهل العلم والدين إنكاراً شنيعا، ولم يكن لهم بانكار ذلك مستند صحيح لا من كلام الله ولا من كلام رسوله ولا من كلام أئمة العلم والدين ، الا أنه خلاف عاداتهم وأسلافهم ، عياذاً بالله من الجهل والخذلان والتعصب

وأذكر من ذلك ما مست اليه الحاجة وغلط فيه من غلط من المنسوبين إلى العلم في هذا الزمان ، الذين غلبت عليهم الشقاوة والجهل والتعصب والخذلان ، لما جبلوا عليه من مخالفة الكتاب والسنة ، وعمل السلف والائمة المهديين ، وحب الرياسة وشهوات الدنيا ، والطمع فيما في أيدي الناس والفسقة المعاندين، نسأل الله أن يوفقنا لما يرضاه من العمل، ويجنبنا لما يسخطه من الزلل، انه لايخيب من رجاه ، ولا يرد سؤال من دعاه ، فنقول وبالله التوفيق

اعلم أن هذه المسائل من أهم ما ينبغي للمؤمن الاعتناء بها لئلا يقع في شيء منها وهو لا يشعر ، وليتبين له الاسلام والكفر حتى يتبين له الخطأ من الصواب،ويكون على بصيرة في دين الله ولا يغتر بأهل الجهل والارتياب ،وان كانوا هم الأكثرين عدداً ،فهم الاقلون عند الله وعند رسوله والمؤمنين قدراً . وقد اعتنى العلماء رضي الله عنهم بذلك في كتبهم وبوبوا لذلك في كتب الفقه في كل مذهب من المذاهب الاربعة وهو (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد اسلامه ، وذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر به المسلم ويبيح دمه وماله، وسأذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما يكفي ويشفي لمن هداه الله وألهمه رشده وأجعل كلام كل طائفة من أتباع الائمة الاربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد على حدة ليسهل ذلك على من أراد الاطلاع عليه، ونبدأ بكلامهم في الشرك الاكبر وتكفيرهم لاهله حين وقع في زمانهم من بعض المنتسبين الى الاسلام والسنة لانه هو المهم فنقول :

أما كلام الشافعية فقال ابن حجر رحمه الله تعالى في (كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر)

(الكبيرة الاولى) الكفر أو الشرك أعاذنا الله تعالى منه، ولما كان الكفر أعظم الذنوب كان أحق أن يبسط الكلام عليه وعلى أحكامه قال الله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) وقال تعالى (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الاشراك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس فقال - ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. ثم ذكر أحاديث كثيرة ثم قال

﴿ تنبيهات ﴾

منها بيان الشرك وذكر جملة من أنواعه لكثرة وقوعها في الناس وعلى ألسنة العامة من غير أن يعلموا أنها كذلك، فاذا بانت لهم فلعلهم ان يجتنبوها لئلا تحبط أعمال مرتكبي ذلك ويخلدوا في أعظم العذاب وأشد العقاب، ومعرفة ذلك أمر مهم جداً، فان من ارتكب مكفراً تحبط جميع أعماله ويجب عليه قضاء الواجب منها عند جماعة من الائمة كأبي حنيفة ومع ذلك فقد توسع أصحابه في المكفرات وعدوا منها جملا مستكثرة جداً وبالغوا في ذلك أكثر من بقية أئمة المذاهب. هذا مع قولهم بأن الردة تحبط جميع الاعمال وبأن من ارتد بانت منه زوجته وحرمت عليه، فمع هذا التشديد بالغوا في الاتساع في المكفرات، فتعين على كل ذي مسكة في دينه أن يعرف ما قالوه حتى يجتنبه ولا يقع فيه فيحبط عمله ويلزمه قضاؤه وتبين منه زوجته عند هؤلاء الائمة، بل عند الشافعي رحمه الله تعالى ان الردة وان لم تحبط العمل لكنها تحبط ثوابه فلم يبق الخلاف بينه وبين غيره الا في

القضاء فقط . ثم ذكر أنواع الكفر نوعا نوعا وسيأتي بقية كلامه ان شاء الله تعالى في ذلك ، لكن تأمل رحمك الله قوله: لكثرة وقوعها في الناس على ألسنة العامة من غير أن يعلموا أنها كذلك . وان الشرك والردة قد وقع فيه كثير من أهل زمانه يتبين لك مصداق ما قلنا ان شاء الله تعالى

وقال النووي في شرح مسلم : وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو عيسى أو للكعبة ونحو ذلك . وكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهوديا نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا ، فان قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفراً ، فان كان الذابح قبل ذلك مسلما صار بالذبح مرتداً . انتهى

فتأمل قوله: فان قصد مع ذلك الخ تجده صريحاً في أن المسلم اذا قصد بالذبح لغير الله تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له أنه يصير كافراً مرتدا والله أعلم

فصل

وأما كلام الحنفية فقال في كتاب تبيين المحارم المذكورة في القرآن (باب الكفر) وهو الستر وجحود الحق وانكاره وهو أول ما ذكر في القرآن العظيم من المعاصي ، قال الله تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) الآية وهو أكبر الكبائر على الاطلاق فلا كبيرة فوق الكفر إلى أن قال: واعلم أن ما يلزم به الكفر أنواع : نوع يتعلق بالله سبحانه ، ونوع يتعلق بالقرآن وسائر الكتب المنزلة ، ونوع يتعلق بنبينا

ﷺ وسائر الانبياء والملائكة والعلماء ، ونوع يتعلق بالاحكام ، فأما مايتعلق بالله سبحانه وتعالى اذا وصف اللهَ سبحانه بما لا يليق به بأن شبه الله سبحانه بشيء من المخلوقات أو نفى صفاته ، أو قال بالحلول والاتحاد ، أو معه قديم غيره ، أو معه مدبر مستقل غيره ، أو اعتقد أنه سبحانه جسم ، أو محدث ، أو غير حي ، أو اعتقد أنه لا يعلم الجزئيات ، أو سخر باسم من أسمائه ، أو أمر من أوامره ، أو وعيده ، أو وعده ، أو أنكرهما ، أو سجد لغير الله تعالى ، أو سب الله سبحانه ، أو ادعى أن له ولداً وصاحبة ، أو أنه متولد بشيء كائن عنه ، أو أشرك بعبادته شيئاً من خلقه ، أو افترى على الله سبحانه وتعالى الكذب بادعاء الالهية والرسالة ، أو نفى أن يكون خالقه ربه وقال ليس لي ربا ، أو قال لذرة من الذرات هذه خلقت عبثاً ومهملا وما أشبه ذلك مما لا يليق به (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) يكفر في هذه الوجوه كلها بالاجماع سواء فعله عمد أو هزلا ، ويقتل إن أصر على ذلك ، وإن تاب تاب الله عليه وسلم من القتل . انتهى كلامه بحروفه

فتأمل رحمك الله تصريحه بأن من أشرك في عبادة الله غيره أنه يكفر بالاجماع ويقتل إن أصر على ذلك ، والعبادة التي لا تصلح إلا لله ولا يجوز أن يشرك معه فيها غيره أنواع : منها الدعاء لجلب خير أو دفع ضر ، قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى (ادعوني أستجب لكم) وقال (له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) الآية ، وقال تعالى (فاذا فرغت فانصب) وقال رسول الله ﷺ لابن

عباس « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله »

ومن أنواع العبادة الصلاة فلا يصلى إلا لله ، ولا يسجد ولا يركع إلا لله وحده ، قال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) الآية ، وقال تعالى (فصل لربك وانحر) أي اخلص لربك الصلاة والنحر لاشريك له في ذلك ، وقال النبي ﷺ « لعن الله من ذبح لغير الله » وقد قرن الله بين هاتين العبادتين الصلاة والنسك في هاتين الآيتين فاذا كان من صلى لغير الله أو ركع لغير الله أو سجد لغير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره ، فكذلك من ذبح القربان لغير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره

ومن أنواع العبادة أيضاً الخشية فلا تجوز الخشية إلا لله وحده[1] قال الله تعالى (فلا تخشوا الناس واخشوني) وقال تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فجعل الطاعة لله ولرسوله وجعل الخشية والتقوى لله وحده

ومن أنواع العبادة التوكل وهو اسناد العبد أمره إلى الله وحده لاشريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية ، قال الله تعالى (وعلى الله

(١) المراد بالخشية الخاصة به تعالى وكذا الخوف بعدها نوع خاص منها كأن يكون عن عقيدة دينية كخشية الله والخوف منه لسلطانه الغيبي او ترجيح خشية غيره والخوف منه على ما كان لله تعالى في القلب والعمل بأن ينتهك حرمة دينه خوفاً من اغضاب زيد او رجاء في خير من عمرو واما الخشية والخوف الطبيعيان فلا يعدان شركا ولا معصية اذا لم يترتب عليهما ترك واجب ولا فعل معصية فقد أثبت الله ذلك للمؤمنين ولغيرهم ايضاً كقوله تعالى لاكرم رسله (وتخشى الناس والله احق ان تخشاه) وقوله حكاية عن نبيه زكريا « وإني خفت الموالي من ورائي » وقوله « فأوجس في نفسه خيفة موسى » ومثل هذا القيد يعتبر في الاستعانة ونحوها

فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) فمن توكل على غير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره

ومن أنواع العبادة الاستعانة قال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وقال تعالى (فاعبده وتوكل عليه) وقال النبي ﷺ لابن عباس « اذا استعنت فاستعن بالله » فمن استعان بغير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره

ومن أنواع العبادة النذر فلا ينذر الا لله وحده ، قال الله تعالى (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه) وقال تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيراً) وقال النبي ﷺ « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه »

والحاصل أن العبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من أقوال العباد وأفعالهم مما أمرهم به في كتابه على لسان رسوله ﷺ ، وقد صرح هذا الحنفي في كتابه الذي قدمته لك أن من أشرك في عبادة الله غيره فهو كافر بالاجماع سواء فعله عمداً أو هزلا ، وأنه يقتل ان أصر على ذلك ، وان تاب تاب الله عليه وسلم من القتل والله أعلم

وذكر أيضاً ان مايكون فعله كفراً بالاتفاق اذا فعله المسلم تحبط جميع أعماله ويلزمه اعادة الحج ولا يلزمه اعادة الصلاة والصوم لانهما يسقطان عن المرتد ويكون وطؤه مع امرأته حراما وزنا ، وإن أتى بكلمة الشهادة بحكم العادة ولم يرجع عما قاله لا يرتفع الكفر والله أعلم

وقال الشيخ قاسم في شرح الدرر : النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلا يا سيدي فلان ان رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب والطعام أو الشمع كذا باطل

إجماعا لوجوه (منها) ان النذر للمخلوق لا يجوز (ومنها) أن ذلك كفر ـ إلى أن قال ـ وقد ابتلي الناس بذلك ولا سيما في مولد أحمد البدوي اه فصرح بأن هذا النذر كفر يكفر به المسلم والله أعلم

ومن كلام الشافعية أيضاً ما قاله الامام المحقق ناصر السنة شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم محدث الشام المعروف بأبي شامة في كتاب (الباعث على انكار البدع والحوادث) ومن هذا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد (١) ومواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حالك انه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية فيحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه ويظنون انهم متقربون بذلك ، ثم يتجاوزون ذلك الى أن يعظم وقع تلك الاماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم وهي بين عيون وشجر ، وحائط وحجر

وفي مدينة دمشق صانها الله تعالى مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما ، والعمود المخلق داخل باب الصغير والشجرة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها ، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه محمد بن اسحاق وسفيان بن عيينة عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم ويعكفون عندها ويذبحون لها ـ وفي رواية ـ خرجنا مع النبي ﷺ قبل حنين والمشركين

(١) تخليقها تضميخها بالخلوق وهو نوع من الطيب والمراد تطييبها مطلقا

سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله ـ وفي الرواية الاولى ـ وكانت تسمى ذات أنواط فمررنا بشجرة عظيمة خضراء فتنادينا من جنبتي الطريق ونحن نسير إلى حنين يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي ﷺ «هذا كما قال قوم موسى لموسى (اجعل لنا إلـٰها كما لهم آلهة) لتركبن سنن من كان قبلكم» أخرجه الترمذي بلفظ آخر والمعنى واحد وقال هذا حديث حسن صحيح . قال الامام أبو بكر الطرطوشي في كتابه : فانظروا رحمكم تعالى أيما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شانها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها أسلحتهم ويضربون عليها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها

الجائي

قلت ولقد أعجبني ماصنعه الشيخ ابو اسحاق الحينبائي رحمه الله تعالى أحد الصالحين ببلاد أفريقية في المائة الرابعة حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية كان العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق من تعذر عليه نكاح أو ولد قال امضوا بي إلى عين العافية فتعرف بها الفتنة قال أبو عبدالله فأنا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي اسحاق نحوها فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها ثم قال : اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأسا فما رفع لها رأس الى الآن

قلت وأدهى من ذلك وأمرّ إقدامهم على قطع الطريق السابلة يجيزون في أحد الأبواب الثلاثة القديمة العادية التي هي من بناء الجن في زمن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام أو من بناء ذي القرنين

وقيل فيها غير ذلك ما يؤذن بالتقدم على مانقلناه في كتاب تاريخ مدينة دمشق حرسها الله تعالى وهو الباب الشمالي ذكره لهم بعض من لا يوثق به في أحد شهور سنة ست وثلاثين وستمائة أنه رأى مناما يقتضي أن ذلك المكان دفن فيه بعض أهل البيت ، وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك فقطعوا طريق المنارة فيه وجعلوا الباب بكماله أصل مسجد مغصوب وقد كان الطريق يضيق بسالكيه فتضاعف الضيق والحرج على من دخل ومن خرج ضاعف الله عذاب من تسبب في بنائه ،وأجزل ثواب من أعان على هدمه وازالته وإعدامه اتباعا لسنة النبي ﷺ في هدم مسجد الضرار المرصد لاعدائه من الكفار

(قلت) فلم ينظر الشرع الى كونه مسجدا وهدمه لمن قصد به السوء والردى وقال الله تعالى لنبيه ﷺ (لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى) الآية اسأل الله الكريم معافاته من كل مايخالف رضاه، وان لايجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه انتهى

فتأمل رحمك الله تعالى كلام هذا الامام وتصريحه بأن الذي تفعله العامة في زمانه في العمد والشجر والمواضع المخصوصة أنه مثل فعل المشركين بذات أنواط وكذلك تصريح أبي بكر الطرطوشي وكان من أئمة المالكية بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها فهي ذات أنواط وكذلك تأمل قوله ولقد أعجبني مافعله الشيخ أبو اسحاق ببلاد افريقية فى المائة الرابعة في هدمه تلك العين التي تسمى عين العافية لما رأى الناس يقصدونها ويتبركون بها يتبين لك أن الشرك قد حدث في هذه الامة من زمان قديم، وأن أهل العلم رضي الله عنهم ينكرون ذلك أشد

الانكار، ويهدمون ما قدروا عليه مما يفتتن به الناس وأن هذا مما حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة ، وأن ذلك ليس من الدين باجماع أهل العلم ويجب على من قدر على ذلك ازالته فويل للامراء والقضاة القادرين على ازالته والنهي عنه

وتأمل أيضا كلام أبي شامة في المسجد الذي بني على قارعة الطريق وتمنيه هدمه وازالته وتشبيهه اياه بمسجد الضرار ،وكان أبو شامة رحمه الله تعالى في أوائل القرن السابع ومعلوم أن الامر لا يزيد الا شدة والله أعلم فهذا ما وقفنا عليه من كلام الشافعية والحنفية في هذه المسئلة

(فصل) وأما كلام الحنابلة فقال الامام أبو الوفا ابن عقيل لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج أو كتب الرقاع فيها : يامولاي افعل بي كذا .وكذا القاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى كلامه فتأمل قوله وهم عندي كفار بهذه الاوضاع وتشبيهه اياهم بمن عبداللات والعزى ،

وقال الشيخ تقي الدين في الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وأمره ﷺ بقتالهم قال فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب الى الاسلام من مرق مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال (لاتغلوا في دينكم) الآية ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حرق

الغالية من الرافضة فأمر باخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق ، وهو قول اكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء ، وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو في علي بن ابي طالب بل الغلو في المسيح ونحوه فكل من غلا في نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول ياسيدي فلان انصرني اواغثني اوارزقني اواجبرني اوانا في حسبك اونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله تعالى انما ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه إله آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق اوتنزل المطر أو تنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون (انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى) ويقولون (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) الآية قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة الى أن قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) وكان ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه امته حتى قال رجل ما شاء الله وشئت قال « اجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده » ونهى عن الحلف بغير الله وقال

« من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال في مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا وقال « اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد» ولهذا اتفق أئمة الاسلام على أنه لايشرع بناء المساجد على القبور ولاالصلاة عندها وذلك لان من أكبر اسباب عبادة الاوثان كان تعظيم القبور ، ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لانه انما يكون لاركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق بيت الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا الا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (ومن يشرك بالله فقدافترى اثما عظيما) ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه فأعظم آية في القرآن آية الكرسي (الله لااله الا هو الحي القيوم) وقال ﷺ « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » والاله هو الذي يألهه القلب عبادة واستعانة ورجاء له وخشية واجلالا انتهى كلامه

فتأمل أول الكلام وآخره وتأمل كلامه فيمن دعا نبيا أو وليا مثل أن يقول يا سيدي فلان أغثني ونحوه أنه يستتاب فان تاب والا قتل تجده صريحا فى تكفير أهل الشرك وقتلهم بعد الاستتابة واقامة الحجة عليهم ، وان من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية فقد اتخذه إلها مع الله لان الاله هو المألوه الذي يألهه القلب أي يقصده بالعبادة والدعوة والخشية والاجلال والتعظيم ، وان زعم أنه لا يريد الا الشفاعة والتقرب عند الله لانه بين أن هذا هو مطلوب المشركين الاولين

واستدل على ذلك بالآيات الصريحات القاطعات والله أعلم

وقال رحمه الله تعالى في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) وكانت الطواغيت الكبار التي تشد لها الرحال ثلاثة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب فكانت اللات لاهل الطائف ذكروا أنه كان في الاصل رجل صالح يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره ، وأما العزى فكانت لاهل مكة قريبا من عرفات وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون ، وأما مناة فكانت لاهل المدينة وكانت حذو قديد من ناحية الساحل

ومن أراد أن يعرف كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله تعالى وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن فلينظر الى سيرة النبي ﷺ وأحوال العرب في زمانه وما ذكره الازرقي في أخبار مكة وغيره من العلماء ، ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط قال بعض الناس: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال « الله أكبر انها السنن ، لتركبن سنن من كان قبلكم » فانكر ﷺ مجرد مشابهتهم في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه ؟ الى أن قال : فمن ذلك أمكنة بدمشق مثل مسجد يقال له مسجد الكف يقال انه كف علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى هدم الله ذلك الوثن ، وهذه الامكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد في الحجاز منها مواضع انتهى كلامه

فتأمل رحمك الله تعالى كلام هذا الامام في اللات والعزى ومناة

وجعله بعينه هذا الذي يفعل بدمشق وغيرها من البلاد من ذلك ، وتأمل قوله على حديث ذات أنواط وتدبره فانه نافع جدا

وقال رحمه الله تعالى في الكلام على قوله تعالى (وما أهل به لغير الله) ظاهره أن ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به الى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله ، فان عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فوائح الامور ، والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة . فلو ذبح لغير الله متقربا اليه لحرم، وان قال بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الامة وان كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن انتهى كلامه

فتأمل رحمك الله تعالى هذا الكلام وتصريحه فيه بان من ذبح لغير الله من هذه الامة فهو كافر مرتد لا تباح ذبيحته لانه يجتمع فيها مانعان (الاول) انها ذبيحة مرتد ، وذبيحة المرتد لا تباح بالاجماع (والثاني) انها مما أهل به لغير الله ، وقد حرم الله ذلك في قوله (قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به) وتأمل قوله ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن والله أعلم

(فصل) وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في شرح المنازل في باب التوبة :«وأما الشرك فهو نوعان أكبر وأصغر (فالاكبر) لا يغفره الله الا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله

بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويغضبون لتنقص معبوديهم من المشايخ أعظم مما يغضبون اذا انتقص احد رب العالمين، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة، وترى احدهم قد اتخذ ذكر الهه ومعبوده على لسانه ان قام وان قعد وان عثر وان استوحش وهو لا ينكر ذلك ويزعم انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده، وهكذا كان عباد الاصنام سواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وهؤلاء اتخذوها من البشر، قال الله تعالى حاكيا عن اسلاف هؤلاء (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى. ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار)

«فهذه حال من اتخذ من دون الله وليا يزعم أنه يقربه الى الله زلفى وما أعز من يتخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادي من أنكره، والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له. وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) والقرآن مملوء من أمثال هذه الآية ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثا، وهذا هو الذي يحول بين المرء وبين فهم القرآن كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: انما

تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية. وهذا لانه اذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره وهو لا يعرف أنه الذي عليه أهل الجاهلية فتنتقض بذلك عرى الاسلام ، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا فالله المستعان

« ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً فضلا لمن استغاث به أو سأله أن يشفع له الى الله . وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فان الله تعالى لا يشفع عنده أحد الا باذنه ، والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لاذنه ، وإنما السبب لاذنه كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن ، والميت محتاج الى من يدعو له كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم الى التنقص بالاموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به ، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم ! ولله در خليله ابراهيم عليه السلام حيث قال (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام * رب انهن أضللن كثيراً من الناس)

الآية وما نجا من شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده لله وتقرب بمقتهم الى الله » انتهى كلامه رحمه الله

فتأمل رحمك الله كلام هذا الامام وتصريحه بأن من دعا الموتى وتوجه اليهم واستغاث بهم ليشفعوا له عند الله فقد فعل الشرك الاكبر الذي بعث محمد ﷺ بانكاره وتكفير من لم يتب منه وقتاله ومعاداته وأن هذا قد وقع في زمانه وأنهم غيروا دين الرسول ﷺ وعادوا أهل التوحيد الذين يأمرونهم باخلاص العبادة لله وحده لا شريك له

وتأمل قوله أيضا : وما أعز من يتخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادي من أنكره يتبين لك الامر إن شاء الله تعالى ولكن تأمل أرشدك الله تعالى قوله : ومانجا من شرك هذا الشرك الاكبر الا من عادى المشركين لله الى آخره يتبين لك أن الاسلام لا يستقيم الا بمعاداة أهل هذا الشرك فان لم يعادهم فهو منهم وان لم يفعله والله أعلم

وقال رحمة الله عليه في كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد في الكلام على غزوة الطائف وما فيها من الفقه قال : وفيها أنه لا يجوز ابقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحداً فانها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الاقرار عليها مع القدرة البتة ، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله والاحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى أو أعظم شركا عندها وبها والله المستعان

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد انها تخلق أو ترزق وتحيي وتميت وانما كانوا يفعلون عندها وبها ما كان يفعله اخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم ، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة ، وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم ، وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والسنة بدعة والبدعة سنة ونشأ في ذلك الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وطمست الاعلام ، واشتدت غربة الاسلام ، وقل العلماء ، وغلب السفهاء ، وتفاقم الامر واشتد البأس ، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ولكن لا تزال طائفة من الامة المحمدية قائمين ، ولاهل الشرك والبدع مجاهدين الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

«ومنها جواز صرف الامام الاموال التي تصير الى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات وأعطاها ابا سفيان يتألفه بها وقضى منها دين عروة والاسود وكذلك الحكم في أوقافها فان وقفها والوقف عليها باطل ، ومال ضائع فان الوقف لا يصح الا في قربة وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الاسلام ، ومن اتبع سبيلهم والله اعلم انتهى كلامه رحمه الله تعالى

فتأمل رحمك الله تعالى هذا الكلام وما فيه من التصريح بان هذا الذي يفعل عند المشاهد والقباب التي على القبور في كثير من البلدان انه هو الشرك الاكبر الذي فعله المشركون ، وأن كثيراً منها بمنزلة اللات والعزى ومناة بل اعظم شركا من شرك أهل اللات والعزى ومناة ، وتصريحه

بانهم فعلوا فعل المشركين ؛ واتبعوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وتأمل قوله: وغلب الشرك على اكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم والله أعلم،

وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى لما سئل عن قتال التتار مع التمسك بالشهادتين ولما زعموا من اتباع أصل الاسلام فقال : كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم او غيرهم فانه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وان كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه كما قاتل أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم مع سابقة مناظرة عمر لابي بكر رضي الله عنهما فاتفق الصحابة على القتال على حقوق الاسلام عملا بالكتاب والسنة وكذلك ثبت عن النبي ﷺ من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج والامر بقتالهم وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة مع قوله « تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم » فعلم أن مجرد الاعتصام بالاسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب فأيما طائفة ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء والاموال أو الخمر أو الزنا أو الميسر أو نكاح ذوات المحارم أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التي لا عذر لاحد في جحودها أو تركها التي يكفر الواحد بجحودها . فان الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وان كانت مقرة بها ، وهذا مما لا أعلم فيه

خلافا بين العلماء ، وانما اختلف الفقهاء فى الطائفة الممتنعة اذا اصرت على ترك بعض السنن كركعتي الفجر او الاذان أو الاقامة عند من لا يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا؟

فاما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين عن الامام أو الخارجين عن طاعته كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فان أولئك خارجون عن طاعة امام معين أو خارجون عليه لازالة ولايته وأما المذكورون فهم خارجون عن الاسلام بمنزلة مانعي الزكاة وبمنزلة الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولهذا افترقت سيرته رضي الله عنه في قتاله أهل البصرة وأهل الشام وفى قتاله لأهل النهروان فكانت سيرته مع البصريين والشاميين سيرة الأخ مع أخيه ومع الخوارج بخلاف ذلك ، وثبتت النصوص عن النبي ﷺ بما استقر عليه اجماع الصحابة من قتال الصديق رضى الله عنه لمانعي الزكاة ، وقتال علي للخوارج انتهى كلامه رحمه الله تعالى

فتأمل رحمك الله تعالى تصريح هذا الامام في هذه الفتوى بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة كالصلوات الخمس والصيام والزكاة أو الحج ، او ترك المحرمات كالزنا او تحريم الدماء والاموال او شرب الخمر او المسكرات او غير ذلك انه يجب قتال الطائفة الممتنعة عن ذلك حتى يكون الدين كله لله ويلتزموا جميع شرائع الاسلام، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين ، وملتزمين بعض شرائع الاسلام ، وان ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف من الصحابة فمن بعدهم ، وان ذلك

عمل بالكتاب والسنة . فتبين لك ان مجرد الاعتصام بالاسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال ، وانهم يقاتلون قتال كفر وخروج عن الاسلام كما صرح به في آخر الفتوى بقوله : وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين على الامام بل هم خارجون عن الاسلام بمنزلة مانعي الزكاة والله أعلم

وقال الشيخ رحمه الله تعالى في آخر كلامه على كفر مانعي الزكاة : والصحابة لم يقولوا هل أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها؟ هذا لم يعهد عن الصحابة بحال بل قال الصديق لعمر رضي الله عنهما : والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب(١) وقد روي أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن يخلوا بها ، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم سيرة واحدة وهي قتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم ، وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة ، وكان من أعظم فضائل الصديق عندهم أن ثبته الله على قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره حتى ناظرهم فرجعوا إلى قوله

---

(١) ان ترك اقامة الصلاة وأداء الزكاة ونحوهما هو ترك للاسلام من أصله فقد فسروه بالعمل بما جاء به النبي (ص) فعلا للواجبات ، وتركا للمحرمات ، ويذكرون هذا في كتب العقائد التي يدرسونها في جميع مدارسهم كجوهرة التوحيد التي تقرأ في الازهر وغيره ، وترك بعض المعلوم قطعا من الدين كترك كله فان الكفر بالبعض كالكفر بالكل كما ثبت في نص القرآن . وهذه المسألة خاصة بالجماعات وأما الافراد فلهم أحكام مفصلة معروفة في كتب الفقه

«وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم وهذه حجة من قال ان قاتلوا الامام عليها كفروا والا فلا فان كفر هؤلاء وادخالهم في أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند الى نصوص الكتاب والسنة، بخلاف من لم يقاتل الامام عليها فان في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قيل له منع ابن جميل فقال « ما ينقم ابن جميل الا انه كان فقيرا فأغناه » الله فلم يأمر بقتله ولا حكم بكفره وفي السنن من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ « ومن منعها فانا آخذوها وشطر إبله » الحديث انتهى

فتأمل كلامه وتصريحه بان الطائفة الممتنعة عن أداء الزكاة الى الامام انهم يقاتلون ويحكم عليهم بالكفر والردة عن الاسلام وتسبى ذراريهم، وتغنم أموالهم وان أقروا بوجوب الزكاة، وصلوا الصلوات الخمس، وفعلوا جميع شرائع الاسلام غير اداء الزكاة، وان ذلك ليس بمسقط للقتال لهم والحكم عليهم بالكفر والردة وان ذلك قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الصحابة رضي الله عنهم والله أعلم

وقال الشيخ رحمه الله تعالى في كتاب (الصارم المسلول، على شاتم الرسول) قال الامام اسحاق بن راهويه أحد الائمة يعدل بالشافعي واحمد أجمع المسلمون أن من سب الله أو رسوله أو دفع شيئا مما أنزل الله انه كافر بذلك وان كان مقراً بكل ما أنزل الله، وقال محمد بن سحنون أحد الائمة من أصحاب مالك أجمع العلماء على أن شاتم الرسول ﷺ كافر وحكمه عند الائمة القتل ومن شك في كفره كفر. قال ابن المنذر: اجمع عوام أهل العلم على أن على من سبه القتل، وقال الامام احمد فيمن سبه

يقتل ، قيل فيه أحاديث؟قال نعم منها حديث الاعمى الذي قتل المرأة وقول ابن عمر من شتم النبي ﷺ قتل، وعمر بن عبد العزيز يقول يقتل ، وقال في رواية عبد الله لا يستتاب فان خالد بن الوليد قتل رجلا شتم النبي ﷺ ولم يستتبه انتهى

فتأمل رحمك الله تعالى كلام اسحاق بن راهويه ونقله الاجماع على أن من سب الله أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئا مما أنزل الله فهو كافر وان كان مقراً بكل ما انزل الله ـ يتبين لك أن من تلفظ بلسانه بسب الله تعالى أو بسب رسوله ﷺ فهو كافر مرتد عن الاسلام ،وان أقر بجميع ما أنزل الله وان كان هازلا بذلك لم يقصد معناه بقلبه كما قال الشافعي رضي الله عنه : من هزل بشيء من آيات الله فهو كافر ، فكيف بمن هزل بسب الله تعالى أو بسب رسوله ﷺ ، ولهذا قال الشيخ تقي الدين : قال أصحابنا وغيرهم : من سب الله كفر مازحا أو جاداً لقوله تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ؟* لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) الآية قال وهذا هو الصواب المقطوع به اه

ومعنى قول اسحاق رحمه الله تعالى : أو دفع شيئاً مما أنزل الله أن يدفع ويرد شيئا مما أنزل الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الفرائض أو الواجبات أو المسنونات أو المستحبات بعد أن يعرف أن الله أنزله في كتابه أو أمر به رسوله ﷺ أو نهى عنه ثم دفعه بعد ذلك فهو كافر مرتد وان كان مقراً بكل ما أنزل الله من الشرع الا مادفعه وأنكره لمخالفته لهواه أو عادته أو عادة أهل بلده ، وهذا معنى قول العلماء رضي

الله عنهم: من أنكر فردا مجمعاً عليه فقد كفر(١) فاذا كان من انكر النهي عن الاكل بالشمال او النهي عن اسبال الثياب بعد معرفته ان الرسول ﷺ نهى عن ذلك فهو كافر مرتد ولو كان من اعبد الناس وأزهدهم فكيف بمن أنكر اخلاص العبادة لله وحده، واخلاص الدعوة والاستغاثة والنذر والتوكل وغير ذلك من انواع العبادة التي لا تصلح الا لله وحده ولا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل، التي ارسل الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه لاجل معرفتها، والعمل بها، التي هي أعظم شعائر الاسلام الذى هو معنى لا اله الا الله، فمن انكر ذلك وأبغضه وسبه وسب اهله وسماهم الخوارج فهو الكافر حقا الذي يجب قتاله حتى يكون الدين كله لله باجماع المسلمين كلهم والله سبحانه وتعالى اعلم

(فصل) وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الاغاثة: قال ﷺ «لا تتخذوا قبري عيداً» وقال «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» وفي اتخاذها أعياداً من المفاسد العظيمة ما يغضب لأجله من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد ولكن * ما لجرح بميت ايلام *

(منها) الصلاة اليها والطواف بها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها(٢) وعبادة اصحابها وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج

(١) زاد العلماء في هذه المسألة أن يكون المجمع عليه معلوما من الدين بالضرورة فاذا كان من أمور العادات الدنيوية لا يكفر بجحده ولا بانكاره فضلا عن تركه واذا كان من أمور الدين الخفية غير معلوم للجمهور بالضرورة فلا تكفير فيه، ومثلوا له بارث بنت الابن مع بنت الصلب السدس فاطلاقه للقاعدة وما فرعه عليها فيه ما علمت

«٢» هذا الكلام ملخص ومختصر من اغاثة اللهفان وليس بنصه

الكربات التي كان عباد الاوثان يسألونها اوثانهم . وكل من شم أدنى رائحة من العلم يعلم ان من اهم الامور سد الذريعة الى ذلك وانه ﷺ اعلم بعاقبة ما نهى عنه وما يؤول اليه، واذا لعن من اتخذ قبور الانبياء مساجد يعبد الله فيها فكيف بملازمتها واعتياد قصدها؟ ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما امر به ونهى عنه وما عليه اصحابه، وبين ما عليه اكثر الناس اليوم رأى احدهما مضاداً للآخر ، فنهى عن اتخاذها مساجد ، وهؤلاء يبنون عليها المساجد . ونهى عن تسريجها ، وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد القناديل عليها . ونهى ان تتخذ عيداً وهؤلاء يتخذونها اعياداً ، وأمر بتسويتها كما في صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه ، وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها القباب ، ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه ، ونهى عن الكتابة عليها كما رواه الترمذي في صحيحه عن جابر ، ونهى ألا يزاد عليها غير ترابها كما روا ابو داود عن جابر ، وهؤلاء يتخذون عليها الالواح ويكتبون عليها القرآن ويزيدون على ترابها بالجص والآجر والاحجار ، وقد آل الامر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجا ، وصنفوا لها (مناسك حج المشاهد) ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الاسلام ، ودخول في دين عباد الاصنام . فانظر الى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول ﷺ لأمته وما شرعه هؤلاء والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لانها تذكر الآخرة وأمر الزائر أن يدعو لاهل القبور ونهاه أن يقول هجراً فهذه الزيارة التي أذن الله فيها لامته وعلمهم اياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه ؟

وما أحسن ماقال الامام مالك : لن يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها . ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك . ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم اراد الدعاء جعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا . وقد نص على ذلك الائمة الاربعة انه يستقبل القبلة للدعاء حتى لا يدعو عند القبر فان الدعاء عبادة وبالجملة فالميت قد انقطع عمله فهو محتاج الى من يدعو له ، ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء مالم يشرع مثله للحي ، ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له والدعاء له. وكان ﷺ يقف على القبر بعد الدفن فيقول « سلوا له التثبيت فانه الا ن يسأل » فبدل أهل البدع والشرك قولا غير الذي قيل لهم ،فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به ، والزيارة التي شرعت إحسانا إلى الميت إلى الزيارة بسؤال الميت(١) والاقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد .

وذكر ابن إسحاق عن أبي العالية قال: لما فتحنا(تستر)وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فحملنا المصحف إلى عمر فدعا كعبا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثل ما أقرأ القرآن فيه(٢) سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما

«١» عبارة الاغاثة هنا :وقصدوا بالزيارة التى شرعها رسول الله «ص» إحسانا الى الميت وإحسانا الى الزائر بسؤال الميت الخ « ٢ » في الاغاثة هنا ان خالد بن دينار الراوي عن أبي العالية سأله: ما كان فيه ؟ قال سيرتكم الخ

كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه عن الناس أن لا ينبشوه . قلت : وما يرجون منه ؟ قال كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون . قلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال :دانيال . قلت : منذ كم مات ؟ قال :من ثلاثمائة سنة . قلت:ماتغير منه شيء؟ قال :لا إلا شعيرات من قفاه ، ان لحوم الانبياء لاتبليها الارض ولا تأكلها السباع . ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لئلا يُفتتَن به ، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف وعبدوه فهم قد اتخذوا من قبور من لايدانيه أوثانا وجعلوا لها سدنة

وقد أنكر الصحابة ماهو دون هذا بكثير فقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشجرة التي بويع رسول الله ﷺ تحتها . ولما رأى عمر الناس يذهبون فسأل عن ذلك فقيل مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ يصلون فيه ، فقال إنما كان أهلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ، ومن لا فليمض ولا يتعمدها

وقد أنكر رسول الله ﷺ على الصحابة لما سألوه شجرة يعلقون عليها أسلحتهم بخصوصها ثم ذكر حديث ذات أنواط . فاذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله وهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به ؟ وأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟ ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع

اليوم في هذا الباب وغيره علم أن بين السلف وبينهم أبعد مما بين المشرق والمغرب . والامر والله أعظم مما ذكرنا . وفي صحيح البخاري عن أم الدرداء قالت : دخل عليّ أبو الدرداء مغضبا فقلت مالك ؟ فقال : والله ماأعرف فيهم شيئامن أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعا . اه

فتأمل رحمك الله تعالى كلام الشيخ رحمه الله تعالى وتصريحه بأن عبادة الاوثان قد وقعت في زمانه وتصريحه بعد ذكره لقصة دفن دانيال بأن أهل زمانه المتأخرين قد اتخذوا من قبور من لا يدانيه في المرتبة والفضل والصلاح أوثاناوانهم لو وجدوه لجالدوا عليه بالسيوف وعبدوه من دون الله يتبين لك ما أصبح غالب الناس اليوم فيه من عبادة غير الله ودعائهم والاستغاثة بهم في الشدائد وتفريج الكربات ، واغاثة اللهفات ،والاخلاص لهم في العبادات، في أوقات الشدائد عند ركوبهم في البحر وغيره الذي لم يفعله المشركون الاولون كما أخبر الله عنهم بقوله (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون)وقوله (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين ؟ بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون)

فتأمل رحمك الله تعالى ما ذكر الله تعالى عن هؤلاء المشركين من اخلاص الدعوة لله في اوقات الشدائد ثم تأمل ما يفعله المشركون في زماننا مما ذكرت لك يتبين لك غربة الاسلام الذي جاء به النبي ﷺ في هذه الازمان

فاذا كان هذا كلام أهل العلم وتصريحهم بان الشرك بالله غلب على

أكثر النفوس وأن القليل الذي تخلص منه بل القليل من لايعادي من أنكر الشرك فما ظنك بزمانك هذا ومعلوم أن الامر لايزداد الاشدة وغربة وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا يأتي زمان إلا والذى بعده شر منه » أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه ولكن الامر كما قال الشيخ رحمه الله تعالى، ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره علم أن بينهما أبعد مما بين المشرق والمغرب، وهذه هي الفتنة التي قال فيها ابن مسعود رضي الله عنه: كيف أنتم إذ البستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، يتخذها الناس سنة اذا غيرت قيل غيرت السنة؟ والله أعلم

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والناس قد ابتلوا بالانصاب والازلام فالانصاب للشرك والازلام لطلب علم ما استأثر الله به، هذه للعلم وتلك للعمل. ودين الله تعالى مضاد لهذا وهذا. وعمّى الصحابة قبر دانيال بامر عمر رضي الله عنه، ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها ارسل فقطعها. قال عيسى بن يونس هو عندنا من حديث ابن عون عن نافع، فاذا كان هذا فعله في الشجرة التي ذكرها الله في القرآن وبايع تحتها الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فماذا حكمه فيما عداها؟ وأبلغ من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم مسجد الضرار ففيه دليل على هدم المساجد التي هي أعظم فساداً منه كالمبنية على القبور وكذلك قبابها فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه، وكان بدمشق كثير من هذه الانصاب فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الاسلام، وحزب الموحدين

وكان العامة يقولون لشيء منها إنه يقبل النذر أي يقبل العبادة من دون الله فالنذر عبادة يتقرب بها الناذر الى المنذور له ، ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله أن يتخذ منه مصلى ، قال قتادة في الآية انما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ولقد تكلفت هذه الامة شيئا ماتكلفته الامم قبلها ذكر لنا من رأى أثر أصابعه فما زالت هذه الامة تمسحه حتى الخلولق

وأعظم الفتنة بهذه الانصاب فتنة أصحاب القبور وهي أصل فتنة عباد الاصنام كما ذكر الله في سورة نوح في قوله (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً) الآية ذكر السلف في تفسيرها أن هؤلاء أسماء رجال صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم . وتعظيم الصالحين انما هو باتباع الصالحين واتباع مادعوا اليه دون اتخاذ قبورهم أعياداً وأوثانا ، فاعرضوا عن المشروع واشتغلوا بالبدع . ومن أصغى الى كلام الله وتفهمه أغناه عن البدع والآراء ، ومن بعد عنه فلا بد أن يتعوض عنه بما لا ينفعه كما أن من عمر قلبه بمحبة الله وخشيته والتوكل عليه أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه ، والمعرض عن محبة الله عبد الصور شاء أم أبى والمعرض عن اتباع السنة مبتدع شاء أم أبى

وهذه الامور المبتدعة عند القبور (أنواع) أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت خاصة كما يفعله كثير وهؤلاء من جنس عباد الاصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الاصنام وهذا يحصل للمشركين وأهل الكتاب وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به

(والنوع الثاني) أن يسأل الله به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة اجماعا (والنوع الثالث) أن يظن أن الدعاء عنده مستجاب وأنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد القبر لذلك فهذا أيضاً من المنكرات اجماعا وما علمت فيها نزاعا بين أئمة الدين وان كان كثير من المتأخرين يفعله

وبالجملة فأكثر أهل الارض مفتونون بعبادة الاوثان ، ولم يتخلص منها الا الحنفاء اتباع ملة ابراهيم، وعبادتها في الارض من قبل نوح عليه السلام وهيا كلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في عبادتها طبق الارض، قال امام الحنفاء عليه السلام (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام* رب انهن أضللن كثيراً من الناس) وكفى في معرفة أنهم أكثر أهل الارض ماصح عن النبي ﷺ أن بعث النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وقد قال الله تعالى (فأبى أكثر الناس الا كفوراً) وقال (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال (وماوجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) ولولم تكن الفتنة بعبادة الاصنام عظيمة لما قدم عبادها على بذل نفوسهم واموالهم وابنائهم دونها وهم يشاهدون مصارع اخوانهم وماحل بهم ولا يزيدهم ذلك الا حبالها وتعظيما ويوصي بعضهم بعضا بالصبر عليها والله اعلم

فتأمل رحمك الله كلام الشيخ في الانصاب والازلام والقباب المبنية على القبور وأنه يجب المبادرة الى هدمها وأنها أعظم ضرراً من مسجد الضرار الذي قال الله تعالى في أهله(والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل)وأمر رسول

الله ﷺ بهدمه وتحريقه ونهى الله نبيه عن الصلاة فيه ، وقوله والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه. وكان بدمشق كثير من هذه الانصاب فيسر الله تعالى كسرها على يد شيخ الاسلام وحزب الله الموحدين ومراده بذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى فانه هدم مواضع كثيرة بدمشق مما يعبده العامة من دون الله وينذرون له ويقولون إنه يقبل النذر أي يقبل العبادة وذلك لان النذر عبادة لله قال تعالى (يوفون بالنذر) وقال (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر) الآية

فاذا عرفت أن النذر عبادة وصرفته لغير الله فقد اشركت في عبادة الله غيره ، وقد أقام الله تعالى في زماننا هذا وهو آخر القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية من بعث الله به دين الاسلام واخلاص العبادة لله وحده بعد اندراسه، وهو الشيخ الامام العالم، ذو الفضل والمكارم والاخلاق السنية، والاعمال المرضية السنية، محيي السنة النبوية، وقامع البدعة الشركية، محمد بن عبدالوهاب، أسكنه الله الجنة التي هي أحسن المآب، وبرد مضجعه وأجزل له الثواب، فنصر الله به الدين القويم، وبين بسببه صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين، والصديقين والشهداء والصالحين، وأزال الله به الشرك وعبادة الاوثان، من أرض نجد محل الكفر والطغيان، ويسر الله كسر تلك الاوثان على يده وأيدي أتباعه من الموحدين، وحزب الله المفلحين ، وكان قبل ذلك في كل أرض وبلد من أرض نجد أوثان وأشجار تعبد من دون الله وينذر لها ويذبح لها القربان، ويعظمونها أعظم من تعظيم الله ، كقبر زيد بن الخطاب في الجبيلة وشجرة في قريوة من بلد الدرعية وشجرة أخرى لاهل الطرفية وغار يقال له غار بنت الامير في أسفل

بلد الدرعية وقبر يقال له قبر المغربي. وأعظم من ذلك عبادتهم تاج وشمسان مع شهادتهم عليهم بالفجور ولكن يزعمون أنهم أولياء لا تضرهم الذنوب ويهابونهم أعظم مما يهابون الله، ومنهم من يدعوا الجن ويذبح لهم، وفي كل بلد من ذلك شيء عظيم فأزال الله ذلك كله بشيخ الاسلام وأقام الله به الحجة على أهل زمانه، وعرف التوحيد جميع عدوانه، وأقروا أنه دين الله ورسوله، وأن الذي هم عليه الشرك بالله، ولم يزدهم ذلك الا بغضا له وعداوة، وسعوا في إزالته وعداوته بكل ممكن حسدا له لما أظهر الله الدين على يده، حتى أظهره الله عليهم ونصره ونصر أتباعه على من خذلهم وخالفهم، مع ضعفهم وقلة عددهم وقوة عدوهم وكثرتهم، وأدخل الله جميع أهل نجد في الاسلام ودانوا به واجتمعوا عليه حاضرتهم وباديتهم فالحمد لله حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ونسأل الله العظيم المنان أن يثبتنا على الاسلام وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يعيذنا من التفرق والاختلاف إنه على كل شيء قدير،

وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى في رده على ابن البكري في مسألة الاستغاثة: العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع فليس لاحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله؟) وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي لفظ في الصحيح «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» وفي الصحيح وغيره «يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو كله للذي أشرك» ولهذا قال الفقهاء العبادات

مبناها على التوقيف كما في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنه قبل الحجر الاسود وقال : والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ماقبلتك. والله سبحانه امرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته وضمن لنا بطاعته ومحبته واكرامه محبته لنا ومغفرته وهدايتنا وادخالنا الجنة فقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقال (وان تطيعوه تهتدوا) وقال (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) وامثال ذلك في القرآن كثير ولا ينبغي لاحد ان يخرج في هذا الباب عما مضت به السنة وكان عليه سلف الامة

وبالجملة فمعنا اصلان عظيمان (احدهما) ان لا نعبد الا الله (والثاني) ان لانعبده الا بما شرع، لا نعبده بعبادة مبتدعة، وهذان الاصلان هما تحقيق شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله كما قال تعالى (ليبلوكم ايكم احسن عملا) قال الفضيل بن عياض اخلصه واصوبه، قالوا يا ابا علي ما اخلصه واصوبه؟ قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صواباً ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة، وذلك تحقيق قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) وجاءت السنة ان يسأل الله باسمائه وصفاته فيقال : اسألك بان لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال ياحي ياقيوم، وأسألك بانك أنت الله لا إله إلا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . وكذلك قوله : اللهم إني أسألك بمعاقد

العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامة . مع أن هذا الدعاء الثاني في جواز الدعاء به قولان للعلماء ، وقال الشيخ أبو الحسن القدوري قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال ابو حنيفة رحمه الله لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به واكره ان يقول بمعاقد العز من عرشك او بحق خلقك. وهو قول ابي يوسف ، قال ابو يوسف بمعقد العز من عرشك هو الله فلا اكره هذا واكره بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام قال القدوري المسألة بخلقه لاتجوز لانه لاحق للمخلوق على الخالق فلا تجوز يعني وفاقا ، وقال البلدجي في شرح المختار ويكره ان يدعو الله الا به فلا يقول اسألك بحق فلان او بملائكتك او بأنبيائك ونحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على الخالق او يقول في دعائه اسألك بمعقد العز من عرشك وعن ابي يوسف انه يجوز (قلت) وهذا من ابي حنيفة وابي يوسف وغيرهما يقتضي المنع أن يسأل الله تعالى بغيره

وأما سؤال الميت والغائب نبيا كان أو غير نبي فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله تعالى به ولا رسوله ﷺ ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام فان أحداً منهم ما كان يقول إذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة لميت يا سيدى فلان أنا في حسبك أو اقض حاجتي كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ولا كانوا

يقصدون الدعاء عند قبور الانبياء ولا الصلاة عندها ، ولما قحط الناس في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال : اللهم إنا كنا نتوسل اليك اذا أجدبنا بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا . فيسقون كما ثبت ذلك في صحيح البخاري وكذلك معاوية رضي الله عنه لما استسقى بأهل الشام توسل بيزيد بن الاسود الجرشي فهذا الذي ذكره عمر رضي الله عنه توسل منهم بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس ودعاء يزيد بن الاسود وهذا هو الذي ذكره الفقهاء في كتاب الاستسقاء فقالوا يستحب أن يستسقى بالصالحين واذا كانوا من أقارب رسول الله ﷺ فهو أفضل

وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف وقد قال الله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية ، وفي التفسير الصحيح عن مجاهد (يبتغون الى ربهم الوسيلة) قال عيسى بن مريم وعزير والملائكة(١) وكذلك عن ابراهيم النخعي قال : كان ابن عباس يقول في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) هو عزير والمسيح والشمس والقمر ، وكذلك شعبة روى عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال عيسى وأمه والعزير ، وعن

(١) هذا بيان للذين يبتغون الى ربهم الوسيلة لا للوسيلة نفسها فهي القربة والمعنى أن أولئك الذين تدعونهم لكشف الضر عنكم يبتغون الى ربهم مايقربهم اليه ، أيهم اقرب الى الله كالمسيح وعزير والملائكة ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، فانتم احوج الى دعائه وحده وابتغاء الوسيلة اليه

عبد الله بن مسعود قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون باسلامهم فنزلت هذه الآية ، ثبت ذلك عنه في صحيح البخاري ، وهذه الاقوال كلها حق فان الآية تعم كل من كان معبوده عابدا لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر ، والسلف رضي الله عنهم في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل كما يقول الترجمان لمن سأله ما معنى لفظ الخبز فيريه رغيفاً فيقول هذا فالاشارة الى نوعه لا إلى عينه وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية للنوعين فالآية خطاب لكل من دعا دون الله مدعوا وذلك المدعو يبتغي الى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه ، فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية كما تناول من دعا الملائكة والجن ، ومعلوم أن هؤلاء كلهم يكونون وسائط فيما يقدره الله تعالى بافعالهم ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم وبين انهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله ، لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع الى موضع كتغيير صفته أو قدره ، ولهذا قال (ولا تحويلا) فذكر نكرة تعم أنواع التحويل فكل من دعا ميتا أو غائبا من الانبياء والصالحين أو دعا الملائكة أو دعا الجن فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله ،

وقد قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وقد نص الائمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق. وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق قالوا لانه ثبت

عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك

ومما يبين حكمة الشريعة وعظم قدرها وانها كما قيل كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ان الذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا الى الشرك ، فطائفة من هؤلاء يصلون للميت ويستدبر أحدهم القبلة ويسجد للقبر ويقول أحدهم القبلة قبلة العامة وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة ، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهدا وهو شيخ متبوع ولعله من أمثل اتباع شيخه يقوله في شيخه وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد يأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب الى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها . وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لا يجده أحدهم في مساجد الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه وآخرون يحجون القبور وطائفة صنفوا كتاب مناسك حج المشاهد كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الامامية كتابا في ذلك وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل ، وآخرون يسافرون الى قبور المشايخ وان لم يسموا ذلك منسكا وحجا فالمعنى واحد ومن هؤلاء من يقول : وحق النبي الذي تحج اليه المطايا ، فيجعل الحج الى النبي لا الى بيت الله عز وجل وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد قبر النبي ﷺ لا حج البيت ، وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتابا

سماه الاستغاثة بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام وهذا الضال استعان بهذا الكتاب ، وقد ذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده ثم رجع ولم يذهب إلى مكة وجعل هذا من مناقبه فان كان هذا مستحبا فينبغي لمن يجب عليه حج البيت إذا حج أن يجعل المدينة منتهى قصده ولا يذهب إلى مكة فانه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الافضل ، وهذا لا يقوله عاقل

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة على طريقة ابن سبعين قيل عنه انه كان يقول البيوت المحجوجة ثلاثة مكة وبيت المقدس والبد الذي للمشركين بالهند ، وهذا لانه كان يعتقد أن دين اليهود حق ودين النصارى حق (١) وجاءه بعض اخواننا العارفين قبل ان يعرف حقيقته. فقال له أريد أن أسلك على يديك . فقال على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين ؟ فقال له واليهود والنصارى ليسوا كفارا فقال لا تشدد عليهم لكن الاسلام أفضل

ومن هؤلاء من يرجح الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت، ومنهم من يرجح الحج إلى البيت لكن قد يقول أحدهم إنك إذا زرت قبر الشيخ مرتين أو ثلاثا كان كحجة ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون اليها وقت الموسم فيعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات كما

(١) هذا التعليل لا يكفي بل يزاد عليه ماهو اظهر في المقام وهو : ودين بوذية الهند وغيرها حق أي عنده فان لفظ البد مأخوذ من بوده (بالمهملة وبالمعجمة) بل هو وامثاله يقولون ان عباد الشمس والقمر والاوثان والاصنام كلهم يعبدون الله اذ لا موجود غيره فيعبد

يفعل هذا في المغرب والمشرق ومنهم من يجعل السفر إلى المشهد والقبر الذي يعظمه أفضل من الحج ،ويقول أحدهم أحد المريدين وقدحج سبع حجج إلى بيت الله العتيق اتبيعني زيارة قبر الشيخ بالحجج السبع فشاور الشيخ فقال لو بعته لكنت مغلوبا ، ومنهم من يقول من طاف بقبر الشيخ سبعا كان كحجة ، ومنهم من يقول زيارة المغارة الفلانية ثلاث مرات كحجة ، ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت أنه قال كل خطوة الى قبري كحجة ويوم القيامة لا أبيع بحجة ، وأنكر بعض الناس ذلك فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ في منامه وزجره عن انكار ذلك

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله رب العالمين فليسوا على ملة امام الحنفاء وليسوا من عمار مساجد الله الذين قال الله فيهم (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)فعمار مساجد الله لا يخشون إلا الله وعمار مشاهد المقابر يخشون غير الله ويرجون غير الله حتى ان طائفة من أرباب الكبائر الذين لا يخشون الله فيما يفعلونه من القبائح كان اذا رأى قبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة فيخشى من فعل الفواحش(١) ويقول أحدهم لصاحبه ويحك هذا هلال القبة فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السموات والارض وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج

وهؤلاء اذا نوظروا خوفوا مناظرهم كما صنع المشركون بابراهيم . قال تعالى(وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا — الى قوله — فاي الفريقين أحق بالامن ان

(١) كذا في الاصل ولعله محرف ويستقيم الاعراب بأن يقول : كانوا اذا رأوا القبة أو الهلال يخشى من فعل الفواحش منهم ويقول احدهم الخ

كنتم تعلمون ؟ ـ قال تعالى ـ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون)

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الاله والشيخ الحي التعلق به كالنبي فمن الميت تطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات وأما الحي فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه ، وكأنهم في أنفسهم قد عزلوا الله عن أن يتخذوه الها ، وعزلوا محمداً ﷺ أن يتخذوه رسولا ، وقد يجيء الحديث العهد بالاسلام أو التابع لهم الحسن الظن بهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت اما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أو غير ذلك فيدخل ذلك السادن فيقول قد قلت للشيخ والشيخ يقول للنبي والنبي يقول لله والله قد بعث رسولا الى السلطان فلان . فهل هذا الا محض دين المشركين والنصارى وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك ونصراني ولا يروج عليه

ويأكلون من النذور والمنذور وما يؤتى به الى قبورهم ما يدخلون به في قوله تعالى (ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) يعرضون بانفسهم ويمنعون غيرهم اذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه فيمتنع بسبب ذلك من الدين الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه والله تعالى لم يذكر في كتابه المشاهد بل ذكر المساجد وانها خالصة له قال تعالى (قل امر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقال تعالى (انما يعمر مساجد الله) الآية . وقال تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه) الآية . وقال تعالى (ولولا دفع الله الناس

بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيَع ومساجد) الآية . ولم يذكر بيوت الشرك كبيوت الاصنام والمشاهد ، ولا ذكر بيوت النار ، لان الصوامع والبيَع لاهل الكتاب فالممدوح من ذلك ما كان مبنيا قبل النسخ والتبديل كما اثنى على اليهود والنصارى والصابئين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات . فبيوت الاوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله شيئا منها ولم يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي ﷺ . قال تعالى (قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجداً) فهؤلاء الذين اتخذوا مسجداً على اهل الكهف كانوا من النصارى الذين لعنهم النبي ﷺ حيث قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » — وفي رواية — « والصالحين » ودعاء المقبورين من اعظم الوسائل الى ذلك . وقد قدم بعض شيوخ المشرق وتكلم معي في هذا فبينت له فساد هذا فقال : أليس قد قال النبي ﷺ « اذا اعيتكم الامور فعليكم بأصحاب القبور ؟ » فقلت هذا مكذوب باتفاق اهل العلم لم يروه عن النبي ﷺ احد من علماء الحديث . وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ »

وهؤلاء الغلاة المشركون اذا حصل لاحدهم مطلوبه ولو من كافر لم يقبل على الرسول بل يطلب حاجته من حيث يظن انها تقضى ، فتارة يذهب الى مايظنه قبر رجل صالح ويكون فيه قبر كافر أو منافق ، وتارة

يعلم انه كافر أو منافق ، ويذهب اليه كما يذهب قوم الى كنيستهم أو الى مواضع يقال لهم انها تقبل النذر فهذا يقع فيه عامتهم وأما الاول فيقع فيه خاصتهم حتى ان بعض أصحابنا المباشرين لقضاء القضاة لما بلغه اني أنهي عن ذلك صار عنده من ذلك شبهة ووسواس لما يعتقده من الحق فيما أذكره ولما عنده من المعارضة لذلك قال لبعض أصحابنا سراً : أنا جربت اجابة الدعاء عند قبر بالقرافة فقال له ذلك الرجل : فأنا أذهب معك اليه لتعرف قبر من هو ، فذهب اليه فوجدا مكتوبا عليه (قبر علي) فعرفوا انه إما رافضي واما اسماعيلي ،وكان بالبلد جماعة كثيرون يظنون في العبيديين انهم أولياء الله الصالحون فلما ذكرت لهم أن هؤلاء كانوا منافقين زنادقة وخيار من فيهم الرافضة ،جعلوا يتعجبون ويقولون : نحن نذهب بالفرس التي فيها مغل الى قبورهم فتشفى عند قبورهم . فقلت لهم: هذا من أعظم الادلة على كفرهم وطلبت طائفة من سياسي الخيل فقلت أنتم بالشام ومصر اذا أصاب الخيل المغل أين تذهبون بهم ؟ فقالوا في الشام نذهب بها الى قبور اليهود والنصارى ، واذا كنا بأرض الشمال نذهب بها الى القبور التي ببلاد الاسماعيلية كالعليقة والمنيعة ونحوهما . وأما في مصر فنذهب بها الى دير هنا للنصارى ونذهب الى قبور هؤلاء الاشراف وهم يظنون أن العبيديين أشراف لما أظهروا أنهم من أهل البيت . فقلت هل تذهبون بها الى قبور صالحي المسلمين مثل الليث ابن سعد والشافعي وابن القاسم ونفيسة وغير هؤلاء ؟ فقالوا : لا .فقلت لاولئك : اسمعوا انما يذهبون بها إلى قبور الكفار والمنافقين وبينت لهم

سبب ذلك فقلت : لان هؤلاء يعذبون في قبورهم والبهائم تسمع أصواتهم كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ، فاذا سمعت ذلك فزعت فبسبب الرعب الذي يحصل لها تنحل بطونها فتروث فان الفزع يقتضي الاسهال . فتعجبوا من ذلك . وهذا المعنى كثيراً ما كنت أذكره للناس ولم أعلم أن أحداً قاله ثم وجدته قد ذكره بعض العلماء

والمقصود هنا ان كثيراً من الناس يعظم قبر من يكون في الباطن كافراً أو منافقا ويكون هذا عنده والرسول من جنس واحد لاعتقاده ان الميت يقضي حاجته إذا كان رجلا صالحا وكلا هذين عنده من جنس من يستغيث به ، وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب بل يقال انه قبر كافر كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان الذي يقال انه قبر نوح فان أهل المعرفة يقولون انه قبر بعض العمالقة ، وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة وقبر أُبي بن كعب الذي في دمشق اتفق العلماء انه كذب ، ومنهم من قال هما قبران لنصرانيين ، وكثير من المشاهد متنازع فيها وعندها شياطين تضل بسببها من تضل .

ومنهم من يرى في المنام شخصا يظن انه المقبور ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته أو بغير صورته كالشياطين التي تكون بالاصنام وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالاصنام والموتى والغائبين وهذا كثير في زماننا وغيره مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التي بالبرابي بديار مصر باخميم وغيرها يرصدون التمثال مدة لا يتطهرون طهور المسلمين ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يقرؤن حتى يتعلق الشيطان تلك الصورة فيراها تتحرك فيطمع فيها سمعه أو غيرها فيرى شيطانا قد خرج له فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضي بعض حوائجه

وقد يمكنه من فعل الفاحشة به حتى يقضي حوائجه و مثل هؤلاء كثير في شيوخ الترك الكفار يسمونه البُوَى وهو المتخنث اذا طلبوا منه بعض هذه الامور أرسلوا له من ينكحه وينصبون له حركات عالية في ليلة ظلماء وقربوا له خبزاً وميتة وغنوا غناء يناسبه بشرط أن لا يكون عندهم من يذكر الله ولا هناك شيء فيه شيء من ذكر الله ، ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في الهواء ويرون الدف يطير في الهواء ويضرب من مد يده الى الخبز ،ويضرب الشيطان بآلات اللهو وهم يسمعون ويغني لهم الاغاني التي كانت تغنيها آباؤهم الكفار ثم قد يغيب وكذلك الطعام فيرونه وقد نقل الى بيت البوى وقد لا يغيب ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار ويقضي بعض حوائجهم (١)

ومثل هذا كثير جداً للمشركين فالذي يجرى عند المشاهد من جنس مايجري عند الاصنام وقد ثبت بطرق متعددة أن ما يشرك به من دون الله من صنم وقبر وغير ذلك قد يكون عنده شياطين تضل من أشرك به وان تلك الشياطين لا يقضون الا بعض أغراضهم وانما يقضونها اذا حصل منهم من الشرك والمعاصي مايحبه الشيطان فمنهم من يأمر الداعي أن يسجد له ومنهم من يأمره بالفواحش وقد يفعلها الشيطان وقد ينهاه عما أمر الله به من التوحيد والاخلاص والصلوات الخمس وقراءة القرآن ونحو ذلك، والشياطين تغوي الانسان بحسب ما تطمع منه فان كان ضعيف الايمان أمرته بالكفر والا أمرته بما هو فسق أو معصية، وان كان قليل

«١» قد ثبت بالاختبار ان بعض هذه الاعمال التي تسند الى شياطين الجن كانت من خزعبلات شياطين الانس وحيلهم ثم ظهر بطلانها فلم يعد يقصدها احد

العلم أمرته بما لا يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة ، وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله طمعت فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة وقد جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ يستغيث باحدهم بعض أصحابه فيرى الشيخ قد جاء في اليقظة حتى قضى ذلك المطلوب وانما هي شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله، والجن بحسب الانس فالكافر للكافر والفاجر للفاجر والجاهل للجاهل وأما اهل العلم والايمان فاتباع الجن لهم كاتباع الانس يتبعونهم فيما امر الله تعالى به ورسوله ،

وقد حدثني بعض الثقات عن هذا الشخص يعني ابن البكري الذي جوز في كتابه الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث بالله أنه كان يقول ان النبي ﷺ علم مفاتيح الغيب التي قال فيها النبي ﷺ « خمس لا يعلمها الا الله (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير) واظنه ذكر عنه انه قال علمها بعد ان اخبر انه لا يعلمها الا الله، وآخر من جنسه يباشر التدريس وينسب الى الفتيا كان يقول ان النبي ﷺ يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه ، وان هذا السر انتقل بعده الى الحسن ثم انتقل في ذرية الحسن الى الشيخ ابي الحسن الشاذلي وقالوا هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع. وكان شيخ آخر معظم عند اتباعه يدعي هذه المنزلة ويقول انه المهدي الذى بشر به النبي صلى الله عليه وسلم وأنه يزوج عيسى بابنته وان نواصي الملوك والاولياء بيده يولي من شاء

ويعزل من شاء وان الرب يناجيه دائما وانه الذى يمد حملة العرش وحيتان البحر وقد عزرته تعزيراً بليغا في يوم مشهود بحضرة من اهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة فعرفه الناس وانكسر بسببه اشباهه من الدجاجلة

ومن هؤلاء من يقول قول الله سبحانه وتعالى (انا ارسلناك شاهداً ومبشرا ونذيراً * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا) ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يسبّح بكرة واصيلا ومنهم من يقول نحن نعبد الله ورسوله فيجعلون الرسول معبوداً ومنهم من يأتي قبر الميت الرجل أو المرأة الذي يحسن الظن لنفسه فيقول اغفرلي وارحمني ولا توقفني على زلة ونحو هذا الكلام إلى أمثال هذه الامور التى يتخذ فيها المخلوق إلها

ولما استقر هذا في نفوس عامتهم تجد أحدهم إذا سئل عمن ينهاهم ما يقول هذا؟ فيقول فلان عنده مانع إلا الله. لما استقر في نفوسهم أنهم يجعلون مع الله إلها آخر وهذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر . وآخر يقول معظما لمن يدعو الى التوحيد قد جعل الآلهة الها واحداً

وهؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله ويعظمون دعاء غير الله من الاموات واذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به كما أخبر تعالى عن المشركين بقوله تعالى (واذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا) الآية فاستهزؤا بالرسول لما نهاهم عن الشرك وقال تعالى عن المشركين (إنهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) قال تعالى (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) وقال تعالى (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة

الها واحداً ؟ ان هذا لشيء عجاب) وذكر رحمه الله أشياء كثيرة

ومازال المشركون يسفهون الانبياء ويصفونهم بالجنون والضلال والسفاهة كما قال قوم نوح لنوح وعاد لهود عليهما السلام (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده) فاعظم ماسفهوه لاجله وأنكروه هو التوحيد ، وهكذا تجد من عليه شبه من هؤلاء من بعض الوجوه اذا رأى من يدعو الى توحيد الله واخلاص الدين له وأن لا يعبد الانسان الا الله ولا يتوكل الا عليه استهزأ بذلك لما عنده من الشرك وكثير من هؤلاء يخربون المساجد فتجد المسجد الذي بني للصلوات الخمس معطلا مخربا ليس له كسوة الا من الناس وكانه خان من الخانات والمشهد الذي بني على الميت فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام والنذور تغدو وتروح اليه فهل هذا الامن استخفافهم بالله وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك ؟ فانهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذي بني له المشهد والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء الله تعالى والاستغاثة به في البيت الذي بني لله عز وجل ففضلوا البيت الذي بني لدعاء المخلوق واذا كان لهذا وقف ولهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم منه مضاهاة لمشركي العرب الذين ذكر الله حالهم في قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون) كما يجعلون لله زرعا وماشية ولآلهتهم زرعا وماشية فاذ أصيب نصيب آلهتهم أخذوا من نصيب الله تعالى فوضعوه فيه وقالوا الله غني وآلهتنا فقيرة فيفضلون ما يجعل لغير الله على مايجعل لله ، وهكذا هؤلاء الوقوف والنذور التي تبذل عندهم للمشاهد أعظم مما تبذل عندهم للمساجد ولعمار

المساجد والجهاد في سبيل الله ، وهؤلاء اذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه بكى عنده وخضع ويدعو ويتضرع ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب مالا يحصل له في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن ، فهل هذا الا من حال المشركين المبتدعين ، لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

ومثل هذا أنه اذا سمع أحدهم سماع الابيات يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء مالا يحصل له مثله عند سماع آيات الله تعالى ، فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين ولا يخشع عند سماع المتقين المخلصين ، بل اذا سمعوا آيات الله اشتغلوا بها (١) وكرهوها واستهزؤا بها وبمن يقرأها مايحصل له (٢) به أعظم نصيب من قوله (قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) واذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية ، وألسن لاغية ، كانهم صم وعمي ، واذا سمعوا الابيات حضرت قلوبهم وسكتت ألسنتهم وسكنت حركاتهم حتى لا يشرب العطشان منهم ماء

ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم فأذن المؤذن قال نحن في شيء أفضل مما دعانا اليه ، ومنهم من يقول كنا في الحضرة فاذا قمنا الى الصلاة صرنا الى الباب ، وقد سألني بعضهم عمن قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال فقلت: كذب ، كان في حضرة الشيطان فصار على باب الله ، فان البدع والضلال فيها من حضور الشيطان ما قد فصل في غير هذا الموضع

والذين يجعلون دعاء الموتى من الانبياء والائمة والشيوخ أفضل من دعاء الله أنواع متعددة منهم من تقدم ومنهم من يحكي أنواعا من الحكايات

(١) لعل أصله اشتغلوا عنها (٢) السياق يقتضي « لهم »

(حكاية) أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه واستغاث بشيخه فأغاثه (وحكاية) أن بعض المأسورين في بلاد العدو دعا الله فلم يخرجه فدعا بعض المشايخ الموتى فجاءه فأخرجه الى بلاد الاسلام (وحكاية) أن بعض الشيوخ قال لمريده إذا كانت لك الى الله حاجة فتعال الى قبري وآخر قال فتوسل الى الله بي ، وآخر قال قبر فلان هو الترياق المجرب . فهؤلاء وأشباههم يرجحون هذه الادعية على أدعية المخلصين لله مضاهاة لسائر المشركين .

وهؤلاء يتمثل لكثير منهم صورة شيخه الذي يدعوه فيظنه إياه أو ملكا على صورته وانما هو شيطان أغواه ، ومن هؤلاء من اذا نزلت به شدة لا يدعو الا شيخه ولا يذكر الا اسمه قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه فيستنصر به أحدهم فيقول يافلان وقد قال الله تعالى للموحدين (فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا)

ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب ويحلف بشيخه وامامه ويصدق ولا يكذب فيكون شيخه عنده وفي صدره أعظم من الله فاذا كان دعاء الموتى مثل الانبياء والصالحين يتضمن هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله فأي الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله؟ :من كان يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم مع مايترتب على ذلك من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله؟ أو من كان يأمر بدعاء الله وحده لا شريك له كما أمر ت رسله ويوجب طاعة الرسول ﷺ ومتابعته في كل ماجاء به

وأيضا فان هؤلاء الموحدين من اعظم الناس ايجابا لرعاية جانب الرسول ﷺ تصديقا له فيما أخبر وطاعة له فيما أمر واعتناء بمعرفة ما بعث به والتمييز بين ما روي عنه من الصحيح والضعيف والصدق والكذب

واتباع ذلك دون ماخالفه عملا بقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) واما أولئك الضلال اشباه المشركين والنصارى فعمدتهم اما احاديث ضعيفة او موضوعة أو منقولات عمن لايحتج بقوله اما ان تكون كذباً عليه وأما ان يكون غلطا منه اذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم

وان اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول ﷺ حرفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه كما يفعله النصارى وكما فعل هذا الضال أخذ لفظ الاستغاثة وهي تنقسم الى الاستغاثة بالحي وبالميت والاستغاثة بالحي تكون فيما يقدر عليه ومالا يقدر عليه فجعل حكم ذلك كله واحدا ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغاثة أيضا ولم يكفه ذلك حتى جعل الطالب انما طلب من الله لامنه فالمستغيث به مستغيث بالله ثم جعل الاستغاثة بالله بكل ميت (١) من نبي وصالح جائزة ، واحتج على هذه الدعوى العامة الكلية التي أدخل فيها من الشرك والضلال مالا يعلمه الا ذو الجلال بقضية خاصة جزئية كسؤال الناس للنبي ﷺ في الدنيا والآخرة ان يدعو الله لهم وتوجههم الى الله بدعائه وشفاعته ، ومعلوم ان هذا الذي جاءت به السنة حق لاريب فيه(٢) لكن

(١) كذا في الاصل والمراد أنه جعل الاستغاثة بكل ميت من نبي وصالح جائزة لانها استغاثة بالله على رأيه «٢» طلب الدعاء من المؤمن الحي مشروع بالاجماع ولو من الاعلى للأدنى كما علم النبي (ص) أمته ان يدعوا الله بأن يؤتيه الوسيلة والفضيلة الخ وكما قال (ص) لعمر : لاتنسانا من دعائك يا أخي واما طلب الدعاء من الميت فغير مشروع مطلقا ولم يطلبه احد من النبي «ص» بعد وفاته لامن الصحابة

لا يلزم من ذلك ثبوت جميع تلك الدعاوي العامة وإبطال نقيضها اذ الدعوى الكلية لا تثبت بدليل جزئي لا سيما عند الاختلاف والتباين، وهذا كمن يريد ان يثبت حل جميع أنواع الملاهي لكل أحد والتقرب بها الى الله بكون جاريتين غنتا عند عائشة رضي الله عنها في بيت النبي ﷺ يوم عيد مع كون وجهه كان مصروفا الى الحائط لا اليهما، أو يحتج على استماع كل قول بقوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) ولا يدرى أن القول هنا هو القرآن كما في قوله تعالى (أفلم يدبروا القول) الآية ولا فمسلم لا يسوغ استماع كل قول ونهي الله عز وجل عن الجلوس مع الخائضين في آياته وخوضهم نوع من القول فقال تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) الآية، وقال (وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم) الآية وقال تعالى (واذا مروا باللغو مروا كراما) وقال تعالى (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) الآية وهذا الضال يجوز عنده ان يستغاث بالرسول في كل ما يستغاث بالله على معنى أنه وسيلة من وسائل الله تعالى في طلب الغوث، وهذا عنده ثابت للصالحين وهو ثابت عند هذا الضال بعد موته ثبوتها في حياته لانه عند الله في مزيد دائم لا ينقص جاهه فدخل عليه الخطأ من وجوه.

(منها) أنه جعل المتوسل به بعد موته في الدعاء مستغيثا به وهذا لا

ولا من غيرهم ومن ادلة ذلك استسقاء عمر والصحابة بالعباس كما في البخاري وغيره واما طلب الشفاعة منه «ص» يوم القيامة بعد طلبها من غيره من اولي العزم من الرسل فلا حجة فيه على طلبها في الدنيا. وقد غفل المصنف عن هذا هنا وسيأتي معناه في كلامه

يعرف في لغة أحد من الامم لا حقيقة ولا مجازا مع دعواه الاجماع على ذلك فان المستغاث به هو المسئول المطلوب منه لا المسئول به

(الثاني) ظنه أن توسل الصحابة به في حياته كان توسلا بذاته لا بدعائه وشفاعته فيكون التوسل به بعد موته كذلك وهذا غلط لكنه يوافقه طائفة من الناس بخلاف الاول فاني ما علمت أحداً وافقه عليه

(الثالث) انه أدرج سؤاله أيضا في الاستغاثة به وهذا صحيح جائز في حياته وهو قد سوى في ذلك بين محياه ومماته ﷺ وهنا أصاب في لفظ الاستغاثة لكن أخطأ في التسوية بين المحيا والممات، وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصري ففي شعره قطعة منه والشيخ محمد بن النعمان له كتاب المستغيثين بالنبي عليه السلام في اليقظة والمنام، وهذا الرجل قد نقل منه فيما يغلب على ظني وهؤلاء لهم صلاح ودين لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بدارك الاحكام، الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام، ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضي بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس بانه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه. وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم فضل وعلم وزهد إذا نزل به أمر خطا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس ولهذا لما نبه من نبه من فضلائهم تنبهوا وعلموا ان ما كانوا عليه ليس من دين الاسلام بل هو مشابهة لعباد الاصنام لكن هؤلاء كلهم من يعد نفي هذا والنهي عنه كفرا (١) الا مثل هذا

(١) قوله لكن هؤلاء كلهم الخ لا يخلو من تحريف فليتأمل ما أصله

الاحمق الضال، الذي حاق به وبيل النكال، فانه من غلاة أهل البدع الذين يبتدعون القول ويكفرون من خالفهم فيه كالخوارج والروافض والجهمية فان هذا القول الذي قاله لم يوافقه عليه أحد من علماء المسلمين لا الاولين ولا الاخرين، وقد طاف بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبته فما خالفوه، وقد كان بعض الناس يوافقه على جواز التوسل بالنبي الميت لكنهم لم يوافقوه على تسميته استغاثة ولا على كفر من أنكر الاستغاثة به ولا جعل هذا من السب، بل عامتهم وافقوا على منع الاستغاثة به بمعنى أن يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، وما علمت عالما نازع في أن الاستغاثة بالنبي وغيره من المخلوقين بهذا المعنى لا تجوز، مع أن قوما كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قياما عظيما واستغاثوا بمن كان له غرض من ذوي السلطان، وجمعوا الناس وعقدوا مجلسا عظيما ضل فيه سعيهم، وظهر فيه جهلهم، وخاب فيه قصدهم، وظهر فيه الحق لمن يعاونهم من الاعيان، وتمنوا أن ما فعلوه ما كان، لانه كان سببا لظهور الحق مع الذي عادوه وقاموا عليه، وسببا لانقلاب الخلق اليه، وكانوا كالحامل حتفه بظلفه(١) والجادع مارن أنفه بكفه، مع فرط تعصبهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم، ومكايد شيطانهم، وهذه الطريقة التي سلكها هذا وأمثاله هي طريقة أهل البدع الذين يجمعون بين الجهل والظلم فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة واجماع الصحابة ويكفرون من خالفهم في بدعتهم كالخوارج المارقين وكذلك الروافض الذين كفروا من خالفهم من الصحابة وجمهور المؤمنين

(١) المثل «كالباحث عن حتفه بظلفه»

حتى كفرا أبا بكر وعمر وعثمان ومن والاهم وأئمة السنة والجماعة

وأهل العلم والايمان فيهم العلم والعدل والرحمة فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون فيمن خرج عنها ولو ظلمهم كما قال تعالى (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم) الآية وقال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) الآية فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لان الكفر حكم شرعي فليس للانسان ان يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني باهله لان الكذب والزنا حرام لحق الله وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر الا من كفره الله ورسوله ، وأيضا فان تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها وإلا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر ، ولهذا لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر كقدامة بن مظعون وأصحابه وظنوا أنها تباح لمن عمل صالحا على مافهموه من آية المائدة اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يستتابون فان أصروا على الاستحلال كفروا ، وان أقروا به جلدوا، فلم يكفرهم بالاستحلال ابتداء لأجل الشبهة التي عرضت لهم حتى يتبين لهم الحق، فاذا أصروا على الجحود كفروا،

وقد ثبت في الصحيحين حديث الذي قال لاهله: اذا أنا مت فاسحقوني ثم ذروني في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه أحداً من العالمين . فامر الله البر فرد ما أخذ منه وأمر البحر فرد ما أخذ منه وقال

ما حملك على ما فعلت قال خشيتك يارب فغفر له . فهذا اعتقد أنه اذا فعل ذلك لا يقدر الله على اعادته ، وانه لا يعيده أو جوز ذلك وكلاهما كفر ، لكن كان جاهلا لم يتبين له الحق بيانا يكفر بمخالفته فغفر الله له

ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن يكون الله تعالى فوق العرش أنا لو وافقتكم كنت كافرا لاني أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون لانكم جهال ، وكان هذا خطابا لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم

وهو قد احتج بحديث الأعمى الذي قال: اللهم اني اسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة . وهذا الحديث لا حجة فيه لوجهين (احدهما) انه ليس هو استغاثة بل توجها به (والثاني) انه انما توجه بدعائه وشفاعته فانه طلب من النبي ﷺ الدعاء وقال في آخره « اللهم فشفعه فيّ » فعلم انه شفع له فتوسل بشفاعته لا بذاته كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء وكما توسلوا بدعاء العباس بعد مماته. وكذلك في اول الحديث انه طلب من النبي ﷺ ان يدعو له فيدل الحديث على ان النبي ﷺ شفع له ودعا له ،وان النبي ﷺ امره ان يدعو الله تعالى وأن يسأله قبول شفاعته وقوله يا محمد إني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى خطاب لحاضر في قلبه كما نقول في صلاتنا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . كما يستحضر الانسان من يحبه ويبغضه في قلبه ويخاطبه وهذا كثير

وماذكره من توسل آدم وحكاية المنصور فجوابها من وجهين (أحدهما) أن هذا لا أصل له ولا تقوم به حجة ولا اسناد لذلك (والثاني)

انه لم يدل على التوسل بذاته ولا على الاستغاثة ، وأما اشتكاء البعير اليه فهذا كاشتكاء الآدمي اليه ، وما زال الناس يستغيثون به في حياته كما يستغيثون به يوم القيامة . وقد قلنا انه اذا طلب منه ما يليق بمنصبه فهذا لا نزاع فيه والطلب منه في حياته والاستغاثة به في حياته فيما يقدر عليه لم ينازع فيها أحد . فما ذكره لا يدل على مورد النزاع ولكن هذا أخذ لفظ الاستغاثة ومعناها العام فجعل يشبه به ، وهذا انما يليق بمن قال لا يستغيث به أحد حيا ولا ميتا في شيء من الاشياء ، ومعلوم أن العاقل لا يقول هذا في آحاد العامة فضلا عن الصالحين فضلا عن الانبياء والمرسلين فضلا عن سيد الأولين والآخرين ، فانه ما من أحد إلا يمكن أن يستغاث به في بعض الاشياء فكيف أفضل الخلق وأكرمهم على الله ، ولكن النفي عاد الى الشيئين الى الاستغاثة به بعد الموت وأن يطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله تعالى

وأما قول هؤلاء الجهال فهو يستلزم الردة عن الدين ، والكفر برب العالمين ، ولا ريب أن أصل قول هؤلاء هو من باب الشرك بالله الذي هو الكفر الذي لا يغفره الله تعالى فان الله سبحانه وتعالى قال في كتابه (وقالوا لا تذرن آلهتكم) الآية وقد قال غير واحد من السلف هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم ، وقد ذكروا ذلك بعبارات متقاربة في كتب الحديث والتفسير وقصص الانبياء كما ذكره البخاري في صحيحه وجماعة من اهل الحديث ، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) الآية فيقول أهل الضلال هذا يقوله هو نفسه

وأما نحن فليس لنا أن نقول هو بشر بل نقول كما قال فلان وفلان : ومن زعم أن محمدا بشر كله فقد كفر . وهذا يقوله قوم منهم وهو تشبه بقول النصارى في المسيح ، يقولون هو ليس بشراً كله بل المسيح عندهم اسم يتناول اللاهوت والناسوت والالهية والبشرية به جميعا ، وهذا يقوله طائفة من غلاة الصوفية والشيعة يقولون باتحاد اللاهوت والناسوت في الانبياء والصالحين كما تقول النصارى في المسيح

ونحن نعلم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لامته أن يدعوا أحداً من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا غيرها كما انه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الامور ، وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه ، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف دين الاسلام الا تفطن لها وقال هذا أصل دين الاسلام ، وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول هذا أعظم ما بينته لنا ، لعله بان هذا أصل الدين وكان هذا وأمثاله في ناحية اخرى يدعون الاسلام ويدعون الاموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويفزعون اليهم ، وربما كان ما يفعلونه بالاموات اعظم ، لانهم انما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعون دعاء المضطر راجين قضاء حاجاتهم بدعائه والدعاء به عند قبره ، بخلاف عبادتهم لله ودعائهم اياه فانهم يفعلون في كثير من الاوقات على وجه التكلف والعادة حتى ان العدو الخارج عن شريعة

الاسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم قال بعض الشعراء

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال : عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر *

فقلت لهم : هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد فانه قضي أن العسكر ينكسر لاسباب اقتضت ذلك، ولحكمة كانت لله عز وجل في ذلك ، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله ،فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر باخلاص الدين لله والاستغاثة به ،وانهم لا يستغيثون إلا اياه، لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل. فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصراً لم يتقدم نظيره ، ولم ينهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلا لما صح من توحيد الله وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك فان الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد كما قال تعالى في يوم بدر (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الآية .

وروي أن النبي ﷺ يوم بدر كان يقول «ياحي ياقيوم لا اله الا أنت برحمتك استغيث »وفي لفظ « أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك » وهؤلاء يدعون الميت والغائب فيقول أحدهم : بك أستغيث، بك أستجير، أغثنا أجرنا .ويقول أنت تعلم ذنوبي،ومنهم من يقول للميت اغفر لي وارحمني وتب علي ونحو ذلك ،

ومن لم يقله من عقلائهم فانه يقول: أشكو اليك ذنوبي وأشكو اليك عدوي وأشكو اليك جور الولاة، وظهور البدع، وجدب الزمان وغير ذلك، فيشكو اليه ماحصل من ضرر في الدين أو الدنيا، ومقصوده بالشكوى أن يشكيه فيزيل ذلك الضرر، وقد يقول مع ذلك أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر وأنت تعلم ما فعلته من الذنوب، فيجعل الميت أو الحي الغائب عالما بذنوب العباد وجزئياتهم التي يمتنع أن يعلمها بشر حي أو ميت (١) ثم منهم من يطلق سؤاله والشكوى ظانا انه يقضي حاجته كما يخاطب بذلك ربه بناء على انه يمكنه ذلك بطريق من الطرق، وانه وسيلة وسبب وان كان السائل لا يعلم وجه ذلك، وعقلاؤهم يقولون مقصودنا أن يسأل الله لنا ويشفع لنا، ويظنون انهم إذا سألوه بعد موته انه يسأل الله لهم فانه يسأل ويشفع كما يسأل ويشفع لما سأله الصحابة رضي الله عنهم الاستسقاء وغيره وكما يشفع يوم القيامة اذا سئل الشفاعة، ولا يعلمون أن سؤال الميت أو الغائب غير مشروع البتة ولم يفعلها أحد من الصحابة بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه الى سؤال غيره وطلب الدعاء منه، وأن الرسول ﷺ وسائر الانبياء والصالحين وغيرهم لا يطلب منه من بعد موته من الامور ما كان يطلب منه في حياته والله أعلم. اه ملخصاً

فتأمل رحمك الله تعالى كلامه ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة لعلك أن تعرف دين الاسلام الذي بعث الله به

(١) لخواص مشركي زماننا عبارة مألوفة في ذلك هي قولهم عند القبر: العارف لا يعرف. سمعها بعض أصحابنا من قاض شرعي متوجه الى القبر الحسيني المزور بمصر بغاية الخشوع

جميع رسله وأنزل به جميع كتبه، كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) الآية

ثم تأمل ماذكره الشيخ رحمه الله تعالى من أنواع الشرك الاكبر الذي قد وقع في زمانه لمن يدعي العلم والمعرفة وينتصب للفتيا والقضاء، لكن لما نبههم الشيخ على ذلك وبين لهم ان هذا هو الشرك الذي حرمه الله ورسوله تنبهوا وعرفوا أن ماهم عليه شرك وضلال، وانقادوا للحق وان بعضهم لما بين له ذلك قال : هذا أحسن ما بينته لنا ـ يتبين لك غربة الاسلام، وهذا مصداق ماتواترت به الاحاديث عن رسول الله ﷺ انه قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم » الحديث

وتأمل أيضا ما وقع من هذا الرجل وتجويزه الاستغاثة بغير الله، وانه يجوز الاستغاثة بالنبي ﷺ في كل مايستغاث الله به واحتجاجه على ذلك بمتشابه القرآن والسنة ويكفر من قال لا يستغاث إلا بالله، وبالامور التي لا يقدر عليها إلا الله، من كشف الشدائد، وإنزال الفوائد

ثم تأمل رد الشيخ رحمه الله تعالى بالآيات المحكمات، والبراهين القاطعات، من الاحاديث الصريحات، يتبين لك الامر ان هداك الله، وتنزاح عنك الشبهة التي أدخلت كثيراً من الناس النار، وهي الاغترار بما عليه الآباء والاجداد، وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد

ومن أعجب ماذكره الشيخ رحمه الله تعالى عن هؤلاء المشركين في زمانه أن أحدهم يسجد للقبر ويستدبر القبلة ويقول أحدهم القبلة قبلة

العامة، وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة، قال رحمة الله عليه: هذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً وهو شيخ متبوع. قلت كالذي يشاهد اليوم في زماننا يفعل في مشهد علي وغيره من المشاهد والمساجد المبنية على القبور (١) ويجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والبكاء أعظم مما يجدون في بيوت الله، بل اذا قام أحدهم في الصلاة بين يدي الله تعالى نقرها نقر الغراب، ومنهم من يحلف بالله اليمين الغموس كاذبا فاذا قيل له احلف بتربة فلان أو بفلان أبى أن يحلف كاذبا فيكون فلان أو تربته والشيخ فلان أعظم في صدره من الله (فانا لله وإنا اليه راجعون) ما أعظمها من مصيبة، تالله انها فتنة عمت فأعمت، وربت على القلوب والاسماع فأصمت

وتأمل أيضا رحمك الله تعالى قول الشيخ رحمه الله تعالى وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصري والشيخ محمد بن النعمان وان هؤلاء وأشباههم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الاحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام، ومعرفة الحلال من الحرام، فان الشيخ يحيى الصرصري الحنبلي في شعره قطعة من دعوة الرسل والاستغاثة بهم كذلك غيره من المصنفين في

«١» استقبال القبور عند الدعاء لا يزال كثيراً في جميع البلاد التي بنيت فيها القبور وبنيت عليها المساجد والقباب. واما استقبالها في الصلاة مع عدم الموافقة لاستقبال القبلة فقليل اخبرني الشريف محمد شرف عدنان باشا انه رأى رجلا يصلي في مسجد الطائف مستقبلا قبر ابن عباس فظن انه أعمى فأمر رجلا بتحويله الى القبلة فحاول الرجل ذلك فامتنع عليه المصلي واذا هو بصير متعمد لاستقبال القبر فقال له الشريف اخرجه من المسجد فانه مشرك

الزيارة فاياك أن تغتر بذلك أو تقلدهم في ذلك فانه ليس لهم في ذلك مستند صحيح لا من كتاب ولا سنة ولا نقل عن عالم مرضي، بل كما قال الشيخ رحمه الله تعالى عادة جروا عليها فلا يقتدي بهم في ذلك ، وانما يقتدى في الدين بكلام رب العالمين وكلام رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين

فهل تجد أحد الصحابة أو التابعين لهم باحسان أتى رسول الله ﷺ بعد موته واستغاث به أو استشفع به الى ربه ، وقال يارسول الله اشفع لي الى ربك واقض ديني أو فرج كربتي أو انصرني أو اغفرلي ذنبي، بل جردوا التوحيد لله تعالى وحموا جانبه ، ولهذا كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغيره من الصحابة إذا سلم على النبي ﷺ يقف فيقول السلام عليك يارسول الله ثم يقف فيقول السلام عليك ياأبا بكر ثم يقف فيقول السلام عليك يا أبت. واذا أراد أحدهم الدعاء جعل ظهره الى جدار القبر واستقبل القبلة اذا أراد أن يدعو حتى لا يدعو عند القبر وذكر الامام احمد وغيره أنه يستقبل القبلة ويجعل القبر عن يساره لئلا يستدبره وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام عليه، ثم يدعو لنفسه ، وذكروا أنه إذا حياه وصلى عليه يستقبل وجهه بأبي هو وأمي ﷺ فاذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا الله

وذكر أصحاب مالك أنه يدنو من القبر فيسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبل القبلة يوليه ظهره وقيل لا يوليه ظهره وانما اختلفوا لما فيه من استدباره ﷺ فأما اذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف وقال مالك في المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن يصلي ويسلم. فهذا هو هدي السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم باحسان

والائمة الاربعة ، وما أحسن ماقال الامام مالك رحمه الله تعالى لن يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها ، ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوا من البدع والشرك وغيره ولهذا كرهت الائمة استلام القبر وتقبيله وبنوا بناء منعوا الناس أن يصلوا اليه والله أعلم

وتأمل أيضا قول الشيخ رحمه الله تعالى في آخر الكلام : ولاريب أن اصل قول هؤلاء هو الشرك الاكبر والكفر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه،وان ذلك يستلزم الردةعن الدين ، والكفر برب العالمين . كيف صرح بكفر من فعل هذا أوردته عن الدين اذا قامت عليه الحجة من الكتاب والسنة ثم أصر على فعل ذلك. وهذا لاينازع فيه من عرف دين الاسلام الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ والله أعلم .

(فصل) وقال في الاقناع وشرحه (باب حكم المرتد) وهو الذي يكفر بعد إسلامه نطقا أو اعتقاداً أو شكا أو فعلا ولو مميز فتصح ردته كاسلامه لامكرها لقوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ولو هازلا لعموم قوله تعالى (من يرتد منكم عن دينه) الا ية وأجمعوا على وجوب قتل المرتد فمن أشرك بالله تعالى كفر بعد اسلامه لقوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) أو جحد ربوبيته أو وحدانيته كفر لان جاحد ذلك مشرك بالله تعالى ، أو جحد صفة من صفاته أو اتخذ له صاحبةاو ولدا كفر ، أو ادعى النبوة أو صدق من ادعاها بعدالنبي ﷺ كفر ، لانه مكذب لقوله تعالى(ولكن رسول الله وخاتم النبيين)أو جحد نبيا أو كتابا من كتب الله أوشيئا منه ، أوجحد

الملائكة أو واحداً ممن ثبت أنه ملك كفر لتكذيبه القرآن، أو جحد البعث كفر، أو سب الله ورسوله كفر، أو استهزأ بالله وكتبه أو رسله كفر، لقوله (قل أبالله وآياته ورسوله) الآية

«قال الشيخ أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به اتفاقا أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعا، لان ذلك كفعل عابدي الاصنام قائلين (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين الذي شرعه الله كفر للآية السابقة، أو وجد منه امتهان للقرآن كفر، وان أتى بقول يخرجه عن الاسلام مثل أن يقول هو يهودي أو نصراني فهو كافر أو سخر بوعد الله أو وعيده فهو كافر، لانه كالاستهزاء بالله، أو لم يكفر من دان بغير الاسلام أو شك في كفرهم — الى أن قال — ومن قال انا محتاج الى محمد ﷺ في علم الظاهر دون علم الباطن أو قال إن من الاولياء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر، ومن سب الصحابة رضي الله عنهم أو واحدا منهم واقترن بسبه دعوى أن عليا إله أو ان جبريل غلط فلا شك في كفر هذا بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره وأما من لعن أو قبح مطلقا فهذا محل الخلاف توقف احمد في تكفيره وقتله

«ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله وهو عقد ورقى وكلام يتكلم به، أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو عقله أو قلبه من غير مباشرة، وله حقيقة فمنه ما يقتل ومنه ما يمرض ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته ومنه ما يفرق بين المرء وزوجته ومنه ما يبغض أحدهما الى الآخر ويحبب

بين اثنين. ويكفر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو اباحته كالذي يركب الجماد من مكة وغيرها فيطير به في الهواء

«وأما الذي يزعم على الجن ويزعم أنه يجمعها فتطيعه فلا يكفر ويعزر تعزيرا بليغا دون القتل وكذلك الكاهن والعراف ـ والكاهن هو الذي له رئي من الجن يأتيه بالاخبار، والعراف الذي يخرص كالمنجم ـ والضارب بحصى أو شعير ـ والنظر في ألواح الاكتاف اذا لم يعتقد إباحته وأنه لا يعلم به الامور المغيبة عزر ويكف عنه والا كفر؛ وقال في شرحه عند قوله أنا محتاج الى محمد في عالم الظاهر الخ قال وقد عمت به البلوى في زمنه في مصر والشام والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً الى يوم الدين، صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين، آمين

كتب في آخر النسخة التي طبعنا عنها ما نصه

تم نقل ذلك من نسخة ماعليها أثر تصحيح وفيها تحريف وبعض الغلط وذلك في سنة ١٣٤٥ بقلم الفقير الى الله عبدالله بن ابراهيم الربيعي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين آمين

كتاب

قرة عيون الموحدين

في تحقيق دعوة الانبياء والمرسلين

وهو تعليق للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ

حسن ابن شيخ الاسلام محمد عبد الوهاب

على كتاب التوحيد

لجده المذكور

سماه نجله العلامة الشيخ عبد اللطيف بهذا الاسم

وهو خاتمة مجموعة التوحيد النجدية

قد وضعنا عبارة الاصل بين هلالين أو علامتين لتميزها واشرنا في ذيل الصحائف الى أرقامها لتسهل مراجعتها

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن يا كريم

قوله في كتاب التوحيد (بسم الله الرحمن الرحيم)

الكلام على البسملة بيّن مذكور في الشرح ، والبداءة بها سنة كما فعل البخاري وغيره من العلماء اتباعا للسنة في مراسلات النبي ﷺ للملوك وغيرهم ، وفي الامر بالبداءة بها حديث معروف

(قوله كتاب التوحيد) المراد بالتوحيد توحيد العبادة وكل رسول يفتتح دعوته لقومه بهذا التوحيد (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره) كما في سورة الأعراف وهود وغيرهما

قوله : وقول الله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)

دلت الآية على أن الله تعالى خلق الخلق لحكمة عظيمة وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده بترك عبادة ما سواه ففعل الاول وهو خلقهم ليفعلوا هم الثاني وهي العبادة. قال شيخ الاسلام العبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة . وقال أيضا والعبادة اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته ، فالحب الخلي عن ذل والذل الخلي عن حب لايكون عبادة وانما العبادة ما يجمع كمال الامرين. وقال أيضا وأما ماخلق له من محبة الله تعالى ورضاه فهو إرادته الدينية فذلك مذكور في قوله تعالى (وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون)

قوله وقول الله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

يخبر تعالى أنه بعث في كل قرن وطائفة من الامم رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وينهاهم عن عبادة ما زينه الشيطان لهم وأوقعهم فيه من عبادة ما سواه ، فمنهم من هدى الله ووحد الله تعالى بالعبادة وأطاع رسله ، ومنهم من حقت عليه الضلاله فاشرك مع الله غيره بعبادته ولم يقبل هدى الله الذي جاءت به الرسل كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وهذا التوحيد الذي خلقوا له ودعوا اليه هو توحيد الالهية توحيد القصد والطلب ، وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الافعال فهو توحيد العلم والاعتقاد ، وأكثر الامم قد أقروا به لله ، وأما توحيد الالهية فاكثرهم قد جحدوه كما قال تعالي عن قوم هود لما قال لهم (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره .. . قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده) وقال مشركو قريش (اجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب) وهذه الآية وهي قوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وهذه الآية(١) تبين معنى الآية قبلها وكذلك الآيات بعدها(٢) وان المراد بالعبادة التي خلقوا لها هي العبادة الخالصة التي لم يلبسها شرك بعبادة شيء سوى الله كائنا ما كان ، فلا تصح الاعمال إلا بالبراءة من عبادة كل ما يعبد من دون الله . والله تعالى خلق الثقلين ليعبدوه فمنهم من فعل ، ومنهم من أشرك وكفر . كما قال تعالى في هذه الآية (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى وما أرسلنا من رسول

(١) هذا تكرار يحسن مثله اذا طال الفصل بين المسند والمسند اليه (٢) قوله قبلها الخ يعني قبلها وبعدها في كلام المتن

إلا ليطاع باذن الله) يبين أن حكمة الرب في خلقه للجن والانس لا تقتضي أن كلا يفعل ما خلق له وأرسلت الرسل لاجله ولهذه الحكمة أهلك الله من لم يعبده وحده ولم يقبل ما جاءت به رسله وشرع قتالهم لنبيه ﷺ واتباعه فمنهم من أطاع وهم الاقلون ، ومنهم من عصى وهم الاكثرون

وهذا التوحيد هو دين الاسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف عليهم السلام (ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه) وهذا هو الدين الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه، وأمر الرسل أن يقيموه ، كما قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال لنبيه محمد ﷺ (قل اني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب) فامره أن يعبده وحده وأن يدعو الأمة الى ذلك والقرآن كله في هذا التوحيد وبيانه وجزائه والرد على من جحده كما قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)

وفي حديث معاذ الذي رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قال : قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فقال « سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان — وذكر الحج ثم قال — ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه ؟ » قلت بلى يا رسول الله . قال « رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة

وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله » فدل على أن الاسلام هو التوحيد والفرائض من حقوقه ، وقد أجمع الفقهاء على أن الاسلام شرط لصحة الصلاة وغيرها من الأعمال وهو مقتضى الشهادتين شهادة أن لا اله الا الله وشهادة أن محمداً رسول الله . فمعنى شهادة أن لا اله الا الله نفي الشرك والبراءة منه وممن فعله واخلاص العبادة لله وحده ، والايمان بالرسول وطاعته . وهو معنى الآية الثالثة وهي قوله تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه) أي أمر ووصى فقوله (أن لا تعبدوا) فيه معنى « لا اله » وقوله (الا اياه) فيه معنى « الا الله » وهذا هو معنى كلمة الاخلاص كما قال تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً) فقوله (أن لا نعبد) فيه معنى « لا اله » وقوله (الا الله) هو المستثنى في كلمة الاخلاص فسبحان الله كيف خفي هذا مع بيانه ووضوحه على الأذكياء من متأخري هذه الأمة

قال وقول الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً)

وهذه الآية تبين العبادة التي خلقوا لها أيضا فانه تعالى قرن الامر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الذي حرمه وهو الشرك في العبادة فدلت هذه الآية على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة فلا تصح بدونه أصلا كما قال تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون — وقال تعالى — ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) فتقديم المعمول يفيد الحصر أي بل الله فاعبد وحده لا غيره كما في فاتحة الكتاب (اياك نعبد واياك نستعين) وقرر تعالى هذا التوحيد بقوله

(قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين) والدين هو العبادة بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه كما قال العلامة بن القيم رحمه الله تعالى

والامر والنهي الذي هو دينه * وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وتقدم أن أصله وأساسه توحيد العبادة فلا تغفل عما تقدم

قوله (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا) أي حرم عليكم الشرك الذي نهاكم عنه بقوله (ألا تشركوا به شيئا) فالشرك اعظم ذنب عصي الله به اكبره واصغره

وقد وقع الاكثر من متأخري هذه الامة في هذا الشرك الذي هو اعظم المحرمات كما وقع في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ عبدوا القبور والمشاهد والاشجار والاحجار والطواغيت والجن كما عبدا ولئك اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الاصنام والاوثان ،واتخذوا هذا الشرك دينا ونفروا اذا دعوا الى التوحيد اشد نفرة واشتد غضبهم لمعبوداتهم كما قال تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون — وقال تعالى — وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا — وقال — انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) علموا أن لا اله الا الله تنفي الشرك الذي وقعوا فيه ، وأنكروا التوحيد الذي دلت عليه فصار أولئك المشركون أعلم بمعنى هذه الكلمة (لا اله الا الله) من أكثر متأخري هذه الامة لاسيما أهل العلم منهم الذين لهم دراية في بعض الاحكام وعلم الكلام جهلوا توحيد العبادة فوقعوا في الشرك المنافي له وزينوه ،وجهلوا توحيد الاسماء والصفات وأنكروه،

فوقعوا في نفيه أيضاً وصنفوا فيه الكتب ، لاعتقادهم أن ذلك حق وهو باطل ، وقد اشتدت غربة الاسلام حتى عاد المعروف منكراً ، والمنكر معروفا ، فنشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وقد قال النبي ﷺ « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريباً كما بدأ » وقد قال ﷺ « افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة» قالوا ومن هي يارسول الله ؟ قال « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » وهذا الحديث قد صح من طرق كما ذكره العماد ابن كثير وغيره من الحفاظ وهو في السنن وغيرها ورواه محمد بن نصر في كتاب الاعتصام ، وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ بعد القرون الثلاثة

فلهذا عم الجهل بالتوحيد الذي هو أصل دين الاسلام فان أصله أن لا يعبد الا الله وأن لا يعبد الا بما شرع ، وقد ترك هذا وصارت عبادة الاكثرين مشوبة بالشرك والبدع ، لكن الله تعالى وله الحمد لم يخل الارض من قائم له بحججه ، وداع اليه على بصيرة ، لكي لا تبطل حجج الله وبيناته التي أنزلها على أنبيائه ورسله فله الحمد والشكر على ذلك

وأما قول عبد الله بن مسعود من أراد أن ينظر الى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم — الى قوله — وان هذا صراطي مستقيما) الآية

قوله التي عليها خاتمه شبه هذه الوصية بوصية كتبت فختمت أي فلم تغير ولم تبدل أراد أن النبي (ص) لم يزل يدعو الامة من حين بعثه الله تعالى الى ان توفاه صلوات الله وسلامه عليه الى ماتضمنته هذه

الآيات المحكمات أمراً ونهيا كما قال تعالى عن خليله عليه السلام (إذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين *ووصى به ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) الآيات

قوله وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رديف النبي (ص) على حمار فقال لي يامعاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ فساقه المصنف رحمه الله تعالى هنا لتضمنه معنى الآيات التي تقدمت وذلك قوله « فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى

حق الاله عبادة بالامر لا ... بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئا هما ... سبب النجاة فخذا السببان
لم ينج من غضب الاله وناره ... إلا الذي قامت به الاصلان
والناس بعد فمشرك بإلهه ... أو ذو ابتداع أو له الوصفان

وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا . ليس على الله حق واجب بالعقل كما تزعم المعتزلة لكن هو سبحانه أحق ذلك على نفسه تفضلا وإحسانا على الموحدين المخلصين الذين لم يلتفتوا في إراداتهم ومهماتهم ورغباتهم ورهباتهم إلى أحد سواه ، ولم يتقربوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات الا اليه وحده والله أعلم

﴿ قوله : باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب ﴾

الباب هو المدخل الى الشيء . قوله (وما يكفر من الذنوب) (ما) مصدرية أي وتكفيره الذنوب . ويجوز أن تكون موصولة والعائد

محذوف أي والذي يكفره من الذنوب (١) . والمراد بالتوحيد توحيد العبادة وهو افراد الله تعالى بأنواع العبادة الباطنة والظاهرة كالدعاء والذبح والنذر ونحوه كما قال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) وقال تعالى (فادعوه مخلصين له الدين)

﴿ قوله وقول الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾

واللبس الخلط والمراد بالظلم هنا الشرك الاكبر لما ثبت في حديث ابن مسعود وغيره مرفوعا « انما هو الشرك ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح (ان الشرك لظلم عظيم) » اراد ان من لم يجتنب الشرك لم يحصل له امن ولا اهتداء بالكلية . وأما من سلم منه فيحصل له من الامن والاهتداء بحسب مقامه في الاسلام والايمان فلا يحصل الامن التام والاهتداء التام إلا لمن لم يلق الله بكبيرة مصراً عليها . وأما ان كان للموحد ذنوب لم يتب منها حصل له من الامن والاهتداء بحسب توحيده وفاته منه بقدر معصيته كما قال (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) فالظالم لنفسه هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو تحت مشيئة الله ان شاء غفر له وان شاء أخذه بذنبه ونجاه بتوحيده من الخلود في النار . وأما المقتصد فهو الذي عمل بما أوجب الله عليه وترك ما حرم عليه فقط وهذه حال الابرار . وأما السابق فهو الذي حصل له كمال الايمان باستفراغه وسعه في طاعة الله علما وعملا فهذان لهم الامن التام والاهتداء

(١) هذا هو المراد بدليل بيان الابهام في الموصولة بقوله من الذنوب والمصدرية ليست مبهمة

التام في الدنيا والآخرة ، فالكل للكل والحصة للحصة لان كمال الايمان يمنع صاحبه من المعاصي وعقوباتها فلم يلق ربه بذنب يعاقب به كما قال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) وهذا الذى ذكرته في معنى هذه الآية هو ماقرره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وابن القيم رحمه الله في معناها وهو الذي دل عليه القرآن وهو قول أهل السنة والجماعة خلافا لاهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم

﴿قوله: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال(١) : قال رسول الله ﷺ « من شهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وان محمداً عبده ورسوله ، وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » ﴾

قوله « من شهد » لاريب أن الشهادة لاتكون شهادة الا إذا كانت عن علم ويقين وصدق وأما مع الجهل والشك فلا تعتبر ولا تنفع ، فيكون الشاهد والحالة هذه كاذبا لجهله بمعنى الذي شهد به. وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفياً واثباتا فنفت الالهية عن كل ماسوى الله بقولك (لا اله) وأثبتت الالهية لله وحده بقولك (الا الله) قال تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) فكم ضل بسبب الجهل بمعناها من ضل وهم الاكثرون فقلبوا حقيقة المعنى فأثبتوا الالهية المنفية لمن نفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد والطواغيت والاشجار والاحجار والجن وغير ذلك واتخذوا ذلك دينا وشبهوا وزخرفوا ، واتخذوا التوحيد بدعة وأنكروه على من دعاهم اليه ، فلم يعرفوا منها ماعرف أهل

(١) الحديث في الصفحة ٤ من كتاب التوحيد

الجاهلية من كفار قريش ونحوهم(١) فانهم عرفوا معناها وأنكروا ما دلت عليه من الاخلاص كما قال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) والمشركون من أواخر هذه الامة أنكروا ما أنكره أولئك على من دعاهم الى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله من القبور والمشاهد والطواغيت ونحوها فأولئك عرفوا هذا المعنى وأنكروه ، وهؤلاء جهلوا هذا المعني وأنكروه، فلهذا تجده يقول : لا اله الا الله ، وهو يدعو مع الله غيره

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الإله هو الذي تألهه القلوب محبة واجلالا وانابة واكراما وتعظيما وذلا وخضوعا وخوفا ورجاء وتوكلا .

وقال الوزير أبو المظفر رحمه الله تعالى في الافصاح قوله : شهادة أن لا اله الا الله يقتضي أن يكون الشاهد عالما بأن لا اله الا الله كما قال تعالى (فاعلم انه لا اله الا الله) قال : واسم الله مرتفع بعد الا من حيث انه الواجب له الالهية فلا يستحقها غيره سبحانه . قال : وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم ان هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والايمان بالله فانك لما نفيت الالهية وأثبت الايجاب لله كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله

(١) سبب ذلك أن عرب الجاهلية هم أهل لغة القرآن الفصحاء فلا يجهلون شيئا من معنى التوحيد الذي قرره . وأما هؤلاء الذين فشا فيهم شرك العبادة فليسوا من أهل ملكة هذه اللغة وإنما يدينون بالاصطلاحات التي تلقاها بعضهم من بعض من كلامية وعامية واذا كان مثل الفخر الرازي من اكبر أئمة متكلميهم واصوليهم اخطأ في فهم معنى الاله في تفسير (قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) فما الظن بمن دونه من علمائهم دع عامهم ودهماءهم ؟ هل يستغرب منهم الجهل بأن من دعا ميتا أو صالحا حيا فيما لا يدعى فيه إلا الله أو طاف بقبره ونذر له يكون عابدا له ومتخذا له إلها ؟

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى الاله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل فمن اشرك مخلوقا في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص الآلهية كان قدحا في اخلاصه في قول لا إله الا الله وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك

وقال البقاعي (لا اله إلا الله) أي انتفى نفيا عظيما أن يكون معبود بحق غير الملك الاعظم قال وهذا العلم هو من أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة وانما يكون علما إذا كان نافعا وانما يكون نافعا اذا كان مع الاذعان والعمل بماتقتضيه والا فهو جهل صرف

(قلت) وهؤلاء المتأخرون جهلوا معنى الاله وقلبوا حقيقة المعنى الى معنى توحيد الربوبية وهو القدرة على الاختراع فاثبتوا ما نفته (لا إله إلا الله) من الشرك وأنكروا ما اثبتته من اخلاص العبادة لله جهلا منهم وقد قال تعالى (فاعبد الله مخلصا له الدين) قال محي الدين النووي اعلم أن باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قدضيع من ازمان متطاولة ولم يبق في هذه الازمان الا رسوم قليلة جدا وهو باب عظيم به قوام الامر وملاكه واذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح

قوله في هذه الازمان يعني القرن الخامس والسادس وإذا كان كذلك فما الظن بالقرن العاشر ومابعده وقد استحكمت فيها الغربة ولشيخنا محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في تفسير هذه الكلمة كلام بديع واضح لم يسبق الى مثله فليراجع لمسيس الحاجة اليه

قوله في الحديث« وحده لاشريك له »(١) تأكيد لمعنى لا إله إلا الله الذي دلت عليه ووضعت له من باب اللف والنشر المقدم والمؤخر وهو بيان لمعنى هذه الكلمة لانها دلت بجملتها على التوحيد فلا إله تنفي الشرك في العبادة قليله وكثيره وبينه بقوله (لا شريك له) في آلهيته وهي العبادة

وقوله (وحده) هو معنى (إلا الله) فهو الإله الحق وحده دون كل ماسواه من أهل السموات والارض كما دلت على ذلك الآيات المحكمات ومتواتر الاحاديث فتدبر هذا البيان يطلعك على بطلان قول من يقول بجواز دعوة غير الله والله تعالى يقول لنبيه (ولا تدع من دون الله إلها آخر فتكون من المعذبين) وغيرها من الآيات الآتي ذكرها ان شاء الله تعالى فقوله (وحده) تأكيد للاثبات وقوله (لاشريك له) تأكيد للنفي .

وقوله (وان محمداً عبده ورسوله) أي وشهد أن محمدا عبده ورسوله أي بصدق ويقين وذلك يقتضي اتباعه وتعظيم أمره ونهيه ولزوم سنته ﷺ وأن لاتعارض بقول أحد لان غيره (ص) يجوز عليه الخطأ والنبي (ص) قد عصمه الله تعالى وأمرنا بطاعته والتأسي به والوعيد على ترك طاعته بقوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الآية وقال (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم) قال الامام أحمد رحمه الله تعالى اتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. وقد وقع من التفريط في المتابعة وتركها وتقديم

« ١» أي حديث عبادة بن الصامت الذي هو بصدد التعليق عليه

اقوال من يجوز عليهم الخطأ على قوله (ص) لا سيما من العلماء كما لا يخفى (١)

قوله «وان عيسى عبد الله ورسوله» فيه بيان الحق الذي يجب اعتقاده كما في الآيات المحكمات وما فيها من الرد على كفار النصارى وهم ثلاث طوائف طائفة قالوا إن عيسى هو الله وطائفة قالوا ابن الله وطائفة قالوا ثالث ثلاثة يعنون عيسى وأمه فبين تعالى في كتابه الحق وأبطل الباطل فقال (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) والآيات بعدها، وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) في مواضع من سورة المائدة وأخبر تعالى عما قاله المسيح عليه السلام وهو في المهد فقال تعالى (فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا * ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون * وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) فبين تعالى الصراط المستقيم الذي من سلكه نجا ومن خرج

(١) قوله: وقد وقع الخ سقط منه فاعل وقع ولعله: كثيرون لا سيما من العلماء الخ

عنه هلك وقال تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون *الحق من ربك فلا تكن من الممترين) فبين تعالي الصراط المستقيم بيانا شافيا ووافيا وأقام حججه على توحيده فأحق الحق وأبطل الباطل ولو كره المشركون

قوله« وكلمته القاها الى مريم وروح منه» أي قوله كن فخلقه بكن فكان ففيه إثبات صفة الكلام لله تعالى خلافا للجهمية أيضا

قوله (وروح منه) أي من الارواح التي استخرجها من صلب آدم عليه السلام وأخذ عليها العهد على أنه تعالى ربهم وإلههم كما قال تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) الآيات وروح عيسى من تلك الارواح التي خلقها الله تعالى، وذكر ابن جرير عن وهب بن منبه قال نفخ جبريل في جيب درع مريم حتى وصلت النفخة الى الرحم فاشتملت وعن السدي أن النفخة دخلت في صدرها فحملت ، وقال ابن جريج يقولون إنما نفخ في جيب درعها وكما انتهى مختصراً فجبريل نفخ والله خالق بقول كن فكان كما قال تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي) فسبحان من لا يخلق غيره ولا يعبد سواه ، وقد أورد بعض النصارى على بعض علماء المسلمين قول الله تعالى (وروح منه) فقال في الجواب هذا ليس خاص بعيسى عليه السلام بل المخلوقات كذلك كلها كما قال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) أي خلقاً وإيجاداً وعيسى كذلك خلقه وأوجده كسائر مخلوقاته ، وفي هذا الحديث الرد على اليهود أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله فانهم كانوا هم والنصارى في طرفي نقيض

فنسبوه إلى أنه ولدُ بغيٍّ قاتلهم الله فأكذبهم الله تعالى في كتابه وأبطل قولهم كما أبطل قول الغلاة من النصارى فيما تقدم من الآيات ونحوها

فالنصارى غلوا في عيسى بن مريم عليه السلام أعظم الغلو والكفر والضلال، واليهود جفوا في حقه غاية الجفاء، وكلاهما قد ضل ضلالا بعيداً نبه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه وبين تعالى الحق والصدق ورفع قدر المسيح عليه السلام وجعله من أولي العزم الخمسة المذكورين في سورة الاحزاب والشورى وأمر نبيه ﷺ أن يصبر كما صبروا فقال (واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) فهم أفضل الرسل على التحقيق والنبي ﷺ أفضلهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين

قوله « وان الجنة حق » أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة وما فيها من القصور والثمار والفواكه والنعيم المقيم والنظر إلى وجه الله الكريم كما قال تعالى (عطاءً غير مجذوذ) وقال (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)« والنار حق» أعدها الله تعالى لمن كفر به وأشرك في الهيته وربوبيته وألحد في أسمائه وصفاته . ومن لم يؤمن بالجنة والنار فقد كفر بالقرآن والرسل فان الله تعالى بين الجنة ومافيها أعد من النعيم المقيم ، وذكر أنها دار المتقين وذكر النار وما فيها من العذاب وانه أعدها لمن كفر به وأشرك

قوله « أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » جواب من الشرطية أي من شهد أن لا إله إلا الله إلى آخره أدخله الله الجنة أي باخلاصه وصدقه والايمان برسوله وما أرسل به وخالف النصارى واليهود في

الغلو والجفاء في حق عيسى وعلم يقينا أنه عبد الله ورسوله وآمن بالجنة والنار فمن كان كذلك أدخله الله الجنة وان كان مقصراً وله ذنوب فهذه الحسنة العظيمة ترجح بجميع السيئات فتدبر هذا الحديث فانه عظيم والله أعلم

قوله ﴿ ولهما في حديث عتبان فان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله﴾ (١)

قوله ولهما أي البخاري ومسلم وهـذا حديث طويل اختصره المصنف وذكر منه ما يناسب الترجمة وهو قوله : من قال « لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الاخلاص ونفي الشرك ، والصدق والاخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر فان من لم يكن مخلصا فهو مشرك ومن لم يكن صادقا فهو منافق،والمخلص أن يقولها مخلصا الالهية لمن لا يستحقها غيره وهو الله تعالى، وهذا التوحيد هو أساس الاسلام الذي قال الخليل عليه السلام (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وقالت بلقيس (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال الخليل عليه السلام (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) والحنيف هو الذي ترك الشرك رأسا وتبرأ منه وفارق أهله وعاداهم وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده كما قال تعالى (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) فاسلام الوجه هو اخلاص العبادة المنافي للشرك والنفـاق وهو معنى

(١) هو في ص ٤ من كتاب التوحيد

الآية ونحوها إجماعا فهذا هو الذي ينفعه قوله (لا إله إلا الله) ولهذا قال تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله ويستغيث به من ميت أو غائب لا ينفع ولا يضر كما ترى عليه أكثر الخلق فهؤلاء وان قالوها فقد تلبسوا بما يناقضها فلا تنفع قائلها إلا بالعلم بمدلولها نفيا واثباتا والجاهل بمعناها وان قالها لا تنفعه لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد منها من نفي الشرك ، وكذلك اذا عرف معناها بغير تيقن له فاذا انتفى اليقين وقع الشك

ومما قيدت به في الحديث قوله ﷺ غير شاك فلا تنفع الا من قالها بعلم ويقين لقوله صدقا من قلبه خالصا من قلبه وكذلك من قالها غير صادق في قوله فانها لا تنفعه لمخالفة القلب اللسان كحال المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وكذلك حال المشرك فلا تقبل من مشرك لمنافاة الشرك للاخلاص ولما دلت عليه هذه الكلمة مطابقة فانها دلت على نفي الشرك والبراءة منه والاخلاص لله وحده لا شريك له مطابقة ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله لا اله الا الله كما هو حال كثير من عبدة الاوثان يقولون لا اله الا الله وينكرون ما دلت عليه من الاخلاص ويعادون أهله وينصرون الشرك وأهله ، وقد قال الخليل عليه السلام لابيه وقومه (اني براء مما تعبدون * الا الذي فطرني فانه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه) وهي لا اله الا الله وقد عبر عنها الخليل بمعناها الذي وضعت له ودلت عليه وهو البراءة من الشرك واخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كما تقدم تقريره ، وكذلك من قالها ولم يقبل ما دلت عليه من الاخلاص كان قوله لهذه الكلمة كذبا

منه بل قد عكس مدلولها فأثبت ما نفته من الشرك ونفى ما أثبتته من الاخلاص

فهذا الذي ذكرناه هو حال الاكثرين من هذه الامة بعد القرون الثلاثة ، وسبب ذلك الجهل بمعناها واتباع الهوى فيصدفه عن اتباع الحق وما بعث الله به رسله من توحيده الذى شرعه لعباده ورضيه لهم

قوله ﴿عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال موسى عليه السلام : يارب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به . قال : قل يا موسى « لا اله الا الله » قال : يارب كل عبادك يقولون هذا . قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة مالت بهن لا اله الا الله » رواه ابن حبان والحاكم وصححه الترمذي وحسنه ﴾ (١) فلا نافية للجنس نفيا عاما الا ما استثني وخبرها محذوف تقديره لا اله حق الا الله . قال تعالى (ذلك بان الله هو الحق وأنما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) فإلهيته تعالى هي الحق وكل ماسواه من الآلهة فإلهيته باطلة كما في هذه الآية ونظائرها . فهذه كلمة عظيمة هي العروة الوثقى وكلمة التقوى وكلمة الاخلاص ، وهي التي قامت بها السموات والارض ، وشرعت لتكميلها السنة والفرض ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد ، وبها ظهر الفرق بين المطيع والعاصي من العباد . فمن قالها وعمل بها صدقا واخلاصا ، وقبولا ومحبة وانقيادا أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ، وفي الحديث الصحيح « أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلي (لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »

«١» هو في ص ٤ أيضاً

وفي حديث عبدالله بن عمرو مرفوعا «يصاح برجل من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامه فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقال أتنكر من هذا شيئا؟ فيقول لا يارب فيقال ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول لا، فيقال بلى إن لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» رواه الترمذي وحسنه

قوله: لو أن السموات السبع وعامرهن غيري أي كل من في السموات والارض وقوله غيري استثنى ممن في السموات نفسه لانه العلي الأعلى تعالى وتقدس كما قال تعالى (وهو العلي العظيم) علو القهر وعلو القدرة وعلو الذات فالثلاثة كلها صفته ودلت على كماله كما قال تعالى (الرحمن على العرش استوى — ثم استوى على العرش الرحمن) الآية في سبعة مواضع من كتابه كما قال تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) وقال تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة — إني متوفيك ورافعك إليّ) وأمثال هذه الآيات: فمن سلب علو الله تعالى على خلقه فقد خالف صريح الكتاب والسنة وألحد في أسمائه وصفاته، ومعنى هذه الكلمة نفي الالهية عن كل شيء سوى ما استثني بها وهو الله تعالى وفيه النص على أن الارضين سبع كالسموات. لكن هذه الكلمة العظيمة لا يحصل رجحانها إلا في حق من أتى بقيودها التي قيدت بها في الكتاب

والسنة ، وقد ذكر سبحانه في سورة براءة وغيرها كثيراً ممن يقولها ولم ينفعهم قولها كحال أهل الكتاب والمنافقين على كثرتهم وتنوعهم في نفاقهم فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود (فمنهم)من يقولها جاهلا بما وضعت له وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه والصدق والاخلاص وغيرها كعدم القبول ممن دعى اليها علما وعملا، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه كحال اكثر من يقولها قديما وحديثا ، ولكن في أواخر هذه الامة اكثر (ومنهم)من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كبر أو هوى أو غير ذلك من الاسباب وهي كثيرة منها قوله تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) الى قوله (فتربصوا حتى يأتي الله بامره . والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وأما أهل الايمان الخلص فهم الذين أتوا بهذه الكلمه واجتمعت لهم قيودها التي قيدت بها علما ويقينا وصدقا واخلاصا ومحبة وقبولا وانقيادا وعادوا فيه ووالوا فيه وأحبوا فيه وأبغضوا فيه ، وقد ذكرهم تعالى في مواضع من سورة براءة وغيرها وخصهم بالثناء عليهم ، والعفو عنهم وأعد لهم جنته وأنجاهم من النار كما قال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) وقال (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) فهؤلاء ومن اتبعهم باحسان هم أهل لا اله الا الله وغير هذه من الايات في الثناء عليهم وما أعد لهم في

الدار الآخرة فمن تدبر القرآن وعرف تفاوت الخلق في محبة ربهم وتوحيده والعمل بطاعته والهرب من معصيته وايثار ما يحبه تعالى رغبة وعملا وترك ما يكرهه خشية ورجاء واعتبر الناس باحوالهم وأقوالهم وأعمالهم ونياتهم واراداتهم وما هم عليه من التفاوت البعيد تبين له خطأ المغرورين كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني »

قوله ﴿وللترمذي وحسنه عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى : يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة ﴾ (١)

في هذا الحديث مايبين معنى (لا اله الا الله) الذي رجحت بجميع المخلوقات ، وجميع السيئات وان ذلك هو ترك الشرك قليله وكثيره ، وذلك يقتضي كمال التوحيد فلا يسلم من الشرك الا من حقق توحيده وأتى بما تقتضيه كلمة الاخلاص من العلم واليقين والصدق والاخلاص والمحبة والقبول والانقياد وغير ذلك مما تقتضيه تلك الكلمة العظيمة كما قال تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم)

قوله ﴿ باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ﴾ (٢)

أي ولا عذاب وتحقيقه تصفيته وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والاصرار على الذنوب فمن كان كذلك فقد حقق توحيده وتحقيق التوحيد عزيز في الامة لا يوجد الا في أهل الايمان الخلص الذين

---

(١) الحديث في الصفحة ٥ وليس في أوله ذكر مخرجه لانه لم يوجد في النسخ التي طبعنا عنها فالظاهر انه كان عند صاحب التعليق نسخة أصح منها «٢» ص ٦

أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه كما قال تعالى في يوسف عليه السلام (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وفي قراءة المخلصين وهم في صدر هذه الامة كثيرون وفي آخرها هم الغرباء وقد قلوا وهم الاعظمون قدراً عند الله . وقال تعالى عن خليله عليه السلام (قال ياقوم اني بريء مما تشركون * اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر السموات والارض أي خلقها وابتدعهما على غير مثال سبق (حنيفا) أي في حال كوني حنيفا أى مائلا عن الشرك الى التوحيد ولهذا قال (وما أنا من المشركين) ونظائر هذه الآية في القرآن كثير كقوله (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) وقال تعالى (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى)

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في الآية يقول تعالى مخبراً عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لاوامره واتبع شرعه ولهذا قال (وهو محسن) أي في عمله واتباع ما أمر به وترك ما عنه زجر فدلت هذه الاية العظيمة على أن كمال الاخلاص انما يوجد بترك الشرك والبراءة منه وممن فعله كما تقدم في الباب قبل هذا

قوله وقول الله تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا ولم يك من المشركين) قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: يمدح تعالى عبده ورسوله وخليله ابراهيم أمام الحنفاء بتبرئته من المشركين ومن اليهودية والنصرانية والمجوسية. والامة هو الامام الذى يقتدى به والقانت هو

الخاشع المطيع والحنيف المنحرف قصداً عن الشرك الى التوحيد ولهذا قال (ولم يك من المشركين) وقال مجاهد كان ابراهيم أمة أى مؤمنا وحده والناس كلهم اذ ذاك كفار

(قلت) وكلا القولين حق فقد كان الخليل عليه السلام كذلك وقول مجاهد والله أعلم لما كان الخليل كذلك في ابتداء دعوته ونبوته ورسالته عليه السلام فمدحه الله تعالى بتبرئته من المشركين كما قال تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبيا * اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) الآيات ، وقوله (وان من شيعته لابراهيم * اذ جاء ربه بقلب سليم) فهذا والله أعلم كان في ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام ولم يكن اذ ذاك على وجه الارض مسلم غيره وبذلك جاء الحديث

وقوله (ولم يك من المشركين) فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والاركان وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته، وكسر الاصنام وصبر على ما أصابه في ذات الله وهذا هو تحقيق التوحيد وهو أساس الدين ورأسه كما قال تعالى (اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) وأنت تجد اكثر من يقول لااله الا الله ويدعي الاسلام يفعل الشرك بالله في عبادته بدعوة من لايضر ولا ينفع من الاموات والغائبين والطواغيت والجن وغيرهم ويحبهم ويواليهم ويخافهم ويرجوهم، وينكر على من دعا الى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه ، ويزعم أن ذلك بدعة وضلالة ، ويعادي من عمل به وأحبه وأنكر الشرك وأبغضه ، وبعضهم لا يعد التوحيد علما ولا يلتفت اليه لجهله به وعدم محبته فالله المستعان

وقوله : وقول الله تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) الى قوله (والذين هم بربهم لا يشركون) قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى أي من احسانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون وجلون من مكره بهم كما قال الحسن البصري : المؤمن من جمع احسانا وشفقا ، والمنافق من جمع اساءة وأمنا (والذين هم بايات ربهم يؤمنون) أى يؤمنون بايات الله الكونية والشرعية لقوله تعالى عن مريم (وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) أى أيقنت أن ما كان فهو من قدر الله وقضائه وما شرعه الله وان كان أمرا فهو ما يحبه الله ويرضاه ، وان كان نهيا فهو ما يكرهه ويأباه ، وان كان خبرا فهو حق كما قال تعالى (والذين هم بربهم لا يشركون) أى لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لا اله الا هو الاحد الصمد الذى لا يتخذ صاحبة ولا ولداً وانه لا نظير له . انتهى

(قلت) فترك الشرك يتضمن كمال التوحيد ومعرفته على الحقيقة ومحبته وقبوله والدعوة اليه كما قال تعالى (قل اني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب) وتضمنت هذه الاية كمال التوحيد وتحقيقه وبالله التوفيق، قوله «عن حصين بن عبد الرحمن»(١) هو الحارثي من تابعي التابعين عن الشعبي «قال : كنت عند سعيد بن جبير » هو الوالبي مولاهم الفقيه(٢) عن ابن عباس وخلق قال اللالكائي ثقة أمام حجة قتله الحجاج

«١» هذا الحديث بدأ الشارح بشرحه من غير أن يذكره منفرداً أولا على نسق ماتقدم «٢» كذا في الاصل والمراد انه روى عن ابن عباس

ابن يوسف فما أمهله الله بعده قوله «فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ يعني كوكبا رجم به تلك الليلة يقال البارحة لليلة الماضية إذا زالت الشمس وأما قبل الزوال فيقال الليلة . قوله « فقلت أنا » أي أنا رأيته « ثم قلت اما اني لم أكن في صلاة » قال ذلك حذرا من الشرك لئلا يظن الحاضرون أنه قام من الليل للعبادة فيكون قد ادعى لنفسه ما لم يفعله فما أشد حذر التابعين ومن قبلهم من الشرك دقيقه وجليله والحذر من أن يحمد بما لم يفعله . فما أعز من سلم من الشرك كما سيأتي

قوله « قد أحسن من انتهى إلى ماسمع » فيه حسن الادب مع العلم وأهله وان من فعل شيئاً سئل عن مستنده في فعله هل كان مقتديا أم لا ؟ ومن لم يكن معه حجة شرعية فلا عذر له بما فعله ، ولهذا ذكر ابن عبد البر الاجماع على أن المقلد ليس من أهل العلم فتفطن لهذا

قوله ولكن(١) حديث حدثناه الشعبي قال: وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة . هذا الحديث قد روي مرفوعا والشعبي اسمه عامر بن شراحيل الحميري الشعبي الامام روى عن عمر وعلي وابن مسعود ولم يسمع منهم ، وعن أبي هريرة وعائشة وجرير وابن عباس وخلق ، قال الشعبي : ما كتبت سوداء في بيضاء . توفي سنة ثلاث ومائة وبريدة هو ابن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الاسلمي أسلم قبل بدر وعمل على اليمن في أيام النبي صلى الله عليه وسلم صحابي مشهور

قوله « لا رقية الا من عين أو حمة » هذا والله أعلم في أول الامر ثم

(١) كلمة ولكن ليست في الاصل

رخص في الرقى إذا كانت بحق والله أعلم . قوله «ولكن حدثنا ابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبي ﷺ حبر الامة وترجمان القرآن دعا له النبي ﷺ فقال « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وصار آية في العلم والفهم وكثرة ما روى من الاحاديث على أنه من صغار الصحابة لكن طلب الحديث من كبار الصحابة فحفظ الاكثر مما كان عندهم رضي الله عنهم اجمعين

قوله « أن النبي ﷺ قال « عرضت علي الامم » قلت فالله أعلم متى عرضت وعرضها أن الله تبارك وتعالى أراه مثالها اذا جاءت الانبياء ومن تبعهم . فمن نجا بالايمان بالله وما بعث به أنبياءه ورسله من دينه الذى شرعه لهم وهو عبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه والاخذ بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه كما قال تعالى عن قوم نوح (قال ياقوم إني لكم نذير مبين * أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) فعبادته توحيده وطاعته بامتثال ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه وطاعة رسوله. هذا هو الدين أن لايعبد الا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرع فعلا وتركا، وأن يقدم طاعة رسوله على ما يحبه ويهواه

قوله « فرأيت النبي ومعه الرهط» الرهط العشرة فما دون « والنبي ومعه الرجل والرجلان» أي اتباعه «والنبي وليس معه أحد» أي يبعث في قومه فلا يتبعه منهم أحد كما قال تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين* وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) وفيه دليل على أن الناجي من الامم هم القليل والاكثر غلبت عليهم الطباع البشرية فعصوا الرسل فهلكوا كما قال تعالى (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك

عن سبيل الله) وقال (وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) وقال (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، والناجون وان كانوا أقل القليل فهم السواد الاعظم فانهم الاعظمون قدراً عند الله وان قلوا، فليحذر المسلم أن يغتر بالكثرة وقد اغتر بهم كثيرون حتى بعض من يدعي العلم اعتقدوا في دينهم ما يعتقده الجهال الضلال ولم يلتفتوا الى ماقاله الله ورسوله

قوله« اذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه »فيه فضيلة اتباع موسى من بني اسرائيل ممن آمن منهم بالرسل والكتب التي أنزلها الله التوراة والانجيل والزبور والفرقان وغيرها وكانت بنو اسرائيل قبل التفرق كثيرين وفيهم الانبياء ثم بعد ذلك حدث ما حدث من اليهود، وهذا الحديث يدل على أن التابع لموسى عليه السلام كثيرون جداً، وقد قال تعالى (وفضلناهم على العالمين) أي في زمانهم وذلك ان في زمانهم وقبله ممن كفر بالله خلق لا يحصون كحزب جالوت وبختنصر وأمثالهم ففضل الله بني اسرائيل بالايمان فصاروا أفضل أهل زمانهم وحدث فيهم ما ذكر الله في سورة البقرة وغيرها من معصيتهم لانبيائهم واختلافهم في دينهم، وقد ذكره الله تعالى محتجا به على اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ فتدبر ما ذكره الله تعالى من أحوالهم بعد الاختلاف

قوله« ثم نظرت فاذا سواد عظيم» وفي رواية« قد سد الافق فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»

فيه فضيلة هذه الامة وانهم اكثر الامم تابعا لنبيهم ﷺ وقد كثروا في عهد الصحابة رضي الله عنهم ، وفي وقت الخلفاء الراشدين ومن بعدهم فملأوا القرى والامصار والقفار وكثر فيهم العلم واجتمعت لهم الفنون في العلوم النافعة فما زالت هذه الامة على السنة في القرون الثلاثة المفضلة، وقد قلوا في آخر الزمان : قال شيخنا رحمه الله تعالى في مسائله: وفيه فضيلة هذه الامة بالكمية والكيفية(١) فالكمية الكثرة والعدد ، والكيفية فضيلتهم في صفاتهم كما في هذا الحديث بقوله « ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب »

قوله « ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك » أي الحاضرون في ذكر هذا الحديث وفيه أيضا فضل الصحابة رضي الله عنهم في مذاكرتهم العلم وحرصهم على فهم ما حدثهم به نبيهم ﷺ حرصا على العمل به، وفيه جواز الاجتهاد فيما لم يكن فيه دليل لانهم قالوا ما قالوا باجتهادهم ، ولم ينكر ﷺ ذلك عليهم لكن المجتهد إذا لم يكن معه دليل لا يجوز له أن يجزم بصواب نفسه بل يقال لعل الحكم كذا وكذا كقول الصحابة رضي الله عنهم في هذا الحديث

قوله : فخرج عليهم رسول الله ﷺ فاخبروه فقال « هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » أي لا يطلبون الرقية من أحد ولا يكتوون اذا كان فيهم ما يستشفى بالكي منه ولا يتطيرون والطيرة شرك فتركوا الشرك رأسا ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرقية فما فوقها وتركوا الكي وان كان يراد للشفاء ،

(١) هي المسألة التاسعة كما في ص ٧

والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على الله وتفويضهم أمورهم اليه ، وان لا تتعلق قلوبهم بشيء سواه في ضمن ما دبره وقضاه فلا يرغبون الا الى ربهم ولا يرهبون الا منه ، ويعتقدون أن ما أصابهم بقدره واختياره لهم فلا يفزعون الا اليه وحده في كشف ضرهم . قال تعالى عن يعقوب عليه السلام (انما أشكو بثي وحزني الى الله)

قوله « فقام عكاشة بن محصن » صحابي مشهور شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ وهو من بني أسد بن خزيمة قتله طليحة بن خويلد شهيداً وكان قد سار مع خالد بن الوليد لقتال أهل الردة فقاتل بني أسد لردتهم عن الاسلام وكان فيهم طليحةوقد ادعى النبوة وصدقوه فأكرم الله عكاشة على يده لما كان كافرا ثم بعد ذلك هداه الله إلى الاسلام وجاهد الفرس مع سعد بن أبي وقاص وصار له في الفرس وقائع معروفة في السير وكان ممن استشهد في قتالهم في وقعة الحيرة المشهورة

قوله « فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم » فيه ان شفاعة الحي لمن سأله الدعاء انما كانت بدعائه ، وبعد الموت قد تعذر ذلك بأمور لا تخفى على من له بصيرة ، فمن سأل ميتاً أو غائبا فقد سأل مالا يقدر عليه ، وكل من سأل أحداً مالا يقدر عليه إلا الله فقد جعله نداً لله كما كان المشركون كذلك وقال تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) انه ربكم وخالقكم ومن قبلكم وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ترغبوا عنه إلى غيره بل أخلصوا له العبادة بجميع أنواعها فيما تطلبونه من قليل أو كثير

قوله «أنت منهم» لما كان يعلمه ﷺ من ايمانه وفضله وجهاده كما في الحديث «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم»

قوله « ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » والظاهر انه أراد صلوات الله وسلامه عليه سد الذريعة لئلا يتتابع الناس بسؤال ذلك فيسأله من ليس أهلا له . وذلك منه ﷺ تعريض كما لا يخفى

قوله ﴿ باب الخوف من الشرك وقول الله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (١)

قال النووي رحمه الله تعالى : أما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الاوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادا وغيره ولا بين من خالف ملة الاسلام وبين من انتسب اليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك . وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع به لكن ان لم يكن صاحب كبيرة مصرّاً عليها ومات على ذلك فهو تحت المشيئة فان عفي عنه دخل الجنة أولاً والا عذب في النار ثم أخرج منها وأدخل الجنة . انتهى

(قلت) هذا قول أهل السنة والجماعة لا اختلاف بينهم في ذلك ، وهذه الآية من أعظم مايوجب الخوف من الشرك لان الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك وأوجب له الخلود في النار وأطلق ولم يقيد ثم قال (ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فخصص وقيد فيما دون الشرك فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه فلا يرجى له معه نجاة، ان لم يتب منه قبل الوفاة

قوله ﴿ وقال الخليل عليه السلام (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام)

---

(١) هو في آخر ص ٧

أي ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، والخلة أخص من المحبة ، ولهذا اختص بها الخليلان ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) وهذا أيضا يخيف العبد ، فاذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة واحدة وابتلاه بكلمات فأتمهن وقال (وابراهيم الذي وفى) وأمر بذبح ولده فامتثل أمر ربه ، وكسر الاصنام واشتد نكيره على أهل الشرك ، ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الاصنام لعلمه انه لا يصرفه عنه الا الله بهدايته وتوفيقه لا بحوله هو وقوته

وما أحسن ما قال ابراهيم التيمي : ومن يأمن البلاء بعد ابراهيم ؟ فهذا أمر لا يؤمن الوقوع فيه وقد وقع فيه الاذكياء من هذه الامة بعد القرون المفضلة فاتخذت الاوثان وعبدت فالذي خافه الخليل عليه السلام على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الامة بعد القرون المفضلة فبنيت المساجد والمشاهد على القبور وصرفت لها العبادات بأنواعها واتخذ ذلك دينا وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح واللات والعزى ومناة وأصنام العرب وغيرهم . فما أشبه ماوقع في آخر هذه الامة بحال أهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم ، بل وقع ماهو أعظم من الشرك في الربوبية مما يطول عده ، فذكر عليه السلام السبب الذي أوجب له الخوف عليه وعلى ذريته بقوله (رب انهن أضللن كثيراً من الناس) وقد ضلت الامم بعبادة الاصنام في زمن الخليل وقبله وبعده فمن تدبر القرآن عرف أحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه والوعيد على فعله ، والثواب على تركه . وقد هلك من هلك باعراضه عن القرآن وجهله بما أمر الله به ونهى عنه نسأل الله الثبات على الاسلام

والاستقامة على ذلك الى ان نلقى الله على التوحيد أنه ولي ذلك والقادر عليه (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) وقال تعالى (إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) رد أمرهم إلى الله كما رد عليه السلام ، وقد بين الله تعالى فيما أنزله على نبيه محمد ﷺ حكمه في أهل الشرك بأنه لا يغفره لهم فلا معارضة وقد بين حكمه فيهم في هذا الكتاب العزيز (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

وقوله في الحديث لاصحابه ﷺ «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر » فسئل عنه فقال « الرياء » (١)

وهذا الحديث رواه الامام احمد والطبراني والبيهقي عن محمود ابن لبيد فاذا كان يخافه صلى الله عليه وسلم على أصحابه الذين وحدوا الله بالعبادة ورغبوا اليه والى ما أمرهم به من طاعته فهاجروا وجاهدوا من كفر به وعرفوا مادعاهم اليه نبيهم، وما أنزله الله في كتابه من الاخلاص والبراءة من الشرك فكيف لا يخاف من لا نسبة له اليهم في علم ولا عمل مما هو أكبر من ذلك ، وقد أخبر ﷺ عن أمته بوقوع الشرك الاكبر فيهم بقوله في حديث ثوبان الآتي ذكره « حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الاوثان » وقد جرى ما أخبر به ﷺ وعمت به البلوى في اكثر الاقطار حتى اتخذوه دينا مع ظهور الآيات المحكمات، والاحاديث الصحيحة في النهي عنه والتخويف منه كما قال تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقال

«١» في ص ٨

(فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به) وهذا هو تحقيق التوحيد كما تقدم في الباب قبله. ثم قال تعالى محذراً عباده من الشرك (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) ومن لم تخوفه هذه الايات وتزجره عن الشرك في العبادة اذا تدبرها فلا حيلة فيه

قوله ﴿ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار » رواه البخاري ﴾ (١)

وهذا الحديث فيه التحذير من الشرك أيضا والتخويف منه والند المثل والشبيه فمن دعا ميتا أو غائبا وأقبل اليه بوجهه وقلبه رغبة اليه ورهبة منه سواء سأله أو لم يسأله فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، ولهذا حرم الله تعالى اتخاذ الشفعاء وأنكره على من فعل ذلك أشد الانكار لكونه ينافي الاخلاص الذي هو اقبال القلب والوجه على الله في كل ما يخافه العبد ويرجوه ويتقرب به ويدين به، ومن المعلوم أنه اذا التفت للشفيع يسأله فقد أعرض بوجهه وقلبه عن الله تعالى وذلك ينافي الاخلاص ويأتي بيان ذلك في باب الشفاعة ان شاء الله تعالى

قوله ﴿ ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار » ﴾ (١)

قوله « من لقي الله لا يشرك به شيئا » هذا هو الاخلاص كما تقدم وقوله « ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار » هذا هو الشرك فمن لقي الله بالشرك دخل النار قل أو كثر، أما الشرك الاكبر فلا عمل

(١) كلاهما في ص ٨

معه ويوجب الخلود في النار كما تقدم في معنى الآيات ، وأما الاصغر كيسير الرياء وقول الرجل ماشاء الله وشئت، وقوله مالي الا الله وأنت ونحو ذلك فهذا لايكفر الا برجحان السيئات بالحسنات . قال بعض العلماء اقتصر على نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه اثبات الرسالة باللزوم اذ من كذب رسل الله فقد كذب الله ، ومن كذب الله فهو مشرك فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الايمان به اجمالا في الاجمالي، وتفصيلا في التفصيل اه

قوله ﴿ باب الدعاء الى شهادة أن لا اله الا الله . وقول الله تعالى ﴿ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (١)

قال أبو جعفر ابن جرير يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ (قل) يامحمد (هذه) الدعوة التي أدعو اليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والاوثان، والانتهاء الى طاعته وترك معصيته (سبيلي) وطريقتي ودعوتي (أدعو الى الله) وحده لاشريك له (على بصيرة) بذلك ويقين علم مني به (أنا و) يدعو اليه على بصيرة أيضا (من اتبعني) وصدقني وآمن بي (وسبحان الله) يقول تعالى ذكره وقل تنزيها لله وتعظيما له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه (وما أنا من المشركين) يقول وأنا بريء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم مني . اه

وهذه الآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعون الى الله

(١) ص٨

تعالى ومن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة وان كان من أتباعه على الانتساب والدعوى قاله العلامة ابن القيم رحمه الله وقد قال تعالى (قل اني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، اليه أدعو واليه مآب) وما زال النبي ﷺ وأصحابه يدعون إلى ما أمر الله به من الدعوة إلى توحيده في العبادة ، والنهي عن الشرك به ويجاهدون على ذلك ، والايات في الامر بذلك كثيرة جداً

قوله ﴿ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً الى اليمن قال له «انك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوهم اليه شهادة أن لا إله الا الله » الحديث ﴾ (١) وأهل الكتاب المذكورون في هذا الحديث من كان في اليمن من اليهود والنصارى إذذاك قوله « فليكن اول ماتدعوهم اليه شهادة أن لا اله الا الله ﴾ وكانوا يقولونها لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من اخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ماسواه ، فكان قولهم لا اله الا الله لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الامة فانهم كانوا يقولونها مع ماكانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الاموات والغائبين والطواغيت والمشاهد فيأتون بما ينافيها فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم ، وينفون ما أثبتته من الاخلاص كذلك ، وظنوا ان معناها القدرة على الاختراع تقليداً للمتكلمين من الاشاعرة وغيرهم وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون فلم يدخلهم في الاسلام كما قال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ — الى قوله — فأنّى تسحرون) وقوله (قل من يرزقكم من السماء والارض ؟ أم من يملك

(١) ص ٨

السمع والابصار ؟ ـ الى قوله ـ ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ؟) وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير . وهذا التوحيد قد اقرّ به مشركو الامم وأقر به اهل الجاهلية الذين بعث فيهم محمد ﷺ فلم يدخلهم في الاسلام لانهم قد جحدوا ما دلت عليه هذه الكلمة من توحيد الالهية وهو اخلاص العبادة ونفي الشرك والبراءة منه كما قال تعالى (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) فهذا التوحيد هو اصل الاسلام ، وقال تعالى (ان الحكم الا لله امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقال (فأقم وجهك للدين القيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله) وقال تعالى (ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير) وقال تعالى (فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص) وامثال هذه الآيات في بيان التوحيد الذي دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب في القرآن كثير ، وسنذكر بعض ذلك ان شاء الله تعالى في هذا التعليق

قوله « فليكن اول » منصوب على انه خبر (يكن) مقدم و (شهادة) اسمها مؤخر ويجوز العكس وفيه دليل على ان توحيد العبادة هو أول واجب لانه أساس الملة وأصل دين الاسلام . وأما قول المتكلمين ومن تبعهم ان أول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال فذلك أمر فطري فطر الله عليه عباده ، ولهذا كان مفتتح دعوة الرسل أممهم الى توحيد العبادة (أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره) اي لا تعبدوا الا الله قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك

من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا انا فاعبدون) وقال تعالى (قالت رسلهم أفي الله شك ؟ فاطر السموات والارض) قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا يحتمل شيئين (احدهما) أفي وجوده شك؟ فان الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الاقرار به فان الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة (والمعنى الثاني) أفي الهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك؟ وهو الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق العبادة الا هو وحده لا شريك فان غالب الامم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنون انها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى اه

قلت : وهذا الاحتمال الثاني يتضمن الاول وروى أبو جعفر ابن جرير بسنده عن عكرمة ومجاهد وعامر أنهم قالوا ليس أحد الا وهو يعلم ان الله خلقه وخلق السموات والارض فهذا إيمانهم . وعن عكرمة أيضا تسألهم من خلق السموات والارض ؟ فيقولون الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره ، وتقدم أن لا إله الا الله قد قيدت بالكتاب والسنة بقيود ثقال منها العلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والقبول والانقياد والكفر بما يعبد من دون الله فاذا اجتمعت هذه القيود لمن قالها نفعته هذه الكلمة وان لم تجتمع هذه لم تنفعه والناس متفاوتون في العلم بها والعمل فمنهم من ينفعه قولها ومنهم من لا ينفعه كما لا يخفى

قوله «فان هم أطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة » فيه دليل على ان المشرك لا يطالب بفعل الصلاة الا اذا أسلم بتركه الشرك باطنا وظاهراً لان الاسلام شرط لصحة العبادة كما قال النووي رحمه الله مامعناه: إنه يدل على أن المطالبة بالفرائض في الدنيا

لايكون الا بعد الاسلام ولا يلزم من ذلك ان لا يكونوا مخاطبين بها، ويزاد في عذابهم في الآخرة والصحيح ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه، وهذا قول الاكثرين

قوله «فان هم أطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم »

فيه ان الزكاة لاتنفع الا من وحد الله وصلى الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وواجباتها والزكاة قرينة الصلوات في كتاب الله تعالى ويدل على هذه الجملة قوله تعالى (وماأمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) فمن أتى بهذه الأمور أتى ببقية الاركان لقوة الداعي الى ذلك لأن ذلك يقتضي الاتيان بها لزوما قال تعالى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) قال أنس في الآية : توبتهم خلع الأوثان وعبادتهم ربهم واقام الصلاة وايتاء الزكاة، وعن ابن مسعود مرفوعا «أمرت باقام الصلاة وايتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له» وقال ابن زيد أبى الله ان تقبل الصلاة إلا بالزكاة، وفيه بيان مصرف الزكاة .

قوله « فان هم أطاعوك لذلك فاياك وكرائم أموالهم » تحذير له من أن يتجاوز ما شرعه الله ورسوله في الزكاة وهو أخذها من أوساط المال لان ذلك سبب لاخراجها بطيب نفس ونية صحيحة وكل مازاد على المشروع فلاخير فيه وهذا أصل ينبغي التفطن له .

قوله «واتق دعوة المظلوم » يدل على أن العامل اذا زاد على المشروع صار ظالما لمن أخذ ذلك منه ودعوة المظلوم مقبولة ليس بينها وبين الله حجاب يمنع قبولها، وفيه التحذير من الظلم مطلقا فعلى العامل ان يتحري

العدل فيما استعمل فيه فلا يظلم باخذ زيادة على الحق ولا يحابي بترك شيء منه فعليه ان يقصد العدل من الطرفين والله أعلم .

قوله «عن سهل بن سعد»(١) أي ابن مالك بن خالد الانصاري الخزرجي الساعدي ابو العباس صحابي شهير وأبوه صحابي ايضا مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة

قوله « أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه » الحديث فيه البشارة بالفتح وهو علم من أعلام النبوة وقد وقع كما أخبر رسول الله ﷺ

قوله « يحب الله ورسوله » قال شيخ الاسلام ليس هذا الوصف مختصا بعلي ولا بالائمة فان الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله لكن هذا الحديث من أحسن مايحتج به على النواصب الذين لا يتولونه أو يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم فان الخوارج تقول في علي مثل ذلك لكن هذا باطل فان الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافراً .وفيه اثبات صفة المحبة لله خلافا للجهمية ومن أخذ عنهم ، وفيه فضيلة أخرى لعلي رضي الله عنه بما خصه به من اعطاء الراية ودعوته أهل خيبر الى الاسلام وقتالهم اذا لم يقبلوا،وقد جرى له رضي الله عنه في قتالهم كرامات مذكورة في السير والمغازي ، وفيه مشروعية الدعوة الى الاسلام الذي

(١) الذي في كتاب التوحيد: ولهما عن سهل بن سعد الخ يعني الشيخين وهو معطوف على قوله قبله: أخرجاه . أي الحديث السابق وسقطا من التعليق. والحديث في ص ٩

أساسه شهادة أن لا إله الا الله لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية

(قوله) فقال « أين علي بن أبي طالب ؟ » فقيل هو يشتكي عينيه قال المصنف رحمه الله تعالى فيه الايمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع ومنعها عمن سعى

(قوله) فأرسل اليه أي النبي ﷺ أرسل اليه من يأتيه به ، وفي صحيح مسلم أن الذي جاء به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وعن اياس ابن سلمة عن أبيه أن الذي جاء به سلمة رضي الله عنه

(قوله) فبصق في عينيه أي تفل (قوله) ﴿ودعا له فبرأ﴾ هو بفتح الراء والهمزة أي عوفي في الحال عافية كاملة ، وذلك بدعوة النبي ﷺ كما في الحديث فدعا فاستجيب له عليه السلام وفيه علم من أعلام النبوة أيضا ، وذلك كله بالله ومن الله وحده وهو الذي يملك الضر والنفع، والعطاء والمنع ، لا اله غيره ولا رب سواه

قوله « أنفذ » هو بضم الفاء والهمزة (١) قوله « على رسلك » أمره أن يسير اليهم بادب واناة « حتى تنزل بساحتهم » الساحة هي ما قرب من حصونهم

قوله « ثم ادعهم الى الاسلام » هذا هو شاهد الترجمة وهكذا ينبغي لاهل الاسلام أن يكون قصدهم بجهادهم هداية الخلق الى الاسلام والدخول فيه وينبغي لولاة الامر أن يكون هذا هو معتمدهم ومرادهم ونيتهم . قال شيخ الاسلام : دين الاسلام الذى ارتضاه الله وبعث به

« ١ » انما تضم الهمزة في بدء الكلام وهي همزة وصل تسقط اذا وقعت في أثناء الكلام

رسله هو الاستسلام لله وحده فاصله في القلب ، والخضوع لله وحده بعبادته دون ما سواه . فمن عبده وحده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما ، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما ، وأما الايمان فأصله تصديق القلب واقراره ومعرفته

قوله « واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى » فيه مما امر به وشرعه من حقوق لا إله إلا الله وهذا يدل على أن الاعمال من الايمان خلافا للأشاعرة والمرجئة في قولهم إنه القول وزعموا أن الايمان هو مجرد التصديق وتركوا مادل عليه الكتاب والسنة لان الدين ما امر الله به فعلا وما نهى عنه تركا وفيه الرد على المشركين المستدلين على الشرك بكرامات الاولياء لدلالتها على فضلهم وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقع له من الكرامات مالم يقع لغيره وقد خد الاخاديد واضرمها بالنار وقذف فيها من غلا فيه أو اعتقد فيه بعض ما كان يعتقده هؤلاء المشركون مع اهل البيت وغيرهم فصار من أشد الصحابة رضى الله عنه بعدا عن الشرك وشدة على من أشرك حتى أحرقهم بالنار

وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ما أعطي من الكرامات صار من أبعد الصحابة عن الشرك وذرائعه . وهؤلاء أفضل اهل الكرامات فما زادهم ذلك الا قوة في التوحيد ، وشدة على أهل الشرك والتنديد ، كما جرى لعمر رضي الله عنه في الاستسقاء بالعباس وتعمية قبر دانيال لما وجده الصحابة في بيت مال الهرمزان ، كما ان المعجزات انما زادت الرسل قوة في الدعوة الى التوحيد وشدة على أهل الشرك والانكار عليهم وجهادهم لكن قد يقع من الاحوال الشيطانية لمن استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه ماقد يلتبس على

الجهال الذين تلبسوا بالشرك ويظنون أن ذلك كرامات وهي من مكر الشيطان ، واغوائه لمن لم يعرف الحق من الباطل ، وقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ (فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم) فكذلك يجب على كل أحد ان يطلب الحق من القرآن بتدبره فانه الصراط المستقيم ولا يلتفت الى ما زخرفته الشياطين كما اغتر به من اغتر في هذه الامة ومن قبلهم

قوله « وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى » فيه من أداء الفرائض على الوجه الشرعي والنهي عن تعدي الحدود التي حدها الله بين الحلال والحرام وذلك من الايمان فالحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله ، والدين ما شرعه الله ، فاذا أخذ بالاسلام الذي هو التوحيد والاخلاص وأحل ما أحله الله تعالى وحرم ما حرمه الله تعالى وأمر بذلك وجاهد عليه فقد قام بما وجب وبالله التوفيق

قوله « فوالله » فيه جواز الحلف على ما أفتى به قوله « لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم » حمر بسكون الميم الا بل الحمر وهي أنفس الاموال عند العرب وفيه الترغيب في الدعوة إلى الله وطلب الهداية لمن أراد الله هدايته ليحصل للداعي الى الحق هذه الفضيلة العظيمة بهداية من اهتدى فلا ينبغي التفريط في هذه المطالب العالية وبالله التوفيق

قوله « يدوكون » أي يخوضون بين المصنف رحمه الله تعالى معنى هذه اللفظة بان المراد خوض السامعين في هذا الخير وتمني حصوله

قوله ﴿ باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله ﴾ (١)

من عطف الدال على المدلول لان التوحيد هو معنى هذه الكلمة

(١) ص ١٠

العظيمة وذلك يتبين بما ساقه من الآيات والحديث لما فيها من زيادة البيان وكشف ما أشكل من ذلك واقامة الحجة على من غالط في معنى (لا اله الا الله) من أهل الجهل والالحاد

قوله: وقول الله تعالى (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) أي أولئك الذين يدعوهم أهل الشرك ممن لا يملك كشف الضر ولا تحويله من الملائكة والانبياء والصالحين كالمسيح وأمه والعزير فهؤلاء دينهم التوحيد وهو بخلاف من دعاهم من دون الله ووصفهم بقوله (يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) فيطلبون القرب من الله بالاخلاص له وطاعته فيما أمر، وترك ما نهاهم عنه. وأعظم القرب التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله وأوجب عليهم العمل به والدعوة اليه، وهذا الذي يقربهم الى الله أى الى عفوه ورضاه ووصف ذلك بقوله (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فلا يرجون أحداً سواه ولا يخافون غيره، وذلك هو توحيده لان ذلك يمنعهم من الشرك ويوجب لهم الطمع في رحمة الله والهرب من عقابه، والداعي لهم والحالة هذه قد عكس الامر وطلب منهم ما كانوا ينكرون من الشرك بالله في دعائهم لمن كانوا يدعونه من دون الله ففيه معنى قوله (ويوم القيامة يكفرون بشركهم) وقوله (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وفيه الرد على من ادعى أن شرك المشركين انما هو بعبادة الاصنام وتبين بهذه الاية أن الله تعالى أنكر على من دعا معه غيره من الانبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم، وان دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضر من الشرك الاكبر الذى لا يغفره الله، وان

ذلك ينافي ما دلت عليه كلمة الاخلاص . فتدبر هذه الآية العظيمة يتبين لك التوحيد، وما ينافيه من الشرك والتنديد ، فانها نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه والعزير فهم المعنيون بقوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا) ثم بين تعالى ان هؤلاء المشركين قد خالفوا من كانوا يدعونه في دينه فقال (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب)وقدم المعمول لانه يفيد الحصر يعني يبتغون الى ربهم الوسيلة لا الى غيره وأعظم الوسائل الى الله تعالى التوحيد الذى بعث الله به أنبياءه ورسله وخلق الخلق لاجله ومن التوسل اليه التوسل باسمائه وصفاته كما قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وكما ورد في الاذكار المأثورة من التوسل بها في الدعوات كقوله « اللهم إني أسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام » وقوله « اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وغير ذلك من الاعمال الصالحة الخالصة التي لم يشبها شرك فالتوسل إلى الله هو بما يحبه ويرضاه ، لا بما يكرهه ويأباه من الشرك الذى نزه نفسه عنه بقوله (سبحان الله عما يشركون) وقوله (سبحان الله وما أنا من المشركين) وقوله في الانكار على من اتخذ الشفعاء (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير يأمر عباده باخلاص العبادة له ،وينهاهم عن عبادة ما سواه، ويعظم عقوبته كما قد جرى على الامم المكذبة للرسل فيما جاؤهم به من التوحيد والنهي

عن الشرك .فاوقع الله تعالى بهم ما أوقع كقوم نوح وعاد وثمود ونحوهم فانهم عصوا الرسل فيما أمروهم به من التوحيد وتمسكوا بالشرك وقالوا لنوح (ما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) وقالوا لهود (ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) الايات وقالوا لصالح (قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) وقالوا لشعيب(أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا؟) فتدبر ما قص الله تعالى في كتابه مما دعت اليه الرسل وما أوقع بمن عصاهم فان الله تعالى أقام به الحجة على كل مشرك الى يوم القيامة ، وأما ما ورد في معنى الاية عن ابن مسعود قال كان ناس من الانس يعبدون ناسا من الجن فاسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم

(قلت) وهذا لا يخالف ما تقدم لان هذه الاية حجة على كل من دعا مع الله ولياً من الاولين والاخرين كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه الاية وهذه الاقوال كلها حق فان الآية تعم من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر

وقوله (وإذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني برآء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سيهدين) الآية .الكلمة هي لا إله الا الله باجماع أهل العلم وقد عبر عنها الخليل عليه السلام بمعناها الذي أريد به فعبر عن المنفي بها بقوله (انني برآء مما تعبدون) وعبر عما أثبتته بقوله (إلا الذي فطرني) فقصر العبادة على الله وحده ونفاها عن كل ماسواه ببرائته من ذلك فما أحسن التفسير لهذه الكلمة وما أعظمه . قال العماد ابن كثير في قوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه)أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لاشريك

له وخلع ماسواه من الاوثان وهي لا إله إلا الله جعلها في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية ابراهيم عليه السلام (لعلهم يرجعون) أي اليها قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله (وجعلها كلمة باقية في عقبه) يعني لا إله الا الله لا يزال في ذريته من يقولها وقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد وهذه الاية قد فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم وذلك أنه لما جاء مسلما دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الاية قال فقلت انهم لم يعبدوهم قال« بلى انهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم »رواه أحمد والترمذي وحسنه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طرق قال السدي استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى(وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) فصار ذلك عبادة لهم وصاروا به لهم أربابا من دون الله وقد قال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ؟)

قوله (والمسيح بن مريم) أي اتخذوه ربا بعبادتهم له من دون الله وقال تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك) الى قوله (ماقلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) فمن تدبر هذه الآيات تبين له معنى لا اله الا الله وتبين له التوحيد الذي جحده أكثر من يدعي العلم في هذه القرون وماقبلها من متأخري هذه الامة ،وقد عمت البلوى

بالجهل به بعد القرون الثلاثة لما وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم وبنيت عليها المساجد ، وبنيت لهم المشاهد ، فاتسع الامر وعظمت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد لما حدث الغلو في الاموات وتعظيمهم بالعبادة فبهذه الامور التي وقع فيها الاكثر عاد المعروف منكراً والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، نشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير وقد قال ﷺ « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون اذا فسد الناس » وفي رواية — يصلحون ما أفسد الناس —

قوله ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) الآية ﴾ الانداد الامثال والنظراء كما قال العماد ابن كثير وغيره من المفسرين فكل من صرف من العبادة شيئا لغير الله رغبة اليه أو رهبة منه فقد اتخذه نداً لله لانه أشرك مع الله فيما لا يستحقه غيره قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه أي مع الله بعبادته له ، وتوحيد الحب أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له ، فهذا الحب وان سمي عشقا فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه وليس لقلبه صلاح ولا نعيم الا بان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن لا تكون محبته لغير الله ، فلا يحب الا الله ، كما في الحديث الصحيح « ثلاث من كن فيه » الحديث ومحبة رسوله هي من محبته ومحبة المرء ان كانت لله فهي من محبته وان كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها . ويصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الاشياء الى محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لالقائه في النار أو أشد ، ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة فان الانسان لا يقدم على محبة نفسه شيئا فاذا قدم محبة الايمان بالله على نفسه

بحيث لو خير بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يلقى في النار ولا يكفر كان أحب اليه من نفسه وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق من محبة محبوبهم بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلقت به وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد ، وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والاجلال والطاعة والانقياد ظاهراً وباطنا ، وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان ، ولهذا من شرك بين الله وبين غيره في المحبة الخاصة كان شركا لا يغفره الله كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) والصحيح أن معنى الآية أن الذين آمنوا أشد حبا لله من أصحاب الانداد لانداده كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلا كما لا يماثل محبوبهم غيره وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته انتهى

قال ﴿ وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل »

قوله « في الصحيح » أي صحيح مسلم « عن أبي مالك الاشجعي عن أبيه عن النبي ﷺ » فذكره وأبو مالك اسمه سعد بن طارق كوفي ثقة مات في حدود الاربعين

(قوله) « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله » (١) اعلم أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدم بأمرين في هذا الحديث (الاول) قول

(١) ص ١٠

لا إله إلا الله عن علم ويقين كما هو قيد في قولها في غير ماحديث (والثاني) الكفر بما يعبد من دون الله لكن ذكر في هذا الحديث «وكفر» تأكيدا لما دلت عليه لأن المقام عظيم يقتضي التأكيد

قوله « حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل » فيه دليل أنه لا يحرم ماله ودمه إلا اذا قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، فان قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله فدمه وماله حلال لكونه لم ينكر الشرك ويكفر به ، ولم ينفه كما نفته لا إله الا الله فتأمل هذا الموضع فانه عظيم النفع

قال شيخنا : وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله الا الله فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه . فيالها من مسألة ما أجلها ، ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع انتهى

قوله « وحسابه على الله عز وجل » أي الله تعالى هو الذي يتولى حسابه ، فان كان صادقا جازاه بجنات النعيم ، وإن كان منافقاً عذبه العذاب الاليم ، وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر

قوله « وشرح هذه الترجمة مابعدها من الابواب » فقد ذكر فيها رحمه الله تعالى ما يبين التوحيد وما ينافيه ، وما يقرب منه ، وما يوصل اليه من الوسائل ، وبيان ما كان عليه السلف من بعدهم عن الشرك في العبادة وشدة انكارهم له وجهادهم على ذلك ، وقد جمع هذا الكتاب على اختصاره من بيان التوحيد مالا يعذر أحد عن معرفته وطلبه باقبال وتدبر ،

وكذلك الرد على أهل الاهواء جميعهم ، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك واستغنى به عن غيره في الرد على كل مبتدع فتدبره تجد ذلك بيناً ، وسيأتي التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى

قوله ﴿باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه﴾(١) أي لرفعه اذا نزل ودفعه قبل أن ينزل ، يعني اذا كان هذا هو القصد فتعلق قلبه به في دفع ضر مما قد نزل ومما لم ينزل قد صرحت الاحاديث بأن هذا من الشرك بالله

قوله ﴿ وقول الله تعالى (قل افرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) قال مقاتل : فسألهم النبي ﷺ فسكتوا لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها (قلت) فاذا كان آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده ، أو تمسك(٢) رحمة أنزلها على عبده فيلزمهم بذلك أن يكون الله تعالى هو معبودهم وحده لزوما لا محيد لهم عنه . وذكر تعالى مثل هذا السؤال عن خليله ابراهيم لمن حاجّه في الله فقال (أنا أحيي وأميت ، قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)فأقام تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله وتسويتهم غيره به في العبادة بضرب الامثال وغير ذلك ، وهذا في القرآن كثير كقوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً

«١» ص ١٢ «٢» كذا في الاصل وصوابه : أو امساك

لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) وقال تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون * إن الله يعلم مايدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم * وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقال (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون)

ذكر العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية مارواه ابن أبي حاتم عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعا « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الامة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، جفت الصحف ورفعت الاقلام ، واعمل لله بالشكر في اليقين ، واعلم أن في الصبر على ماتكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً »

قوله ﴿ عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال «ماهذه ؟ » فقال من الواهنة ، فقال « انزعها فانها لاتزيدك إلا وهناً ، فانك لو مت وهي عليك ماأفلحت أبداً » رواه أحمد بسند لا بأس به

قوله « عمران بن حصين » أي ابن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيد بنون وجيم مصغر صحابي ابن صحابي أسلم عام خيبر ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة

قوله « رأى رجلا » في رواية الحاكم دخلت على رسول الله ﷺ وفي عضدي حلقة صفر فقال « ماهذه ؟ » الحديث ، فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث

قوله « ماهذه ؟ » الظاهر أنه للانكار عليه

(قوله) من الواهنة قال أبو السعادات : الواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها ، وقيل هو مرض يأخذ في العضد وهي تأخذ الرجال دون النساء وانما نهاه عنها لكونه يظن أنها تمنع عنه هذا الداء أو ترفعه ، فأمره ﷺ بنزعها لذلك وأخبر أنها لا تزيده إلا وهناً ، فان المشرك يعامل بنقيض قصده لانه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه ، فاذا كان هذا بحلقة صفر فما الظن بما هو أطم وأعظم ؟ كما وقع من عبادة القبور والمشاهد والطواغيت وغيرها كما لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل ، قال المصنف رحمه الله تعالى : فيه شاهد لكلام بعض الصحابة أن الشرك الاصغر أكبر من الكبائر ، وأنه لم يعذر بالجهالة لقوله « فانك لو مت وهي عليك ماأفلحت أبداً » والفلاح هو الفوز والظفر والسعادة

قوله « رواه أحمد بسند لا بأس به » هو الامام أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي امام أهل عصره وأعلمهم بالفقه والحديث وأشدهم ورعا ، وهو الذي يقول فيه بعض أهل السنة : عن الدنيا ماكان أصبره ، وبالماضين ماكان أشبهه ، أتته الدنيا فأباها ، والشبه فنفاها ، روى عن الشافعي وزيد بن هارون وعبد الرحمن بن مهدى ويحيى القطان وابن عيينة وعبد الرزاق وخلق لا يحصون ، مات سنة احدى

(١) أي من أجل مرض الواهنة وابتغاء شفائه بها

وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة رحمه الله تعالى

قوله وله عن عقبة بن عامر مرفوعا « من علق تميمة فلا أتم الله له ، ومن علق ودعة فلا ودع الله له » وفي رواية « من علق تميمة فقد أشرك » عقبة بن عامر صحابي مشهور فقيه فاضل ولي إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين ومات قريباً من الستين

وهذا الحديث فيه التصريح بأن تعليق التمائم شرك لما يقصده من علقها لدفع مايضره أو جلب ماينفعه ، وهذا أيضا ينافي كمال الاخلاص الذى هو معنى لا إله الا الله لان المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أودفع ضر من سوى الله كما تقدم في قوله (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) فكمال التوحيد لايحصل إلا بترك ذلك وإن كان من الشرك الاصغر فهو عظيم ، فاذا كان هذا قد خفي على بعض الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبوة فكيف لايخفى على من هو دونهم في العلم والايمان بمراتب بعد ماحدث من البدع والشرك ؟ كما في الاحاديث الصحيحة وتقدمت الاشارة إلى ذلك . وهذا مما يبين معنى لا إله إلا الله أيضاً فانها نفت كل الشرك قليله وكثيره كما قال تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)

قوله « فلا أتم الله له » دعاء عليه ، وكذلك قوله « فلا ودع الله له » أى لاجعله في دعة وسكون

قوله ﴿ ولابن أبي حاتم انه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ﴾

ابن أبي حاتم هو الامام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس

المرادي التميمي الحنظلي صاحب الجرح والتعديل والتفسير وغيرها مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة . وحذيفة هو ابن اليمان واسم اليمان حسيل بمهملتين مصغر ، ويقال حسل بكسر ثم سكون ، العبسي بالموحدة حليف الانصار صحابي جليل من السابقين ويقال له صاحب السر وأبوه صحابي أيضا . مات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين

قوله ﴿رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى (ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ﴾

فيه دليل على أن هذا شرك ، وان الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بالآيات التي نزلت في الشرك الاكبر على الاصغر لدخوله في الشرك المنهي عنه في الآيات والاحاديث عموما وخصوصا لما قد عرفت انه ينافي كمال الاخلاص. إذا كان مثل هذا وقد خافه ﷺ على الصحابة كما تقدم في قوله « اخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر » فاذا كان يقع مثل هذا في تلك القرون المفضلة فكيف يؤمن ان يقع ماهو اعظم منه ؟ لكن لغلبة الجهل به وقع منهم اعظم مما وقع من مشركي العرب وغيرهم في الجاهلية مما قد تقدم التنبيه عليه حتى ان كثيراً من العلماء في هذه القرون اشتد نكيرهم على من انكر الشرك الاكبر فصاروا هم والصحابة رضي الله عنهم في طرفي نقيض ، فالصحابة ينكرون القليل من الشرك ، وهؤلاء ينكرون على من انكر الشرك الاكبر ويجعلون النهي عن هذا الشرك بدعة وضلالة ، وكذلك كانت حال الامم مع الانبياء والرسل جميعهم فما بعثوا به من توحيد الله تعالى واخلاص العبادة له وحده ، والنهي عن الشرك به ، وقد بعث الله تعالى خاتم رسله محمداً ﷺ بذلك كما بعث به من قبله ، فعكس هؤلاء

المتأخرون ما دعا اليه رسول الله ﷺ مشركي العرب وغيرهم فنصر هؤلاء مانهى عنه من الشرك غاية النصرة ، وأنكروا التوحيد الذي بعث به غاية الانكار ، فانه ﷺ لما قال لقريش « قولوا لا اله الا الله تفلحوا » عرفوا معناها الذي وضعت له وأريد منها فقالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً ؟ ان هذا لشيء عجاب) الآيات. وقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) وفي صحيح البخاري وغيره في سؤال هرقل لأبي سفيان عن النبي ﷺ قال له : فماذا يأمركم ؟ قلت يقول « اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا مايقول آباؤكم » ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة

قوله ﴿ باب ماجاء في الرقى والتمائم ﴾(١) أي من النهي عما لا يجوز من ذلك

قوله ﴿ في الصحيح عن أبي بشير الانصاري رضي الله عنه انه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت ﴾ هذا الحديث في الصحيحين واسم أبي بشير قيس بن عبيد قاله ابن سعد . وقال ابن عبد البر لا يوقف له على اسم صحيح وهو صحابي شهد الخندق ومات بعد الستين ويقال إنه جاوز المائة

قوله « فأرسل رسولا » هو زيد بن حارثة روى ذلك الحارث بن أبي أسامة في مسنده . قاله الحافظ قوله « أن لا يبقين » بفتح الياء والقاف ، ويحتمل أن يكون بضم الياء المثناة وكسر القاف ، والوتر بفتحتين واحد أوتار القوس ، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب اعتقاداً منهم بهذا انه يدفع عن الدابة العين ، ولهذا أمر ﷺ بقطع الاوتار التي علقت

(١) ص ١٣

على الابل لما كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك فيها

قوله (أو قلادة الا قطعت) يحتمل أن ذلك شك من الراوي، ولأبي داود «ولا قلادة» بغير شك فعلى هذه الرواية تكون أو بمعنى الواو قال البغوي في شرح السنة: تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد على انه من أجل العين، وذلك انهم كانوا يشدون تلك الاوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ يظنون انها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبي ﷺ عنها وأعلمهم ان الاوتار لا ترد من أمر الله شيئا، قال أبو عبيد: كانوا يقلدون الابل أوتاراً لئلا تصيبها العين فأمرهم النبي ﷺ بازالتها اعلاما لهم بأن الاوتار لا ترد شيئا

قوله ﴿ وعن ابن مسعود رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الرقى والتمائم والتولة شرك» رواه أحمد وأبو داود، ولفظ أبي داود عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود أن عبد الله رأى في عنقي خيطا فقال ماهذا؟ قلت خيط رقي لي فيه قالت فأخذه فقطعه ثم قال: أنتم آل عبد الله الاغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الرقى والتمائم والتولة شرك» قال المصنف رحمه الله تعالى: لكن اذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود رضي الله عنه والمقصود بيان ان هذه الامور الشركية وان خفيت فقد نهى عنها رسول الله (ص) وأصحابه لكمال علمهم بما دلت عليه لا اله الا الله من نفي الشرك قليله وكثيره لتعلق القلب بغير الله في دفع ضر أو جلب نفع وقد عمت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة، فمن عرف هذه الامور الشركية المذكورة في هذين

البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه ، وفيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من التحذير من الشرك والتغليظ في انكاره وان كان من الشرك الاصغر فهو أكبر من الكبائر وقد تقدم دليله في الباب قبل هذا

قوله (عن عبدالله بن عكيم مرفوعا « من تعلق شيئا وكل اليه »)رواه أحمد والترمذي ،وعبدالله بن عكيم بضم المهملة مصغر ويكنى أبامعبد الجهني الكوفي.قال الخطيب سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة وكان ثقة

قوله « من تعلق شيئا وكل اليه» التعلق يكون بالقلب وينشأ عنه القول والفعل وهو التفات القلب عن الله إلى شيء يعتقد انه ينفعه أو يدفع عنه كما تقدم بيانه في الاحاديث في هذا الباب والذي قبله وهو ينافي قوله تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فان كان من الشرك الاصغر فهو ينافي كمال التوحيد ،وان كان من الشرك الاكبر كعبادة أرباب القبور والمشاهد والطواغيت ونحو ذلك فهو كفر بالله ، وخروج من دين الاسلام ، ولا يصح معه قول ولا عمل

قوله « وكل اليه » أي وكله الله اليه ، إلى ما علق قلبه به من دون الله ومن وكله الله الى غيره ضل وهلك ، قال الامام احمد : حدثنا هشام بن قاسم حدثنا أبو سعيد المؤدب حدثنا من سمع عطاء الخراساني قال: لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت حدثني بحديث أحفظه عنك في مقامي هذا واوجز ، قال نعم أوحى الله الى داود عليه السلام « يا داود أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن فيهن

الا جعلت له من بينهن فرجا ومخرجا ، أما وعزتي وعظمتي ما يعتصم عبد من عبيدي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته الا قطعت أسباب السماء من يده وأسخت الارض من تحت قدميه ثم لا أبالي بأيّ وادهلك » . وشاهد هذا في القرآن فتدبر

قوله ﴿ روى احمد عن رويفع قال قال لي رسول الله ﷺ « يارويفع لعل الحياة تطول بك فاخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فان محمداً بريء منه » رويفع هو ابن ثابت ابن السكن بن عدي بن الحارث الانصاري نزل مصر وولي برقة له ثمانية أحاديث قال عبد الغني ولي طرابلس فافتتح أفريقية سنة سبع وأربعين وقال ابن يونس توفي ببرقة سنة ست وخمسين . قوله « لعل الحياة تطول بك » فقد طالت حياته رضي الله عنه كما أخبر النبي ﷺ قوله « فأخبر الناس أن من عقد لحيته » قال الخطابي أما نهيه عن عقد اللحية فيفسر على وجهين (أحدهما) ما كانوا يفعلونه في الحرب كانوا يعقدون لحاهم وذلك من زيّ بعض الاعاجم يفتلونها ويعقدونها ، قال أبو السعادات تكبراً أو عجباً (ثانيهما) أن معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد انتهى قلت ويشبه هذا ما يفعله كثير من فتل أطراف الشارب فيترك أطرافه لذلك وهي بعضه ، وفي حديث زيد بن ارقم قال قال رسول الله ﷺ « من لم يأخذ من شاربه فليس منا » رواه احمد والنسائي والترمذي وقال صحيح ، وفي الصحيح « خالفوا المشركين احفوا الشوارب واعفوا اللحى » وذلك يدل على الوجوب ، وذكر ابن حزم الاجماع على أنه فرض فيتعين النهي عن ذلك

قوله « أو تقلد وتراً » فيه مع ما تقدم أنه شرك لما كانوا يقصدونه بتعليقه

على الدواب وغيرها، قوله «أو استنجى برجيع دابة أو عظم فان محمدا بري منه» هذا دليل على أن هذا والذي قبله من الكبائر لان قوله ان محمدا بري منه يدل على ذلك وقال النووي رحمه الله تعالى أي بري من فعله فهذا التأويل بعيد لعود الضمير الى من، وقد ورد النهي عن الاستنجاء بالروث والعظام في احاديث صحيحة كما لا يخفى منها ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا «لا تستنجوا بالروث ولا العظام فانه زاد اخوانكم من الجن» ولما روى ابن خزيمة والدارقطني عن ابي هريرة نهى ان يستنجى بعظم او روث وقال انهما لا يطهران، وعنه لا يجزي الاستنجاء بهما كما هو ظاهر مذهب احمد

قوله ﴿وعن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة﴾ رواه وكيع هذا عند أهل العلم له حكم الرفع لان مثل ذلك لا يقال بالرأي فيكون هذا مرسلا لان سعيداً تابعي، فعلى هذا يجب النهي عن تعليق التمائم والترغيب في قطعها وأن ذلك مما يجب، وفيه مع ما تقدم أنه شرك، وبيان حال السلف رضي الله عنهم من تعظيم الشرك قليله وكثيره والنهي عنه، فلما اشتدت غربة الاسلام في أواخر هذه الامة صار انكار هذا وما هو أعظم منه أعظم المنكرات حتى عند من ينتسب الى العلم كما لا يخفى، ووكيع هو ابن الجراح بن وكيع الكوفي ثقة امام صاحب تصانيف منها الجامع وغيره روى عنه الامام احمد وطبقته مات سنة سبع وتسعين ومائة.

قوله ﴿وله عن ابراهيم قال كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن﴾ ابراهيم هو الامام ابراهيم بن يزيد النخعي الكوفي يكنى أبا عمران ثقة من كبار الفقهاء مات سنة ست وتسعين وله خمسون

سنة أو نحوها قوله « كانوا يكرهون » أراد أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة والاسود وأبي وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خثيم وسويد بن غفلة وغيرهم وهم من سادات التابعين وفي زمانهم كانوا يطلقون الكراهة على المحرَّم ، وهذا القول الصحيح لان ما كان من غير القرآن قد تقدم النهي عنه بلا ريب ، وأما إذا كان من القرآن فيتعين النهي عنه لامور ثلاثة (منها) دخوله في عموم النهي عنه (ومنها) كونه ذريعة إلى تعليق ما ليس من القرآن فيفضي الى عدم انكارها (الثالث) ان تعليق القرآن يكون سببا في امتهانه فلا بد أن يدخل به الخلاء ونحوه . قال المصنف رحمه الله تعالى والرقى هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة ، والتولة شيء يصنعونه يزعمون انه يحبب المرأة الى زوجها والرجل الى امرأته ، قال الحافظ التولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مختلفا شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر والله أعلم

قوله ﴿ باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما ﴾ كبقعة وقبر ومشهد ونحو ذلك ومن اسم شرط والجواب محذوف تقديره فقد أشرك بالله

قوله ﴿ وقول الله تعالى (أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الاخرى) الآيات هذه الاوثان الثلاثة هي أعظم أوثان أهل الجاهلية من أهل الحجاز . فاللات لاهل الطائف ومن حولهم من العرب ، والعزّى لقريش وبني كنانة ، ومناة لبني هلال وقال ابن هشام كانت لهذيل وخزاعة ، واللات بتخفيف التاء في قراءة الجمهور وقرأ ابن عباس

وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح ورويس عن يعقوب بتشديد التاء ، فعلى الاولى قال الاعمش سموا اللات من الاله والعزى من العزيز ، وقال ابن كثير : اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش قاله ابن هشام ، وعلى الثانية قال ابن عباس كان رجلا يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره ذكره البخاري

(قلت) ولا منافاة بين ما ذكره البخاري وغيره من عبادتهم الصخرة التي كان يلت السويق عليها باسمه وعبادة قبره لما مات ، وأما العزى فقال ابن جرير كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد لنا العزى ولا عزى لكم . قال رسول الله ﷺ « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » ومناسبة هذه الآية للترجمة أن عبادة المشركين للعزى انما كان بالتفات القلوب رغبة اليها في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو دفع ضر فصارت أوثانا تعبد من دون الله وذلك من شدة ضلال اهل الشرك وفساد عقولهم كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فصار عبادة القبور وعبادة الشجر والحجر هو شرك المشركين ، وقد جرى ذلك وما هو أعظم منه في أواخر هذه الامة

قوله ﴿عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا

ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ﷺ « الله اكبر انها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا اسرائيل لموسى (اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذي وصححه

قوله «عن أبي واقد »هو صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة. قوله «خرجنا مع رسول الله ﷺ» يشير إلى أهل مكة ممن اسلامه قريب اذ ذاك قوله « الى حنين » هو اسم واد بشرقي مكة معروف قاتل فيه رسول الله ﷺ هوازن كما قال تعالى (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا) والوقعة مشهورة عند أهل المغازي والسير وغيرهم وما جرى فيها من النصر وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم ونسائهم كما في الآية الكريمة (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين)

قوله « ونحن حدثاء عهد بكفر » يشير الى أهل مكة الذين أسلموا قريباً فلذلك خفي عليهم هذا الشرك المذكور في الحديث بخلاف من تقدم اسلامه .قوله « والمشركين سدرة يعكفون عندها » عبادة لها وتعظيما وتبركا لما كانوا يعتقدونه فيها من البركة قوله « يقال لها ذات أنواط » هو برفع التاء كما لا يخفى قوله « ينوطون بها أسلحتهم » أي يعلقونها

قوله « فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم » ـ أي للمشركين ذات أنواط ، ظنوا أن النبي ﷺ لو جعل لهم ذلك لجاز اتخاذها لحصول البركة لمن اعتقدها فيها وأنواط جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط قوله « فقال النبي ﷺ الله أكبر » تعظيما لله تعالى عن أن يجعل

له شريك في عبادته التي هي حقه على عباده كما قال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين) وقال تعالى (فاقم وجهك للدين القيم) وهو الاخلاص والشرك ينافي ذلك وتقدم معنى الحنيف وتضمنت هاتان الآيتان وما في معناهما التوحيد الذي دلت عليه (لا اله الا الله) نفيا واثباتا كما تقدم بيانه ، فمن التفت قلبه الى غير الله لطلب نفع أو دفع ضر فقد أشرك ، والقرآن كله في تقرير هذا الاصل العظيم الذى هو أصل دين الاسلام الذى لا يقبل الله من أحد ديناً سواه

قوله « السنن » بضم السين أى الطرق يشير الى الطرق التي تخالف دينه الذى شرعه تعالى لعباده

قوله « قلتم والذى نفسي بيده » حلف ﷺ على ذلك تأكيدا لهذا الخبر وتعظيما له كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) وان لم يسموها آلهة ، أخبر أن التبرك بالاشجار يجعلها آلهة وان لم يسموها آلهة ولذلك شبه قولهم هذا بقول بني اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) فظهر بهذا الحديث أن التعلق على الاشجار والاحجار وغيرها لطلب البركة بها شرك في العبادة كشرك عباد الاصنام

قوله « لتركبن سنن من كان قبلكم » أى اليهود والنصارى وقد وقع كما أخبر به ﷺ في هذه الامة فركبوا طريق من كان قبلهم ممن ذكرنا كما هو في الاحاديث الصحيحة كحديث « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ » وهو في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه وفي رواية « ومن الناس الا أولئك ؟ »

قوله « باب ما جاء في الذبح لغير الله وقول الله تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) الآية (١)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له انه أخلص لله صلاته وذبيحته لان المشركين يعبدون الاصنام ويذبحون لها فأمره تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والاقبال بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى انتهى .

فالصلوات الخمس هي أعظم فرائض الاسلام بعد الشهادتين

قوله (وصلاتي) يشمل الفرائض والنوافل والصلوات كلها عبادة وقد اشتملت على نوعي الدعاء دعاء المسألة ودعاء العبادة فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسألة وما كان فيها من الحمد والثناء والتسبيح والركوع والسجود وغير ذلك من الاركان والواجبات فهو دعاء عبادة وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة لانها اشتملت على نوعي الدعاء الذي هو صلاة لغة وشرعا. قرره شيخ الاسلام وابن القيم رحمهما الله تعالى

قوله (ونسكي) قال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير «نسكي» ذبحي وكذلك قال الضحاك . قوله (ومحيا ومماتي) أي ما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصا لوجهه (لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) أي من هذه الامة ، وهذا قول ائمة التفسير والمقصود ان هذه الآية دلت على ان اقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة لا يجوز أن يصرف منها شيء

(١) ص ١٦

لغير الله كائنا من كان فمن صرف منها شيئا لغير الله فقد وقع فيما نفاه تعالى من الشرك بقوله (وما انا من المشركين) والقرآن كله في تقرير هذا التوحيد في عبادته وبيانه ونفي الشرك والبراءة منه

قوله (فصل لربك وانحر) قال شيخ الاسلام أمره أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب الى الله والى عدته عكس أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم الى ربهم والذين لاينحرون له خوفا من الفقر، ولهذا جمع بينهما في قوله (قل ان صلاتي ونسكي) الآية اه وقد قال تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) الآية

﴿قوله :عن علي رضي الله عنه قال حدثني رسول الله ﷺ باربع كلمات «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الارض» رواه مسلم﴾ وعلي بن أبي طالب هو الامام أبو الحسن الهاشمي ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما كان من أسبق السابقين الاولين ومن أهل بدر وبيعة الرضوان وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين ومناقبه مشهورة رضي الله عنه قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين قال أبو السعادات أصل اللعن الطرد والابعاد من الله

قوله «من ذبح لغير الله» قال شيخ الاسلام قوله (وما أهل به لغير الله) ظاهره أنه ماذبح لغير الله مثل أن يقال هذا ذبيحة لكذا واذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم

ماذبح للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به الى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله فاذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح والزهرة فلأن يحرم ماقيل فيه لاجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولى فان العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله فعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربا اليه يحرم وان قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الامة الذين يتقربون الى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك وان كان هؤلاء مرتدين لاتباح ذبيحتهم بحال الخ ومن ذلك الذبح للجن

قوله «لعن الله من لعن والديه» يعني أباه وأمه وان علوا وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال « نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه »

قوله «لعن الله من آوى محدثا» هو بفتح الهمزة ممدودة أي ضمه اليه وحماه ، وأما محدثا فقال ابو السعادات يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول فمعنى الكسر من نصر جانيا وآواه واجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه والفتح هو الامر المبتدع نفسه ويكون معنى الايواء فيه الرضى به والنصر فانه اذا ارتضى بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه ،قال ابن القيم رحمه الله تعالى هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم

قوله «لعن الله من غير منار الارض» بفتح الميم علامات حدودها

وهي التي توضع لتمييز حق الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم في الارض والدور قال في النهاية أي معالمها وحدودها (قلت) وذلك بأن يرفع ما جعل علامة على تميز حقه من حق شريكه فيأخذ من حق شريكه بعضه فهذا ظلم عظيم ، وفي الحديث « من ظلم شبرا من الأرض طوقه من سبع ارضين يوم القيامة » فما أجهل أكثر الخلق حتى وقعوا بجهلهم وظلمهم فيما يضرهم في دنياهم وأخراهم وذلك لضعف الايمان بالمعاد والحساب على الاعمال والجنة والنار نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

قوله ﴿ عن طارق بن شهاب أن رسول الله (ص) قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » قالوا وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال « مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا فقالوا لاحدهما قرب قال ليس عندي شيء اقرّب قالوا له قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار ، وقالوا للآخر قرب ، فقال ما كنت لاقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة رواه احمد ﴾

قوله « عن طارق بن شهاب » البجلي الاحمسي ابو عبدالله قال ابو داود رأى النبي (ص) ولم يسمع منه شيئا قال الحافظ اذا ثبت انه لقي النبي (ص) فهو صحابي ، واذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي وهو مقبول على الراجح ، وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان سنة ثلاث وثمانين ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى قال الامام احمد رحمه الله تعالى حدثنا أبو معاوية الاعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال « دخل الجنة رجل في ذباب » الحديث

قوله «في ذباب» أى من أجله قوله «قالوا وكيف ذلك يارسول الله؟» كأنهم والله أعلم تقالّوا هذا العمل وهو تقريب الذباب للصنم(١) فبين لهم النبي (ص) أن من فعل هذا وما هو أعظم منه وجبت له النار

قوله « مر رجلان على قوم لهم صنم لايجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لاحدهما قرب فقال ليس عندى شيء أقرب قالوا له قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار » لانه قصد غير الله بقلبه اوانقاد بعمله فوجبت له النار ففيه معنى حديث مسلم الذى تقدم في باب الخوف من الشرك عن جابر مرفوعا « من لقي الله لايشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار » فاذا كان هذا فيمن قرب للصنم ذبابا فكيف بمن يستسمن الابل والبقر والغنم ليتقرب بنحرها وذبحها لمن كان يعبده من دون الله من ميت أو غائب أوطاغوت أو مشهد أو شجر أو حجر او غير ذلك؟ وكان هؤلاء المشركون في أواخر هذه الامة يعدون ذلك أفضل من الاضحية في وقتها الذي شرعت فيه وربما اكتفى بعضهم بذلك عن أن يضحي لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون الله وقد عمت البلوى بهذا وما هو أعظم منه .

قوله « وقالوا للآخر قرب قال ما كنت أقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة» ففيه معرفة قدر الشرك في قلوب أهل الايمان ونفرتهم عنه وصلابتهم في الاخلاص كما في حديث أنس الذي في البخاري وغيره الآتي ان شاء الله تعالى « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان » وفيه « وأن يكره ان يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله

(١) أو استغربوا كون الشيء الواحد يكون سببا لدخول الجنة والنار

منه كما يكره ان يقذف في النار » وفيه تفاوت الناس في الايمان لان هذا الرجل الذى قرب الذباب لم يكن له عمل يستحق به دخول النار قبل مافعله مع هذا الصنم كما هو ظاهر الحديث والله أعلم

قوله ﴿ باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ﴾ (ص١٧)

أشار رحمه الله تعالى الى ما كان الناس يفعلونه في نجد وغيرها قبل دعوتهم الى التوحيد من ذبحهم للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم ويتخذون للذبح لهم مكانا مخصوصا في دورهم فنفى الله سبحانه الشرك بهذه الدعوة الاسلامية فلله الحمد على زوال الشرك والبدع والفساد بطلعة الداعي الى توحيد رب العالمين .

قوله ﴿ وقول الله تعالى (لاتقم فيه أبدا) الآية أي مسجد الضرار المذكور في قوله (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون * لاتقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) وهو مسجد قبا فقد أسس على التقوى من أول يوم قدم فيه ﷺ المدينة مهاجرا وكان أهل مسجد الضرار قد بنوه قبل خروج النبي (ص) الى غزوة تبوك فاتوه فسألوه أن يصلي فيه وذكروا له انهم بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية فقال « انا على سفر ولكن اذا رجعنا ان شاء الله » فلما قفل عليه السلام راجعا الى المدينة ولم يبق بينه وبينها الا يوم أو بعضه نزل الوحي بخبر المسجد فبعث اليه وهدمه قبل قدومه الى المدينة صلوات الله وسلامه عليه وانزل الله فيه هذه الآيات، ووجه مطابقة الآية للترجمة ان هذا المسجد

لما اسس على معصية الله والكفر به صار محل غضب فنهى الله نبيه (ص) أن يقوم فيه لوجود العلة المانعة وخرج مخرج الخصوص والنهي عام وما كان مثله من الامكنة فانه يعطى حكمه لان المعصية صيرته محلا خبيثاً واثرت فيه بالنهي عن العبادة فيه ويقابل ذلك المساجد وهي أشرف بقاع الارض قال تعالى (في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) الآية فما أحسن هذا القياس ويأتي تقريره في الحديث في الباب ان شاء الله تعالى

قوله ﴿عن ثابت بن الضحاك قال نذر رجل ان ينحر ابلا ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا لا قال «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا لا فقال رسول الله ﷺ «أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود واسناده على شرطهما﴾

قوله «عن ثابت بن الضحاك» أي ابن خليفة الاشهلي صحابي مشهور روى عنه أبو قلابة وغيره مات سنة أربع وستين . قوله «ببوانة» بضم الباء وقيل بفتحها قال البغوي موضع في أسفل مكة دون يلملم قال أبو السعادات هضبة من وراء ينبع . قوله «فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» فيه المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن ولو بعد زواله قاله المصنف رحمه الله تعالى وهو شاهد الترجمة . قوله «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قال شيخ الاسلام العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود السنة أو بعود الاسبوع أو الشهر ونحوه والمراد به هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية فالعيد يجمع أمورا (منها)

يوم عائد ليوم الفطر ويوم الجمعة ومنها اجتماع فيه، ومنها اعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقا وكل من هذه الامور قد يسمى عيدا في الزمان كقول النبي (ص) في يوم الجمعة « إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيدا » والاجتماع والاعمال كقول ابن عباس رضي الله عنه شهدت العيد مع رسول الله (ص) والمكان كقول النبي (ص) «لا تتخذوا قبري عيدا » وقد يكون لفظ العيد اسما لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبي (ص) « دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا » انتهى

وقد أحدث هؤلاء المشركون أعيادا عند القبور التي تعبد من دون الله ويسمونها عيداً كمولد البدوي بمصر وغيره بل هي أعظم لما يوجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة، قال المصنف رحمه الله تعالى وفيه استفصال المفتي والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله.

(قلت) وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلا للعبادة لكونها صارت محلا لما حرم الله من الشرك والمعاصي والحديث وان كان في النذر فيشمل كل ما كان عبادة لله فلا تفعل في هذه الاماكن الخبيثة التي اتخذت محلا لما يسخط الله تعالى فبهذا صار الحديث شاهدا للترجمة والمصنف رحمه الله تعالى لم يرد التخصيص بالذبح وانما ذكر الذبح كالمثال، وقد استشكل جعل محل اللات بالطائف مسجدا، والجواب والله أعلم أنه لو ترك هذا المحل في هذه البلدة لكان يخشى ان تفتتن به قلوب الجهال فيرجع الى جعله وثنا كما كان يفعل فيه أولا فجعله مسجدا والحالة هذه ينسي ما كان يفعل فيه ويذهب به أثر الشرك بالكلية فاختص هذا المحل لهذه العلة وهي قوة المعارض والله أعلم.

قوله « فأوف بنذرك » وذلك لعدم المانع. قوله « فانه لا وفاء لنذر في معصية الله » فالحديث دل على ان اتخاذ أماكن الشرك والمعاصي لايجوز أن يعبد الله فيها ونذر ذلك معصية لايجوز الوفاء به. قوله « ولا فيما لا يملك ابن آدم » قال في شرح المصابيح يعني إذا أضاف النذر الى معين لا يملكه بان قال ان شفى الله مريضي فلله علي ان أعتق عبد فلان ونحو ذلك ، فأما إذا التزم في الذمة بان قال ان شفى الله مريضي فلله علي أن اعتق رقبة وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها فاذا شفى الله مريضه ثبت ذلك في ذمته . قوله « رواه أبو داود واسناده على شرطهما » أي البخاري ومسلم ، وأبو داود اسمه سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد الازدي السجستاني صاحب الامام احمد بن حنبل ومصنف السنن والمراسيل وغيرها ثقة إمام حافظ من كبار العلماء مات سنة خمس وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى .

قوله ﴿باب من الشرك النذر لغير الله وقول الله تعالى (يوفون بالنذر) الآية﴾

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى أي يتعبدون الله تعالى فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة باصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر

قوله (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه)

قال ابن كثير يخبر تعالى بانه عالم بجميع مايعمله العاملون من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه . قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى وأما النذر لغير الله كالنذر للاصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك فهو شرك ، وقال فيمن نذر

للقبور ونحوها دهنا لتنور به ويقول انها تقبل النذر كما يقوله بعض المشركين فهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به ، وكذلك اذا نذر مالا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة فان فيهم شبها من السدنة التي كانت عند العزى ومناة يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) فالنذر لاولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها انتهى . وذلك لان الناذر لله وحده علق رغبته به وحده لعلمه بانه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع : فتوحيد القصد هو توحيد العبادة ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله ، والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركا بالله لالتفاته الى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب فقد جعله شريكا لله في العبادة فيكون قد أثبت ما نفته (لا اله الا الله) من الهية غير الله ولم يثبت ما أثبتته من الاخلاص ، وكل هذه الابواب التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب فقد خالف ما نفته (لا اله الا الله) فعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفى ما أثبتته من التوحيد ، وهذا معنى قول شيخنا . وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الابواب . فكل شرك وقع أو قد يقع فهو ينافي كلمة الاخلاص وما تضمنته من التوحيد

قال الرافعي في شرح المنهاج وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ ، أو على اسم من حلها من الاولياء ، أو تردد في تلك البقعة أو

المشهد أو الزاوية، أو تعظيم من دفن بها أو نسبت اليه أو بنيت على اسمه، فهذا النذر باطل غير منعقد فان معتقدهم أن لهذه الاماكن خصوصيات ويرون انها مما يدفع به البلاء، ويستجلب به النعماء، ويستشفى بالنذر لها من الادواء، حتى انهم لينذرون لبعض الاحجار لما قيل لهم انه استند اليها عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشمع والزيت ويقولون: القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر. يعنون بذلك انه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب وسلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر ابراهيم الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الانبياء والاولياء فان الناذر لا يقصد بذلك الا الايقاد على القبر تبركا وتعظيما ظانا أن ذلك قربة فهذا مما لا ريب في بطلانه، والايقاد المذكور محرم سواء انتفع به منتفع أم لا

وقال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر البحار: النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون لانسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي الى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول ياسيدي فلان ان رد الله غائبي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه (منها) انه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لانه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق، ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئا، ومنها انه ظن أن الميت يتصرف

في الامور دون الله عز وجل واعتقاد ذلك كفر — الى أن قال — اذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وينقل الى ضرائح الاولياء تقربا اليهم حرام باجماع المسلمين نقله عنه ابن نجيم في البحر الرائق ونقله المرشدي في تذكرته وغيرهما عنه وزاد. وقد ابتلي الناس بهذا لا سيما في مولد البدوي، وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله في الرد على من أجاز الذبح والنذر للاولياء فهذا الذبح والنذر ان كان على اسم فلان فهو لغير الله تعالى فيكون باطلا، وفي التنزيل (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه * قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له) والنذر لغير الله اشراك مع الله كالذبح لغيره. انتهى

قوله (وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»

قوله «في الصحيح» أي صحيح البخاري

قوله «عن عائشة» هي أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وابنة الصديق رضي الله عنه وأعلم النساء بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت سبع ودخل بها وهي ابنة تسع وأفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم الا خديجة فيها خلاف بل لا يقال خديجة أفضل ولا عائشة أفضل والتحقيق أن لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة من سبقها الى الايمان بالنبي ﷺ وتأييده في تلك الحال التي بدىء بالوحي فيها كما في صحيح البخاري وغيره فما زالت كذلك حتى توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة، ولعائشة من العلم بالاحاديث والاحكام ما ليس لخديجة لعلمها باحوال النبي ﷺ ونزول القرآن وبيان الحلال

والحرام ، وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاته ﷺ يرجعون اليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبي (ص) وحديثه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عن أصحابه وأزواجه ، توفيت سنة سبع وخمسين رضي الله عنها

قوله « من نذر أن يطيع الله فليطعه » لانه نذره لله خالصا فوجب عليه الوفاء به فصار عبادة ، وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه كان شفى الله مريضي فعلي أن أتصدق بكذا ونحو ذلك وجب عليه ان حصل له ما علق نذره على حصوله الا أن أبا حنيفة قال : لا يلزمه الوفاء الا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم وأما ما ليس كذلك فلا يوجب عليه الوفاء به

قوله « ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » زاد الطحاوي « وليكفر عن يمينه » وقد أجمع العلماء أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين؟ على قولين هما روايتان عن احمد (احداهما) تجب وهو المذهب وروي عن ابن مسعود وابن عباس وبه قال أبو حنيفة وأصحابه

قوله ﴿ باب من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى ﴾ (ص١٨)

الاستعاذة الالتجاء والاعتصام فالعائذ قد هرب الى ربه والتجأ اليه مما يخافه عموما وخصوصا ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى وما يقوم بالقلب من الالتجاء والاعتصام به والانطراح بين يدي الرب والافتقار اليه والتذلل له أمر لا تحيط به العبارة انتهى ، وقد أمر الله عباده في كتابه بالاستعاذة به في مواضع كقوله (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) وقال (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وفي المعوذتين وغير ذلك فهو عبادة لا يجوز أن تصرف

لغير الله كغيرها من أنواع العبادة

قوله﴿ وقول الله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رجال من الانس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول أعوذ بعزيز هذا الوادي فزادهم ذلك إثما، وقال بعضهم فزاد الانس الجن باستعاذتهم بالجن باستعاذتهم بعزيزهم جراءة عليهم وازدادوا هم بذلك إثما ، وقال مجاهد : فازداد الكفار طغيانا وقال ابن زيد وزادهم الجن خوفا ، وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله ، وقال ملا علي قاري الحنفي رحمه الله لا تجوز الاستعاذة بالجن فقد ذم الله الكافرين على ذلك وذكر الآية وقال تعالى (ويوم يحشرهم جميعا :يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) الآية فاستمتاع الانسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات، واستمتاع الجني بالانسي تعظيمه اياه واستعاذته به وخضوعه له انتهى ملخصا، قال المصنف رحمه الله تعالى « وفيه أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك »

قوله ﴿وعن خولة بنت حكيم قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول « من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك » رواه مسلم

﴿خولة بنت حكيم بن امية السلمية يقال لها ام شريك ويقال انها هي الواهبة وكانت قبل تحت عثمان ابن مظعون قال ابن عبد البر وكانت صالحة فاضلة

قوله « أعوذ بكلمات الله التامات » شرع الله لاهل الاسلام أن يستعيذوا به لا كما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن فشرع الله تعالى للمسلمين أن يستعيذوا باسمائه وصفاته قال القرطبي رحمه الله تعالى: قيل معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر وقيل معناه الكافية الشافية ، وقيل الكلمات هنا هي القرآن فان الله اخبر عنه انه هدى وشفاء، وهذا الامر على جهة الارشاد الى ما يدفع به الاذى وعلى هذا فحق المستعيذ بالله تعالى وباسمائه وصفاته أن يصدق الله في التجائه اليه ويتوكل في ذلك عليه ويحضر ذلك في قلبه ثمن فعل ذلك وصل الى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه ، قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى. وقد نص الائمة كاحمد وغيره على انه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق ، وهذا مما استدلوا به على ان كلام الله ليس بمخلوق قالوا لانه ثبت عن النبي (ص) انه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك ، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية ان يكون فيها شرك. قال ابن القيم رحمه الله تعالى ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب اليه بما يحب فقد عبده وان لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخداما وصدق هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه، ولذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فان الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به

قوله « من شر ما خلق » قال ابن القيم من شر كل ذي شر في اي مخلوق قام به الشر من حيوان او غيره انسيا او جنيا او هامة او دابة او ريحا او صاعقة اي نوع كان من انواع البلاء في الدنيا والآخرة وماهنا

موصولة ليس الا وليس المراد بها العموم الاطلاقي بل المراد التقييدى الوصفي والمعنى من شر كل مخلوق فيه شر لا من شر كل ما خلقه الله فان الجنة والانبياء والملائكة ليس فيهم شر ، والشر يقال على شيئين على الالم وعلى ما يفضي اليه (١)

قوله ﴿ باب من الشرك أن يستغيث بغير الله تعالى أو يدعو غيره ﴾ (ش) قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : الاستغاثة هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون اه

(قلت) فبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وهو دعاء المستغيث وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب والسؤال من غير المستغيث ، وقد نهى تعالى عن دعاء غيره الاخص والأعم في كتابه كما يأتي بيانه ، فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر عليه الا الله كدعوة الاموات والغائبين فهو من الشرك الذي لا يغفره الله ، والادلة على ذلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصر

وقوله (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك إذاً من الظالمين) ففي هذه الآية النهي عن أن يدعى أحد من دونه تعالى ، وأخبر تعالى ان غيره لا يضر ولا ينفع

قوله (فان فعلت فانك اذاً من الظالمين) والظلم في هذه الاية هو

---

(١) لا بد ان يريد بالألم الحسي والمعنوي ولو قال الضرر لكان أعم. ولعله تفسير للشر في الحديث لا للشر المطلق وقال الراغب : الشر الذي يرغب عنه كل الناس والخير ضده وقسمها الى مطلق ومقيد . ويرد عليه (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم) واطلق في القرآن على العمل وعلى المكان وعلى الكفار وعلى الصم البكم الذين لا يعقلون الشيء وهو اعم الالفاظ

الشرك كما قال تعالى عن لقمان (ان الشرك لظلم عظيم)

وقوله (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) هذا في حق المستغيث أخبر تعالى انه هو الذي يتفضل على من سأله ولا يقدر أحد أن يمنعه شيئا من فضل الله عليه فهو المعطي والمانع ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، وفي هذا المعنى ما في حديث ابن عباس وفيه « واعلم ان الامة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك » فمن تدبر هذه الآية وما في معناها علم ان ما وقع فيه الاكثر من دعوة غير الله هو الظلم العظيم ، والشرك الذي لا يغفر ، وانهم قد أثبتوا مانفته لا اله الا الله من الشرك في الالهية ، ونفوا ما أثبتته من الاخلاص كما قال تعالى (فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص) والدين هو طاعة الله فيما أمر به وشرعه ونهى عنه وحرمه ، وأعظم ما أمر به التوحيد والاخلاص وأن لا يقصد العبد بشيء من عمله سوى الله تعالى الذي خلقه لعبادته ، وأرسل بذلك رسله ، وأنزل به كتبه (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وأعظم ما نهى عنه الشرك به في ربوبيته وإلهيته .

قوله (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فهذه الآية تبين وتوضح ما تقرر في الاية قبلها ، فأخبر تعالى أنه لا أضل ممن يدعو أحداً من دونه كائنا من كان ، وأخبر أن المدعو لا يستجيب لما طلب منه من ميت أو غائب أو ممن لا يقدر على الاستجابة مطلقا من طاغوت ووثن فليس لمن دعا غير الله الا الخيبة

والخسران، ثم قال تعالى (وهم عن دعائهم غافلون) كما قال في آية يونس (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم) الى قوله (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ، ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ثم قال (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فلا يحصل للمشرك يوم القيامة الا نقيض قصده ، فيتبرأ منه ومن عبادته وينكر ذلك عليه أشد الانكار ، وقد صار المدعو للداعي عدوا ، ثم أخبر تعالى ان ذلك الدعاء عبادة بقوله (وكانوا بعبادتهم كافرين) فدلت أيضا على أن دعاء غير الله عبادة له وأن الداعي له في غاية الضلال ، وقد وقع من هذا الشرك في هذه الامة ما عم وطم حتى أظهر الله من يبينه بعد ان كان مجهولا عند الخاصة والعامة الا من شاء الله تعالى وهو في الكتاب والسنة في غاية البيان ، لكن القلوب انصرفت الى مازين لها الشيطان ، كما جرى للامم مع الانبياء والمرسلين لما دعوهم الى توحيد الله : جرى لهم من شدة العداوة ما ذكره الله تعالى كما قال تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون) ويشبه هذه الاية في المعنى (ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير) أخبر تعالى ان ذلك الدعاء شرك بالله وأنه لا يغفره لمن لقيه به ، فتدبر هذه الايات وما في معناها كقوله (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً — قل انما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً) وهو في القرآن أكثر من أن يستقصى .

وقوله (أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءإله مع الله ؟) وهذا مما أقر به مشركو العرب وغيرهم في جاهليتهم كما قال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون) أخبر تعالى انهم يخلصون الدعاء له اذا وقعوا في شدة . قال أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى : يقول تعالى (ءاله مع الله) يفعل هذه الاشياء بكم ، وينعم عليكم ؟ وقوله (قليلا ما تذكرون) يقول تذكرا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرا فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته

قوله (وروى الطبراني باسناد انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال النبي ﷺ «انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»

الطبراني هو الامام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها ، روى عن النسائي واسحاق بن ابراهيم الديري وخلق كثير ، مات سنة ستين وثلاثمائة روى هذا الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

قوله (فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق) قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ان النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم منه (قلت) فلعله أراد أن النبي ﷺ كان يترك المنافقين أن يفعل بهم ما يستحقونه مخافة أن يفتتن بعض المؤمنين من قبيلة المنافق ، وفي السنة مايدل على ذلك كما فعل مع ابن أبي وغيره . وقيل ان النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق فيكون نهيه ﷺ عن الاستغاثة به

حماية لجناب التوحيد، وسداً لذرائع الشرك كنظائره مما للمستغاث به قدرة عليه مما كان يستعمل لغة وشرعا مخافة أن يقع من أمته الاستغاثة بمن لا يضر ولا ينفع، ولا يسمع ولا يستجيب من الاموات والغائبين والطواغيت والشياطين والاصنام وغيرذلك ، وقدوقع من هذا الشرك العظيم ماعمت به البلوى كما تقدم ذكره حتى انهم أشركوهم مع الله في ربوبيته وتدبير أمر خلقه كما أشركوهم معه في إلهيته وعبوديته والوسائل لها حكم الغايات في النهي عنها والله أعلم

قوله ﴿ باب قول الله تعالى (أيشركون ما لا يخلق وهم يُخلقون * ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴾ (ص ٢٠)

وهذا مما احتج به تعالى على المشركين لما وقع منهم من اتخاذ الشفعاء والشركاء في العبادة لانهم مخلوقون فلا يصلح أن يكونوا هم شركاء لمن هم خلقه وعبيده، وأخبر انهم مع ذلك لا يستطيعون لهم نصراً أي لمن سألهم النصرة (ولا أنفسهم ينصرون) فاذا كان المدعو لا يقدر أن ينصر نفسه فلأن لا ينصر غيره من باب الاولى فبطل تعلق المشرك بغير الله بهذين الدليلين العظيمين وهو كونهم عبيدا لمن خلقهم لعبادته والعبد لا يكون معبودا (الدليل الثاني) انه لا قدرة لهم على نفع أنفسهم فكيف يرجى منهم أن ينفعوا غيرهم ، فتدبر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم

وقوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ـ إلى قوله ـ ولا ينبئك مثل خبير) ابتدأ تعالى هذه الآيات بقوله (ذلكم الله ربكم له الملك) يخبر الخبير ان الملك له وحده والملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره ، ولهذا قال

(والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) فان من كانت هذه صفته فلا يجوز أن يرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلى أحد سواه تعالى وتقدس بل يجب إخلاص الدعاء له الذي هو من أعظم أنواع العبادة ، وأخبر تعالى ان ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئاً وانهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ولو فرض انهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم وانهم يوم القيامة يكفرون بشركهم أي ينكرونه ويتبرؤن ممن فعله معهم ، فهذا الذي أخبر به الخبير (الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء) وأخبر ان ذلك الدعاء شرك به وانه لا يغفره لمن لقيه به ، فأهل الشرك ما صدقوا الخبير ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع ، بل قالوا ان الميت يسمع ، ومع سماعه ينفع ، فتركوا الاسلام والايمان رأسا كما ترى عليه الاكثرين من جهلة هذه الامة

قوله (في الصحيح عن أنس قال شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته فقال « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ » فنزلت (ليس لك من الامر شيء) الآية وفيه عن ابن عمر انه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا » بعد ما يقول « سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد » فأنزل الله تعالى (ليس لك من الامر شيء) وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل ابن عمرو والحارث بن هشام فنزلت (ليس لك من الامر شيء) وأسلم هؤلاء وحسن إسلامهم

قوله (في الصحيح) أي الصحيحين علقه البخاري عن حميد عن ثابت عن أنس ووصله أحمد والترمذي والشافعي عن حميد عن أنس وقد قال تعالى (قل ان الامر كله لله) وقال تعالى (ألا له الخلق والامر تبارك

الله رب العالمين) والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والمقصود ان الذي له الامر كله والملك كله لا يستحق غيره شيئا من العبادة ولهذا المعنى قال لنبيه ﷺ (انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) فالذي ليس له من الامر شيء هو وخيرة الله من خلقه مازال يدعو الناس أن يخلصوا العبادة للذي له الامر كله وهو الله تعالى فهذا دينه (ص) الذي بعث به وأمر أن يبلغه أمته ويدعوهم اليه كما تقدم في باب الدعاء الى شهادة أن لا إله الا الله فاياك أن تتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين الذي شرعه الله ورسوله لهم وخصهم به

قوله﴿ وفيه عن ابي هريرة قال قام رسول الله (ص) حين أنزل عليه (وانذر عشيرتك الاقربين) قال يامعشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيئا ، ياعباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا ، وياصفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا ، ويافاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا اغني عنك من الله شيئا ﴾

قوله﴿ وفيه ﴾ اى في صحيح البخاري واختلف في اسم ابي هريرة وصحح النووي ان اسمه عبد الرحمن بن صخر وهو دوسي من حفاظ الصحابة حفظ من الحديث مالم يحفظه غيره كما في صحيح البخارى عن وهب بن منبه عن اخيه سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول ما من احد من اصحاب رسول الله (ص) اكثر حديثا عنه مني الا ماكان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا اكتب . مات سنة سبع او ثمان او تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة وهذا الحديث له طرق كثيرة في الصحيحين والمسند والسنن وغيرها

قوله قال « يامعشر قريش » او كلمة نحوها « اشتروا انفسكم » اي بالايمان بالله ورسوله واتباعه فيما جاءكم به مما أنزل عليه من توحيد الله تعالى في العبادة وترك ما ماكنتم تعبدونه من دونه من الاوثان والاصنام فانهم بعد ذلك الشرك صاروا عبيدا لمن لا يضر ولا ينفع، ولا يستجيب ولا يسمع الا هو وهم قد عرفوا أن ما كانوا يفعلونه من عبادة غير الله شرك بالله فانهم كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لاشريك لك ، الا شريكا هو لك، تملكه وما ملك .فسبحان الله كيف جاز في عقولهم أن المملوك يكون شريكا لمالكه ، وقد قال تعالى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم؟ كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون* بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله ومالهم من ناصرين)

قوله « لا اغني عنكم من الله شيئا » هذا هو معنى ما تقدم من أنه تعالى هو المتصرف في خلقه بما شاء مما اقتضته حكمته في خلقه وعلمه بهم والعبد لا يعلم الا ما علمه الله ، ولا ينجو أحد من عذابه وعقابه الا باخلاص العبادة له وحده والبراءة من عبادة ما سواه . كما قال تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) والنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أنذر الاقربين نذارة خاصة واخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئا وبلغهم واعذر اليهم فانذر قريشا ببطونها وقبائل العرب في مواسمها وانذر عمه وعمته وابنته وهم أقرب الناس اليه واخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئا اذا لم يؤمنوا به ويقبلوا

ما جاء به من التوحيد وترك الشرك به .(١)

قوله (سلني من مالي ماشئت) لان هذا هو الذي يقدر عليه ﷺ وما كان أمره الى الله سبحانه فلاقدرة لاحد عليه كما في هذا الحديث ولما مات أبو طالب وكان يحوط رسول الله ﷺ ويحميه ولم ينكر ملة عبدالمطلب من الشرك بالله وقال ﷺ لاستغفرن لك مالم أنه عنك فانزل الله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربا من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) فاخبر ان أبا طالب من أصحاب النار لما مات على غير شهادة أن لا إله إلا الله فلم ينفعه حمايته النبي ﷺ من ان يكون من المشركين ولا الاعتراف بان النبي ﷺ على الحق بدون البراءة من الشرك لانه لم يبرأ من ملة أبيه فكل تعلق على غير الله من طلب شفاعة أو غيرها شرك بالله يكون عليه وبالا في الدنيا والآخرة ، والشفاعة لاتكون الا لاهل الاخلاص خاصة كما قال تعالى (وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) والآيات في هذا المعنى كثيرة وكذلك الاحاديث والله أعلم وسيأتي في باب الشفاعة ان شاء الله تعالى

قوله ﴿ باب قول الله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾

قوله (حتى اذا فزع عن قلوبهم) أى زال عنها الفزع قاله ابن عباس وغيره ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) وقال ابن

«١» أي وسائر شرائع الاسلام

جرير قال بعضهم الذي فزع عن قلوبهم الملائكة قالوا وانما فزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل بالوحي . قال ابن كثير وهو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الاحاديث فيه والآثار ، وقال أبو حيان تظاهرت الاحاديث عن رسول الله(ص) ان قوله (حتى إذا فزع عن قلوبهم) انما هي في الملائكة اذا سمعت الوحي الى جبريل وأمر الله تعالى به سمعت كجر السلسة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة قال وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تتسق هذه الآية على الاولى ومن لم يشعر ان الملائكة مشار اليهم من أول قوله (الذين زعمتم) لم تتصل له هذه الآية بما قبلها .

وهذه الآيات تقطع عروق الشرك بامور أربعة

(الاول) أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله والذي لا يملك مثقال ذرة في السموات والارض لا ينفع ولا يضر فهو تعالى هو الذي يملكهم ويدبرهم ويتصرف فيهم وحده

(الثاني) قوله (ومالهم فيهما من شرك) أي في السموات والارض أي ومالهم شرك مثقال ذرة من السموات والارض

(الثالث) قوله (وماله منهم من ظهير) والظهير المعين فليس لله معين من خلقه بل هو الذي يعينهم على ما ينفعهم لكمال غناه عنهم، وضرورتهم الى ربهم فيما قل وكثر من امور دنياهم واخراهم

(الرابع) قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) فلا يشفع عنده احد الا باذنه .وأخبر تعالى ان من اتخذ شفيعا من دونه حرم شفاعة

الشفعاء قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) لان اتخاذ الشفعاء شرك لقوله تعالى في حقهم (سبحانه وتعالى عما يشركون) والمشرك منفية الشفاعة في حقه كما قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وقال (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وذلك ان متخذ الشفيع لابد ان يرغب اليه ويدعوه ويرجوه ويخافه ويحبه لما يؤمله منه وهذه من انواع العبادة التي لا يصرف منها شيء لغير الله وذلك هو الشرك الذي ينافي الاخلاص

وقوله (في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال «اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير) فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع بعضه فوق بعض — هكذا وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه — فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الكاهن أو الساحر فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء) (ص ٢٢)

قوله « في الصحيح » أي صحيح البخاري ففي هذا الحديث أن من

عرف الله تعالى ذل له تعظيما ومهابة وخوفا لا سيما عند سماع كلامه تعالى لان قوله « اذا قضى الله الامر » أي بكلامه ووحيه إلى جبريل

وقوله « في السماء » يدل على العلو ففيه اثبات كلام الله وعلوه على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل. وهذا الحديث ونحوه مما احتج به أهل السنة على الجهمية والاشاعرة والكلابية وغيرهم من أهل البدع ممن ألحد بالتعطيل في أسماء الله وصفاته

قوله «خضعانا» مصدر خضع. قوله «لقوله» صريح في أنهم سمعوا قوله وانه بصوت وان ذلك ينفذ جميع الملائكة أي يسمعونه كلهم، قوله (حتى اذا فزّع عن قلوبهم) أي زال عنها الفزع

قوله « فيسمعها مسترق السمع » أى الكلمة التي سمعتها الملائكة وتحدثوا بها ، قوله « ومسترق السمع بعضه فوق بعض هكذا وصفه سفيان » راوي الحديث وهو ابن عيينة بكفه . قوله « فيسمع الكلمة» يعني مسترق السمع «فيلقيها الى من تحته من الشياطين ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن» الحديث . قوله « فيكذب معها» أى الساحر أو الكاهن «مائة كذبة فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » لقبول الناس

قوله ﴿وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اذا أراد الله تعالى أن يوحي بالامر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة ـ أو قال رعدة ـ شديدة خوفا من الله عز وجل فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مرّ بسماء

سأله ملائكتها : ما ذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل (قال الحق وهو العلي الكبير). فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل ﴾ رواه ابن أبي حاتم بسنده عن النواس بن سمعان بكسر السين ابن خالد الكلابي ، ويقال الانصاري صحابي ويقال إن أباه صحابي أيضا

قوله « اذا أراد الله تعالى » فالارادة صفة من صفات الله عز وجل وهي نوعان شرعية وقدرية كما قال تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) الآية (فاراد ربك أن يبلغا أشدهما) وقال (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ونحو هذه الا يات

قوله « أن يوحي بالامر » فيه بيان معنى ما تقدم في الحديث قبله من قوله « اذا قضى الله الامر » قوله « تكلم بالوحي » فيه التصريح بانه يتكلم بالوحي فيوحيه إلى جبريل عليه السلام ففيه الرد على الاشاعرة في قولهم ان القرآن عبارة عن كلام الله . قوله « أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل » في هذه معرفة عظمة الله ويوجب للعبد شدة الخوف منه تعالى وفيه اثبات العلو . قوله « فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا و خروا لله سجدا » هيبة وتعظيما لربهم وخشية لما سمعوا من كلامه تعالى وتقدس . قوله « فيكون أول من يرفع رأسه جبريل » لانه ملك الوحي عليه السلام . قوله « فيكلمه الله من وحيه بما أراد » فيه التصريح بانه تعالى يوحي الى جبريل بما أراده من أمره كما تقدم في أول الحديث ، قوله « ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها » وهذا أيضا من أدلة علو الرب تعالى وتقدس.

قوله « ماذا قال ربنا ياجبريل ؟ فيقول (قال الحق وهو العلي الكبير) فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل » وهذا دليل بانه تعالى قال ويقول ،وأهل البدع من الجهمية ومن تلقى عنهم كالاشاعرة جحدوا ما أثبته الله تعالى في كتابه وأثبته رسوله ﷺ في سنته من علوه وكلامه وغير ذلك من صفات كماله التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله والمؤمنون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل السنة والجماعة على مايليق بجلال الله وعظمته — تشبيهات اختلقوها ما أنزل الله بها من سلطان

قوله ﴿ باب الشفاعة ﴾ — (ص ٢٤)

الشفاعة نوعان شفاعة منفية في القرآن وهي الشفاعة للكافر والمشرك قال تعالى (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) وقال (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) وقال (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) ونحو هذه الآيات كقوله (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض) يخبر تعالى أن من اتخذ هؤلاء شفعاء عند الله انه لا يعلم انهم يشفعون له بذلك وما لا يعلمه لا وجود له فنفى وقوع هذه الشفاعة وأخبر أنها شرك بقوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) إلى قوله (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) فابطل شفاعة من اتخذ شفيعا يزعم أنه يقربه الى الله وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته لانه جعل لله شريكا

يرغب اليه ويرجوه ويتوكل عليه ويحبه كما يحب الله تعالى أو أعظم

(النوع الثاني) الشفاعة التي أثبتها القرآن وهي خالصة لاهل الاخلاص وقيدها تعالى بأمرين (الاول) اذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه) وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رحم عبده الموحد المذنب فاذا رحمه تعالى اذن للشافع أن يشفع له (الامر الثاني) رضاه عمن اذن للشافع أن يشفع فيه كما قال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فالاذن بالشفاعة له بعد الرضاء كما في هذه الآية وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد

قوله ﴿ وقول الله تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع)

الانذار هو الاعلام باسباب المخالفة والتحذير منها . قوله (به) أي القرآن (الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) وهم أهل الاخلاص الذين لم يتخذوا لهم شفيعا بل أخلصوا قصدهم وطلبهم وجميع أعمالهم لله وحده ولم يلتفتوا إلى أحد سواه فيما يرجون نفعه ، ويخافون ضره ، قال الفضيل ابن عياض : ليس كل خلقه عاتب انما عاتب الذين يعقلون

قوله (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) قال الزجاج موضع ليس نصب على الحال كأنه قال متخلين من ولي وشفيع والعامل فيه يخافون

قوله (لعلهم يتقون) أي فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة وتركوا التعلق على الشفعاء وغيرهم لانه ينافي الاخلاص الذي لا يقبل الله من أحد عملا بدونه

قوله (قل لله الشفاعة جميعا) دلت الآية على أن الشفاعة له سبحانه لانها لا تقع إلا لاهل التوحيد باذنه سبحانه وتعالى كما قال تعالى في

الآية السابقة وقال تعالى (يدبر الامر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم) الآية فلا شفاعة إلا لمن هي له سبحانه ولا تقع إلا ممن أذن له فيها. فتدبر هذه الآيات العظيمة في اتخاذ الشفعاء .

وقوله (له ملك السموات والارض) يبطل التعلق على غيره سبحانه لانه الذي انفرد بملك كل شيء فليس لاحد في ملكه مثقال ذرة دونه سبحانه وبحمده ، والاسلام هو أن تسلم قلبك وجوارحك لله بالاخلاص كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال لرسول الله ﷺ فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به ؟ قال « الاسلام » قال وما الاسلام ؟ قال « أن تسلم قلبك وأن توجه وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة ،وتؤدي الزكاة المفروضة» والآيات في بيان الاخلاص كثيرة وهو أن لا يلتفت القلب ولا الوجه في جميع الاعمال كلها الا لله وحده كما قال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين) فأمره تعالى باخلاص الدعاء له وحده وأخبر أنه الدين الذى تصح معه الاعمال وتقبل . قال شيخ الاسلام: الاخلاص محبة الله وارادة وجهه

قوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) تقدم معنى هذه الآية قوله (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) فاذا كان هذا في حق الملائكة الذين وصفهم تعالى بقوله (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) فظهر من هذه الآيات المحكمات مايبين حقيقة الشفاعة

المثبتة في القرآن التي هي ملك لله لا يملكها غيره ، وقيد حصولها بقيدين كما في هذه الآية وغيرها كما تقدم قريباً اذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) ورضاه عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحدين ، فاختصت الشفاعة بأهل الاخلاص خاصة ، وأن اتخاذ الشفعاء من دين المشركين قد أنكره الله عليهم فيما تقدم من الآيات

قوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) الآيتين قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله. ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا ثم يقال له « ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع » وقال له أبو هريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال « من قال لا إله الا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله ، وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة باذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لاهل التوحيد والاخلاص . انتهى كلامه رحمه الله تعالى وفيه تحقيق لأمر الشفاعة وجمع للأدلة والله تعالى أعلم

قوله ﴿ باب قول الله تعالى (انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ (ص ٢٥)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يقول تعالى لرسوله ﷺ انك يامحمد لاتهدي من أحببت ، أي ليس إليك ذلك انما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) قلت والمنفي ههنا هداية التوفيق والقبول فان أمر ذلك إلى الله وحده وهو القادر عليه . وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم) فانها هداية الدلالة والبيان فهو المبين عن الله والدال على دينه وشرعه

قوله ﴿ في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له « ياعم قل لا إله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فأعاد عليه رسول الله ﷺ فأعادا فكان آخر ماقال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله الا الله ، فقال النبي ﷺ « لأستغفرن لك مالم أنه عنك » فأنزل الله عز وجل (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية ، وأنزل في أبي طالب (انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

قوله « في الصحيح ، أي الصحيحين وابن المسيب هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم

القرشي المخزومي أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين ، اتفق أهل الحديث أن مراسيله أصح المراسيل ، وقال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علما منه ، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين ، وأبوه المسيب صحابي بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه ، وكذلك جده حزن صحابي استشهد باليمامة

قوله « لما حضرت أبا طالب الوفاة » أي علاماتها ومقدماتها . قوله « جاءه رسول الله ﷺ » يحتمل أن يكون المسيب حضر مع الاثنين فانهما من بني مخروم وهو أيضاً مخزومي وكان الثلاثة إذ ذاك كفاراً فقتل أبو جهل على كفره وأسلم الآخران . قوله « ياعم قل لا إله الا الله » أمره بقولها لعلم أبي طالب بأنها دالت على نفي الشرك بالله واخلاص العبادة له وحده فان من قالها عن علم ويقين وقبول فقد أنكر الشرك وتبرأ منه ، وكذلك الحاضرون يعلمون بما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه ، ولهذا عارضوا قول النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم أترغب عن ملة عبد المطلب؟ لان ملة عبد المطلب الشرك بعبادة الاوثان كما كانت قريش وغيرهم في جاهليتهم كذلك . قوله « كلمة » قال القرطبي بالنصب على أنه بدل من لا إله الا الله ، ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف . قوله « أحاج لك بها عند الله » لأنه لو قالها في تلك الحال لقبلت منه ودخل بها في الاسلام . قوله : فقالا له أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ ذكراه الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين كقول فرعون لموسى (فما بال القرون الاولى) وكقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) قوله « فأعاد عليه النبي

صلى الله عليه وسلم فأعادا » فيه مضرة أصحاب السوء والحذر من قربهم والاستماع لهم ففيه معنى قول الناظم

اذا ماصحبت القوم فاصحب خيارهم

ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

قوله « فكان آخر ماقال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله الا الله » قال الحافظ هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب . قال المصنف رحمه الله تعالى وفيه الرد على من زعم اسلام عبد المطلب واسلافه.

قوله « فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك مالم أنه عنك » اللام لام القسم . قال النووي : فيه جواز الحلف من غير استحلاف . قال ابن فارس : مات أبو طالب ولرسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر واحدعشر يوما ، وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بعد موت أبي طالب بثمانية أيام

قوله « فأنزل الله عز وجل (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب ، فان الاتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله ، فأنزل الله بعد قوله (لاستغفرن لك مالم أنه عنك) يفيد ذلك ، وقد ذكر العلماء لسبب نزول هذه الآية أسبابا آخر فلا منافاة الآية الواحدة قد يتعدد نزولها وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم

قوله ﴿ باب ماجاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ﴾ —ص٢٦—

قد أنذر صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو وأبلغ في الانذار تحذيراً عما وقع من جهلة هذه الامة كما سيأتي ذكره

قوله (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم) الآية ، الغلو هو الافراط في التعظيم بالقول والاعتقاد ، أي لاترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله ، والخطاب وإن كان لاهل الكتاب فهو تحذير لهذه الامة أن يفعلوا مع نبيهم صلى الله عليه وسلم كما فعلت النصارى مع المسيح وأمه واليهود مع العزير ، وقد وقع ذلك الشرك في العبادة في هذه الامة نظماً ونثراً كما في كلام البوصيري والبرعي وغيرهما ، وفيما فعلوه من الغلو والشرك محادّة لله ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فأين ماوقع فيه هؤلاء الجهلة من قول من قال للنبي صلى الله عليه وسلم أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا . فكره ذلك صلى الله عليه وسلم أشد الكراهة ؟ كما سيأتي في الكلام على هذا الحديث إن شاء الله تعالى ، وقول القائل ماشاء الله وشئت ، فقال « أجعلتني لله نداً ؟ بل ماشاء الله وحده »

قال شيخ الاسلام : ومن تشبه من هذه الامة باليهود والنصارى وغلا في الدين بافراط فيه أو تفريط فقد شابههم قال : وعلي رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها ، واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق وهو قول أكثر العلماء

قوله ﴿ في الصحيح عن ابن عباس في قول الله تعالى (وقالوا

لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً)قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكت أولئك أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت﴾

(قوله في الصحيح) أي صحيح البخاري وهـذا الاثر اختصره المصنف رحمه الله ، والذي في البخاري عن ابن عباس صارت الاوثان التي في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهـذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين في قوم نوح ـ الى آخره

قوله : ان انصبوا . بكسر المهملة، قوله أنصابا جمع نصب وهي الاصنام التي صوروها على صور الصالحين .

قوله « ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت » الذي في البخارى ونسخ العلم فلعل الذي هنا رواية فصارت هذه الاصنام بهذا التصوير على صور الصالحين سلما الى عبادتها، وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت فالاصل في عبادته هو الغلو كما لايخفى على ذوي البصائر كما جرى لاهل مصر وغيرهم، فان اعظم آلهتهم احمد البدوي وهو لا يعرف له اصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة ومع هذا فصار اعظم آلهتهم مع انه لا يعرف الا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل ذكره السخاوي عن أبي حيان فزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون ويطفيء الحريق

وينجي الغريق وصرفوا له الآلهية والربوبية وعلم الغيب وكانوا يعتقدون انه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة وفيهم من يسجد على عتبة حضرته ، وكان أهل العراق ومن حولهم كأهل عمان يعتقدون في عبد القادر الجيلاني كما يعتقد اهل مصر في البدوي وعبد القادر من متأخري الحنابلة وله كتاب الغنية . وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة من هو أفضل منه في العلم والزهد لكن فيه زهد وعبادة ، وفتنوا به أعظم فتنة كما جرى من الرافضة مع أهل البيت ، وسبب ذلك الغلو دعوى أن له كرامات وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل كبعض الصحابة والتابعين ، وهكذا حال أهل الشرك مع من فتنوا به . واعظم من هذا عبادة اهل الشام لابن عربي وهو مام أهل الوحدة الذين هم أكفر اهل الارض. وأكثر من ان يعتقد فيه هؤلاء لافضل له ولا دين كاناس بمصر وغيره ، وجرى في نجد قبل هذه الدعوة مثل هذا وفي الحجاز واليمن وغيرهما من عبادة الطواغيت والاشجار والاحجار والقبور ما عمت به البلوى كعبادتهم للجن وطلبهم الشفاعة منهم والاصل في ذلك الغلو تزيين الشيطان

وذكر أهل السير ان التلبية من عهد ابراهيم عليه السلام (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك) حتى كان عمرو بن لحي الخزاعي فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال لبيك لا شريك لك فقال الشيخ: الا شريكا هو لك. فانكر ذلك عمرو وقال ماهذا ؟ فقال الشيخ : تملكه ومامالك. فانه لا بأس بهذا فقالها عمرو فدانت بها العرب

قوله ﴿ وعن عمر ان رسول الله ﷺ قال « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » أخرجاه ﴾

قوله «عن عمر » هو ابن الخطاب بن نفيل بنون وفاء مصغر العدوي أمير المؤمنين وأفضل الصحابة بعد الصديق رضي الله عنه ولي الخلافة عشر سنين ونصفا فامتلأت الدنيا عدلا وفتحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة

قوله « لا تطروني » الاطراء هو الغلو كما « أطرت النصارى ابن مريم» كما قال تعالى (قل ياأهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) قوله « انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » أمرهم (ص) أن لا يتجاوزوا هذا القول وقد أمر الله عباده بالصلاة والسلام عليه لان أشرف مقامات الانبياء العبودية الخاصة والرسالة

قوله ﴿ قال قال رسول الله (ص) « اياكم والغلو فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » ﴾ هذا الحديث ذكره المصنف رحمه الله تعالى بدون ذكر راويه ، وقد رواه الامام احمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس وهذا لفظ رواية احمد عن ابن عباس قال شيخ الاسلام هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والاعمال

قوله «ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «هلك المتنطعون » قالها ثلاثا» قال الخطابي المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف في البحث عنه على مذهب اهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم ، وقال أبو السعادات هم المتعمقون الغالون في الكلام

المتكلمون باقصى حلوقهم وقال النووى فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الاعراب في مخاطبة العوام ونحوهم .

قوله «قالها ثلاثا» أى قال هذه الكلمة ثلاث مرات مبالغة في التعليم والابلاغ فقد بلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .ووجه مناسبة هذا الحديث للترجمة أن الغلو من التنطع والزيادة لما فيه من الخروج الى مايوصل الى الشرك بالله

قوله ﴿باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبده﴾(١) فكل ما كان وسيلة الى الشرك فهو حرام لكونه يوقع في الشرك بالله وعبادة ماسواه كما في الاحاديث .

قوله ﴿في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بارض الحبشة وما فيها من الصور — الحديث﴾ قوله « في الصحيح » أي الصحيحين

قوله «ان أم سلمة» هي هند بنت أبي امية بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة اربع ، وقيل ثلاث وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة الى الحبشة توفيت سنة اثنتين وستين. قوله « ذكرت لرسول الله ﷺ » وفي الصحيحين ان أم حبيبة وام سلمة ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ والكنيسة بفتح الكاف وكسر النون متعبد النصارى. قوله « راتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور » لان ام سلمة هاجرت مع زوجها ابي سلمة الى الحبشة ثم رجعا الى مكة فهاجرا منها الى

(١) ص ٢٨

المدينة والحبشة دينهم النصرانية وفيهم من اسلم . قوله «فقال اولئك» بكسر الكاف خطاب للمرأة. قوله «اذا مات فيهم الرجل الصالح او العبد الصالح» هذا والله اعلم شك من الراوي(١) قوله «اولئك شرار الخلق عند الله» ولم يذكر غير بناء المساجد والتصوير لكونه ذريعة الى عبادة من بنوا عليه المسجد وصوروا صورته فبذلك صاروا شرار الخلق فانظر الى ما وقع في هذه الامة من ذرائع الشرك والوقوع فيه مما هو اعظم من هذا كالبناء على القبور وتعظيمها وعبادتها ومع ذلك يعتقدونه دينا وهو الشرك الذي حرمه الله وارسل الرسل وانزل الكتب بالنهي عنه

قوله : فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل . هذا من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لم يذكره المصنف رحمه الله تعالى لان ذلك معلوم عند من يقرأ هذا الكتاب

قوله﴿ ولهما عنها قالت لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لابرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا أخرجاه﴾

الخميصة كساء له أعلام والشاهد للترجمة قوله ﷺ «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فلعنهم صلى الله عليه وسلم على تحري الصلاة عندها وان كان المصلي انما يصلي لله فمن كان يصلي عند القبور ويتخذها مساجد فهو ملعون لانه ذريعة الى عبادتها

«١» ترك الشارح هنا من الحديث جملتين وهما قوله (ص) «بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور»

فكيف اذا عبد اهل القبور والغائبين بانواع العبادة وسألهم مالا قدرة لهم عليه؟ وهذا هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة اليها، واللعنة ليست مختصة باليهود والنصارى بل تعم من فعل فعلهم وما هو اعظم منه وهذا هو الذي أراده ﷺ من لعنة اليهود والنصارى على هذا الفعل تحذيرا لامته ان يفعلوا مافعلته اليهود والنصارى فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم .قوله(١):ولولا ذلك. أي ماكان يحذر من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجدا لابرز قبره مع قبور أصحابه بالبقيع

قوله : غير انه خشي أن يتخذ مسجدا . روي بفتح الخاء وضمها فعلى الفتح يكون هو الذى خشي ﷺ وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذى قبض فيه ، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الامة فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الامة غلوّا وتعظيما لما أبدى وأعاد من النهي والتحذير ولعن فاعله . قال القرطبي ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل اليها وجعلوها محدقة بقبره ﷺ خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره . اهـ (قات) فبذلك صان الله قبره وقبل دعوته بقوله

«١» الضمير للمصنف . وهو يصح وان كان القول لعائشة «رض» اي قوله الذي نقله من حديث عائشة حكاية عنها

« اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »

قوله (ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول « اني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك »)

قوله : عن جندب بن عبد الله . أي ابن سفيان البجلي وينسب إلى جده ، صحابي مشهور مات بعد الستين ، قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ، أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه للاحاديث الصحيحة وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه ، قال: ولا ريب في القطع بتحريمه ثم ذكر الاحاديث في ذلك ـ إلى أن قال ـ وهذه المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين والملوك وغيرهم تتعين ازالتها بهدم أو غيره ، هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين

قوله (فقد نهى عنه في آخر حياته ثم انه لعن وهو في السياق من فعله ، والصلاة عندها من ذلك وان لم يبن مسجد وهو معنى قولها خشي أن يتخذ مسجداً : فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا كما قال ﷺ « جعلت لي الارض مسجدا وطهورا)

هذا ذكره شيخنا وهو من تقرير شيخ الاسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى على هذه الاحاديث

قوله ﴿ ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعا « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » ورواه أبو حاتم في صحيحه ﴾

قلت : وقد وقع هذا في الامة كثيرا كما وقع في أهل الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ كما لا يخفى على ذوي البصائر ، وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الامة على ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشرك بأمور (منها) انهم يخلصون عند الاضطرار لغير الله وينسون الله (ومنها) انهم يعتقدون ان آلهتهم من الاموات يتصرفون في الكون دون الله وجمعوا بين نوعي الشرك في الالهية والربوبية ، وقد سمعنا ذلك منهم مشافهة ، ومن ذلك قول ابن كمال من أهل عمان وأمثاله : ان عبد القادر الجيلاني يسمع من دعاه ومع سماعه ينفع ، فزعم انه يعلم الغيب وهو ميت فلقد ذهب عقل هذا وضل فكفر بما أنزله الله في كتابه كقوله (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فما صدقوا الخبير فيما أخبر به عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ، ولا آمنوا بما أنزله الله في كتابه بل بالغوا وعاندوا في رده وكذبوا وألحدوا وكابروا المعقول والمنقول فالله المستعان

قوله(١) ﴿ باب ما جاء ان الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾

وذلك انه ﷺ خاف أن يقع من أمته في حقه كما وقع من اليهود

(١) ص ٣٠

والنصارى في حق أنبيائهم من عبادتهم من دون الله وسبب ذلك الغلو فيهم كما قال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وكذلك رغب ﷺ إلى ربه أن لا يجعل قبره وثنا يعبد ، وقد عبدت القبور بأنواع العبادة كما لا يخفى ، وتقدم في حديث عائشة رضي الله عنها « ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا » وقد استجاب الله دعوة نبيه ﷺ وصان قبره وأحاطه بثلاثة جدران كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران

قوله ﴿ ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد أفرأيتم اللات والعزى؟ قال كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس كان يلت السويق للحاج ﴾

ابن جرير هو أبو جعفر ابن جرير صاحب التفسير الكبير وهو أجل التفاسير وأحسنها وهو من أئمة المسلمين المجتهدين وله كتاب الاحكام رحمه الله تعالى

قوله : كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره . فيه شاهد للترجمة فانهم غلوا فيه لاجل صلاحه واتخذوه وثنا بتعظيمه وعبادته ، وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية، قوله ﴿ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج . رواه أهل السنن ﴾

هذا الحديث صحيح صححه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى

ويكفيك في الاحتجاج به رواية أهل السنن له ولم يذكر أحد منهم له علة ولا معارض له

قوله ﴿ باب ماجاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ﴾ (١) قد تقدم فيما سلف من الابواب قبل هذا

قوله ﴿ وقول الله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) ووجه الدلالة بالآية انه ﷺ يعز عليه كل مايؤثم الامة ويشق عليهم ، وأعظم مايؤثم الامة ويشق عليهم الشرك بالله قليله وكثيره ووسائله وما يقرب منه من كبائر الذنوب وقد بالغ ﷺ في النهي عن الشرك وأسبابه أعظم مبالغة كما لا يخفى ، وقد كانت هذه حال أصحابه رضى الله عنهم في قطعهم الخيوط التي رقي للمريض فيها ونحو ذلك من تعليق التمائم

قوله ﴿ عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه أبو داود باسناد حسن رواته ثقات ﴾ قال الحافظ محمد بن عبد الهادى هو حديث حسن جيد الاسناد وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة نهاهم ﷺ أن يهجروا بيوتهم عن الصلاة فيها كما تهجر القبور عن الصلاة اليها مخافة الفتنة بها وما يفضي إلى عبادتها من دون الله لان النهي عن ذلك قد تقرر عندهم فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك

قوله « ولا تجعلوا قبري عيداً » فيه شاهد للترجمة . قال شيخ الاسلام : العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً اما

(١) ص ٣١

بعود السنة أو بعود الاسبوع أو الشهر أو نحو ذلك، وقال ابن القيم رحمه الله العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتياد فاذا كان اسما للمكان فهو الذى يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة أو لغيرها كما ان المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة كما جعل أيام العيد فيها عيداً وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالاسلام ابطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى كما عوضهم عن اعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر

قوله ﴿ وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال : ألا احدثكم حديثا سمعته من ابي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فان تسليمكم يبلغني اين كنتم » رواه في المختارة . هذا الحديث رواه ابو يعلى والقاضي اسماعيل والحافظ الضياء في المختارة

قال شيخ الاسلام فانظر هذه السنة كيف مخرجها من اهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب النسب وقرب الدار لانهم الى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط انتهى

قوله: عن علي بن الحسين. أي ابن علي بن ابي طالب المعروف بزين العابدين رضي الله عنهم أفضل التابعين من أهل بيته واعلمهم قال الزهري : ما رأيت قرشيا أفضل منه. مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح

قوله: انه رأى رجلا يجيء إلى فرجة ـ بضم الفاء وسكون الراء وهي

الكوة في الجدار والخوخة ونحوهما، قوله : فيدخل فيها فيدعو فنهاه . وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لاجل الدعاء والصلاة عندها .قال شيخ الاسلام : ما علمت أحداً رخص فيه لان ذلك نوع من اتخاذه عيداً ، ويدل أيضاً على أن قصد القبر للسلام إذا دخل ليصلي منهي عنه لان ذلك لم يشرع وكره مالك لاهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ لان السلف لم يكونوا يفعلون ذلك . قال ولن يصلح آخر هذه الامة إلا ما أصلح أولها ، وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون فاذا قضوا الصلاة قعدوا وخرجوا ولم يكونوا يأتون القبر للسلام لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد هو السنة ، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم بل نهاهم عنه في قوله «لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني » فبين أن الصلاة تصل اليه من بعد وكذلك السلام ولعن من اتخذ قبور الانبياء مساجد ، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل اليها من الباب لما كانت عائشة رضي الله عنها فيها وبعد ذلك إلى أن بني الحائط الآخر ، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون اليه لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لانفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث أو علم ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما أو سلاما فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الاحاديث ، وانه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويحدثهم في الظاهر ، وانه يخرج من القبر ويرونه خارجا

من القبر ، ويظنون أن نفس ابدان الموتى خرجت تكلمهم ، وان أرواح الموتى تجسدت لهم فرأوها ، والمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعل من بعدهم من الخلوف . قال سعيد بن منصور في سننه : ثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال : رآني الحسن بن علي بن الحسن بن أبي طالب عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال هلم إلى العشاء . قلت لا أريده . قال مالي رأيتك عند القبر ؟ . فقلت : سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اذا دخلت المسجد فسلم ثم قال لي : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تتخذوا قبري عيد ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ما أنتم ومن بالاندلس إلا سواء

(قلت) وهذا أيضاً له قرب النسب وقرب الدار فنهى عن المجيء إلى القبر للدعاء عنده فالمجيء إلى القبر للسلام عليه وتحري اجابة الدعاء ليس مما شرعه الله ورسوله لهذه الامة ولو كان مشروعا لما تركه الخلفاء والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من سادات أهل البيت وأئمة التابعين ولما أنكروا على من فعله، وقولهم هو الحجة، وهو الذي دلت عليه الاحاديث كحديث عائشة وحديث الباب وغيرهما لعلم السلف بما أراده النبي صلى الله عليه وسلم بنهيه عن الغلو وخوفه مما وقع ممن غلا في الدين واتبع غير سبيل المؤمنين كما قال تعالى

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ولما حدث الشرك بارباب القبور في هذه الامة وتعظيمها وعبادتها صارت تشد الرحال اليها لقصد دعائها والاستغاثة بها وبذل نفيس المال تقربا اليها وتعظيم سدنتها . فيالها مصيبة ما أعظمها نسأل الله السلامة من هذا الشرك وما يقرب منه أو يوصل اليه

قوله ﴿ باب ما جاء أن بعض هذه الامة يعبد الاوثان وقول الله تعالى (الم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ (ص ٣٢)

الوثن يطلق على كل من قصد بنوع من انواع العبادة من دون الله من صنم أو قبر أو غيره لقول الخليل عليه السلام (إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا) مع قوله (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) قوله: وقول الله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : جاء حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف إلى أهل مكة فقالوا أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فاخبرونا عنا وعن محمد . فقالوا ما أنتم ومحمد؟ فقالوا نحن نصل الارحام ونحر الكوماء ونسقي الماء على اللبن ونفك العناة ونسقي الحجيج ومحمد صنبور قطع ارحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار فنحن خير أم هو ؟ فقالوا انتم خير واهدى سبيلا . فأنزل الله تعالى (الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب) الى قوله (هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا) وقوله (قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله

وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) قال البغوي في تفسيره : قل يا محمد (هل انبئكم) اخبركم (بشر من ذلك) يعني قولهم لم نر اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شراً من دينكم فذكر الجواب بلفظ الابتداء كقوله (قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار)

وقوله (مثوبة) ثوابا وجزاء نصب على التفسير (عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) فالقردة اصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى ، وعن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ان المسخين كلاهما من اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) اي وجعل منهم من عبد الطاغوت اي اطاع الشيطان فيما سول له ، وفي تفسير الطبري قرأ حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء ، وقرأ ابن عباس وابن مسعود وابراهيم النخعي والاعمش وأبان بن تغلب وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وخفض التاء . قوله (اولئك شر مكانا) مما تظنون بنا (واضل عن سواء السبيل) وهذا من باب استعمال افعل التفضيل فيما ليس في الطرف الاخر مشارك كقوله (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً واحسن مقيلا) قاله ابن كثير

قوله ﴿عن ابي سعيد ان رسول الله (ص) قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ . قال « فمن؟ » اخرجاه ، وهذا سياق مسلم فبين ﷺ في هذا الحديث ان كل ما وقع من أهل الكتاب مما ذمهم الله به في هذه الآيات وغيرها لا بد أن يقع جميعه في هذه الامة

وهو الشاهد للترجمة . قوله « سنن » بفتح المهملة أي طريق من كان قبلكم

قوله « حذو القذة » بنصب حذو على المصدر والقذة بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم أي لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الاخرى كما أخبر ﷺ قال سفيان ابن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى انتهى

قوله ﴿ عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض ، وانى سألت ربي لأمتي أن لايهلكها بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يامحمد اذا قضيت قضاء فانه لايرد وانى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً » ورواه البرقاني في صحيحه وزاد « وانما أخاف على أمتي الائمة المضلين واذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الاوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لانبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى » ﴾ هذا الحديث رواه أبو داود في سننه وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى

قوله « عن ثوبان » هو مولى النبي ﷺ ولازمه ونزل بعده الشام

ومات بحمص سنه أربع وخمسين . قوله « زوى لي الارض » قال التوربشتي : زويت الشيء جمعته وقبضته يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب ﷺ ، وحاصله أنه طوى له الارض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظاره . قال الطيبي : جمعها لي حتى أبصرت ماتملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها . قوله « وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها » قال القرطبي : هذا الخبر وجد مخبره كما قال ، وكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة بالنون والجيم الذي هو منتهى عمارة المغرب إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد الهند والسند والصفد ، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه

قوله « زوي لي منها » يحتمل أن يكون مبيناً للفاعل وأن يكون مبيناً المفعول قوله « وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض » قال القرطبي : يعني به كنز كسرى وهو ملك الفرس وقيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما ، وقد قال ﷺ « والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » وعبر بالاحمر عن كنز قيصر لان الغالب عندهم كان الذهب ، وبالابيض عن كنز كسرى لان الغالب عندهم كان الجوهر والفضة ، ووجد ذلك في خلافة عمر . قوله « واني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة » هكذا ثبت في أصل المصنف بالباء وهي رواية صحيحة في صحيح مسلم ، وفي بعضها بحذفها . قال القرطبي : وكأنها زائدة لان عامة صفة السنة والسنة الجدب الذي يكون به الهلاك العام . قوله « من سوى أنفسهم » أي

من غيرهم من الكفار من اهلاك بعضهم بعضاً وسبي بعضهم بعضا كما هو مبسوط في التاريخ

قوله « فيستبيح بيضتهم » قال الجوهري : بيضة كل شيء حوزته وبيضة القوم ساحتهم ، وعلى هذا فيكون معنى الحديث ان الله لايسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ماحازوه من البلاد والارض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الارض وهي جوانبها ، وقيل بيضتهم معظمهم وجماعتهم وان قلوا . قوله « حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا » الظاهر ان حتى هنا لانتهاء الغاية ، أي أن أمر أمته ينتهي الى أن يكون بعضهم يهلك بعضا . قوله « وإن ربي قال يامحمد اذا قضيت قضاء فانه لايرد » هذا كما في الحديث « ولا راد لما قضيت »

قوله ﴿ ورواه البرقاني في صحيحه ﴾ هو الحافظ الكبير أبو بكر احمد ابن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي ولد سنة ستة وثلاثين وثلاثمائة ، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة : قال الخطيب : كان ثبتا ورعا لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفا بالفقه كثير التصانيف صنف مسنداً ضمنه مااشتمل عليه الصحيحان ، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة

قوله « وانما أخاف على أمتي الائمة المضلين » أي الامراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى (وإن كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين) وقال (ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين) وأمثال هذه الآيات كثير ، وعن زياد بن حدير قال :قال لي عمر : هل تعرف مايهدم الاسلام ؟ قلت لا ، قال يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الائمة المضلين . رواه الدارمي

قوله « واذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة » وقد وقع ذلك وما زالت الامة كذلك نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة ، وفيه ماهو حق كقتال أهل التوحيد لاهل الشرك بالله وجهادهم على تركهم الشرك ، وقد منّ الله بذلك على من أقامهم في آخر هذا الزمان بالدعوة إلى توحيده ، لكن أهل الشرك بدأوهم بالقتال وأظهرهم الله عليهم كما لايخفى على من تدبر آيات هذا الدين في هذه الازمنه

قوله « ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين » الحي واحد الاحياء وهي القبائل ؛ وفي رواية أبي داود «حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين وكم وكم» قوله « وحتى تعبد فئام من أمتي الاوثان » والفئام مهموز الجماعات الكثيرة قاله أبو السعادات، وهذا هو شاهد الترجمة وقد استحكمت الفتنة بعبادة الاوثان حتى إنه لا يعرف أحد في هذه القرون المتأخرة أنكر ماوقع من ذلك، حتى أقام الله شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الذي أنكره ونهى عنه ودعا الناس إلى تركه ، وإلى أن يعبدوا الله تعالى وحده لاشريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، فرماه الملوك وأتباعهم بقوس العداوة ، فأظهره الله بالحجة وأعز أنصاره على من ناوأهم ، وبلغت دعوته مشارق الارض ومغاربها ، ولكن من الناس من عرف ومنهم من أنكر ، فانتفع بدعوته الكثير من أهل نجد والحجاز وعمان وغيرهم ، فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة جعلنا الله شاكرين

قوله «وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي » قال القرطبي : قد جاء عددهم معينا في حديث حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون منهم أربع

نسوة » أخرجه أبو نعيم وقال هذا حديث غريب ، وحديث ثوبان أصح من هذا . قال القاضي عياض : عدّ من تنبأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الان ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلالته فوجد هذا العدد فيهم ، ومن طالع كتب الاخبار والتاريخ عرف صحة هذا وآخرهم الدجال الاكبر . قوله « وأنا خاتم النبيين » قال الحسن : الخاتم الذي ختم به ، يعني أنه آخر النبيين كما قال تعالى (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وانما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكما بشريعة محمد ﷺ مصليا إلى قبلته فهو كآحاد أمته، بل هو أفضل هذه الامة

قوله « ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم » قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين مابين شجاع وبصير بالحرب ، وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد ، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الارض ، ويجوز أن يجتمعوا في بلد واحد وأن يكونوا في بعض دون بعض منه ، ويجوز اخلاء الارض منهم أولا فأولا إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد ، فاذا انقرضوا جاء أمر الله انتهى ملخصاً مع زيادة فيه قاله الحافظ . قال المصنف وفيه الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية

قوله « حتى يأتي أمر الله » الظاهر أن المراد به ماروي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا شرار

الناس وقوله : تبارك وتعالى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : البركة هى فعلة والفعل منها بارك ويتعدى بنفسه تارة وبإداة على تارة ، وبإداة في تارة ، والمفعول منها مبارك وهو ماجعل منها كذلك فكان مباركا بجعله تعالى (والنوع الثاني) بركة تضاف اليه إضافة الرحمة والعزة والفعل منها تبارك ، ولهذا لا يقال لغيره ذلك ولا يصح إلا له عز وجل فهو سبحانه المتبارك وعبده ورسوله المبارك ، وأما صفته تبارك فمختصة به كما أطلقها على نفسه في قوله (تبارك الله رب العالمين * تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لاتطلق على غيره ، وجاءت على بناء السعة والمبالغة كتعالى وتعاظم ونحوه فجاء بناء تبارك على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته ، فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها ، وهذا معنى قول من قال من السلف تبارك تعاظم . وقال ابن عباس جاء بكل بركة

قوله ﴿ باب ماجاء في السحر ﴾ (ص ٣٥)

ـ أي والكهانة ـ السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه ، ولهذا جاء في الحديث « إن من البيان لسحراً » وهذا من التشبيه البليغ شبهه بالسحر لكونه بالبيان يحصل منه مايحصل من السحر . قال أبو محمد المقدسي في الكافي : السحر عزائم ورقى ، ومنه مايؤثر في القلوب والابدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ، قال تعالى (فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه) وقال (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي ينفثن في سحرهن ، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه ،

واختلفوا هل يكفر الساحر أو لا ؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد ، قال أصحابه إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر

ومما يدل على أنه كفر قوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) وقال عمر في قوله تعالى (يؤمنون بالجبت والطاغوت) الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان ، وتقدم كلام ابن القيم رحمه الله تعالى في حد الطاغوت وأن له أفراداً منها عبادة غير الله فالمعبود طاغوت كما دلت عليه الآيات ، ومنهم الكهان ومن يحكم بغير الحق أو يأمر بما يخالف الحق ، أو يرضى به وغير ذلك

قوله ﴿ الطواغيت كهان ﴾ (١) أراد أن الكهان من الطواغيت . قوله ﴿ كان ينزل عليهم الشيطان ﴾ أراد الجنس لا الشيطان الذي هو ابليس خاصة بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقونه من السمع فيصدقون مرة ، ويكذبون مائة . قوله ﴿ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا يارسول الله وما هن ؟ قال « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ﴾

كذا أورده المصنف رحمه الله تعالى غير معزو ، وقد رواه البخاري ومسلم . «اجتنبوا» أي ابعدوا وهو أبلغ من قوله دعوا أو اتركوا لان النهي عن القربان أبلغ كقوله تعالى (ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن)

(١) بدأ الشارح تعليقه بالكلام على هذه الجملة التي نقلها المصنف عن جابر وترك الكلام على الايتين واثر عمر بعدهما وقبله كلمة جابر

قوله « الموبقات » بموحدة وقاف أي المهلكات ، وسميت هذه موبقات لانها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات ، وفي الآخرة في العذاب ، وفي حديث ابن عمير عند البخاري في الادب المفرد مرفوعا . قال «الكبائر تسع » وذكر السبعة المذكورة «والالحاد في الحرم وعقوق الوالدين »

قوله ﴿ قال الشرك بالله هو أن يجعل لله نداً يدعوه أو يرجوه كما يرجو الله ﴾ قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى

والشرك فاحذره فشركٌ ظاهر * ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا * كان من حجر ومن انسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه * ويحبه كمحبة الديان

وبدأ به لانه أعظم ذنب عصي الله به كما قال تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) والسحر تقدم تعريفه

قوله « وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق » أي نفس المسلم المعصوم وقتل المعاهد كما في الحديث «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة» وذهب ابن عباس وأبو هريرة الى أنه لا توبة لمن قتل مؤمنا متعمداً ، وذهب جمهور الامة سلفا وخلفا الى ان القاتل له توبة فيما بينه وبين الله فان تاب وأناب وعمل صالحا بدل الله سيئاته حسنات كما قال تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما) الى قوله (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما) قوله « وأكل الربا » أي تناوله باي وجه كما قال تعالى (الذين يأكلون

الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)الآيات .
قال ابن دقيق العيد وهو مجرب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون)وفي الحديث« الربا نيف وسبعون حوبا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه »قوله « وأكل مال اليتيم » يعني التعدي فيه وعبر بالاكل لانه أعم وجوه الانتفاع كما قال تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا) قوله « والتولي يوم الزحف» أي الادبار عن الكفار وقت التحام القتال كما قال تعالى(ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) قوله « وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » هو بفتح الصاد المحفوظات من الزنا ، وبكسرها الحافظات فروجهن منه ، والمراد الحرائر العفيفات . قال تعالى (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة) الآية

قوله ﴿ وعن جندب مرفوعا« حد الساحر ضربه بالسيف » رواه الترمذي وقال الصحيح انه موقوف ﴾ قوله «عن جندب» رواه الطبراني في ترجمة جندب بن عبدالله البجلي قال الحافظ والصواب انه غيره وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير: انه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره . قوله « حد الساحر ضربه بالسيف » روي بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح ، وبهذا الحديث أخذ احمد ومالك وأبو حنيفة فقالوا يقتل الساحر وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبدالله

وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز ، ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر إلا ان عمل في سحر ما يبلغ الكفر به . قال ابن المنذر وهو رواية عن احمد والاول أولى للحديث والاثر عن عمر ، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير

قوله ﴿ في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر أن اقتلوا كل ساحر وساحرة فقتلنا ثلاث سواحر ﴾

هذا الاثر رواه البخاري كما قال المصنف لكن لم يذكر قتل السواحر. قوله «عن بجالة» بفتح الموحدة بعدها جيم « ابن عبدة» بفتحتين التميمي العنبري بصري ثقة قوله : كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. وظاهره أنه يقتل من غير استتابة وهو كذلك على المشهور عن احمد، وبه قال مالك لان علم السحر لا يزول بالتوبة ، وعن احمد يستتاب فان تاب قبلت توبته ، وبه قال الشافعي لان ذنبه لا يزيد على الشرك والمشرك يستتاب وتقبل توبته ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم

قوله ﴿ وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت ﴾ هذا الاثر رواه مالك في الموطأ وحفصة هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس بن حذافة وماتت سنة خمس وأربعين . قوله ﴿ وكذا صح عن جندب ﴾ اشار المصنف بهذا إلى قتل الساحر كما رواه البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي قال كان عند الوليد رجل يلعب فذبح انسانا وأبان رأسه فعجبنا فاعاد رأسه فجاء جندب الازدي فقتله ورواه البيهقي في الدلائل مطولا وفيه فامر به الوليد فسجن فذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة . قوله ﴿ قال احمد

عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ احمد هو الامام احمد بن حنبل أي صح قتل الساحر عن ثلاثة

قوله ﴿ باب بيان شيء من أنواع السحر قال احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن حيان بن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه انه سمع النبي ﷺ يقول « ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت » قال عوف : العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط بالارض والجبت، قال الحسن رنة الشيطان (١) ولأبي داود (٢) وابن حبان في صحيحه المسند منه﴾ ص٣٦ قوله : المسند منه لم يذكروا قول عوف. قوله: قال احمد هو الامام احمد بن محمد بن حنبل، ومحمد هو ابن جعفر المشهور بغندر الهذلي البصري ثقة مشهور مات سنة ست ومائتين وعوف هو ابن أبي جميلة بفتح الجيم العبدي البصري المعروف بعوف الاعرابي ثقة مات سنة ست أو سبع وأربعين وله ست وثمانون سنة وحيان بن العلاء بالتحتية ويقال حيان بن مخارق أو العلاء البصري مقبول وقطن بفتحتين أبو سهلة البصري صدوق . قوله عن أبيه هو قبيصة بفتح أوله ابن مخارق بضم الميم أبو عبد الله الهلالي صحابي نزل البصرة

قوله « ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت » قال عوف العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط بالارض والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها وهو من عادة العرب وكثير في أشعارهم يقال عاف يعيف اذا زجر وحدس وظن . قوله «والطرق» الخط يخط بالارض هكذا فسره عوف

(١) في الاصل زيادة : إسناده جيد . وهو ص ٣٦
(٢) في نسخا زيادة :والنسائي

وهو كذلك ، قال أبو السعادات هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء

قوله ﴿ من الجبت ﴾ أي السحر قوله : قال الحسن رنة الشيطان

(قلت) ذكر ابراهيم بن محمد بن مفلح أن في تفسير بقي بن مخلد أن ابليس رنّ أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين أهبط ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب ، وروى الحافظ الضياء في المختارة الرنين الصوت ، وقد رن يرن رنينا وبهذا يظهر معنى قول الحسن رضي الله عنه

قوله ﴿ وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » رواه أبوداود باسناد صحيح ﴾ وكذا صححه النووي والذهبي ورواه احمد وابن ماجه

قوله « من اقتبس » قال أبو السعادات قبست العلم وأقبست اذا علمته انتهى قوله « شعبة » أي طائفة ومنه الحديث «الحياء شعبة من الايمان» أي جزء منه . قوله «فقد اقتبس شعبة من السحر المحرم تعليمه» قال شيخ الاسلام فقد صرح رسول الله ﷺ بان علم النجوم من السحر ، وقد قال تعالى (ولا يفلح الساحر حيث أتى) قوله « زاد ما زاد » أي كلما زاد من تعلم النجوم زاد في السحر وفي الاثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه فان ما يعتقدونه في النجوم من التأثير باطل كما ان تأثير السحر باطل والله أعلم

قوله ﴿وللنسائي من حديث أبي هريرة « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئا وكل اليه ﴾ هذا الحديث ذكره المصنف رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة وعزاه للنسائي ، وقد رواه النسائي مرفوعا وحسنه ابن مفلح.

قوله : وللنسائي .هو لامام الحافظ احمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن صاحب السنن الكبرى والمجتبى وغيرهما روى عن محمد بن المثنى وابن بشار وقتيبة وخلق وكان اليه المنتهى في العلم بعلل الحديث مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وله ثمانون سنة

قوله « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر » قال تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك والنفث هو دون التفل قوله « ومن تعلق شيئا وكل اليه » أي من علق قلبه بشيء بحيث يرجوه ويخافه وكله الله إلى ذلك الشيء ، ومن قصر تعلقه على الله وحده كفاه ووقاه كما قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) ومن تعلق قلبه بغير الله في رجاء نفع أو دفع ضر فقد أشرك

قوله ﴿ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ألا هل أنبئكم ما العضه ؟ هى النميمة القالة بين الناس » رواه مسلم ﴾

قوله « ألا أنبئكم ما العضه ؟ » بفتح المهملة وسكون المعجمة ثم فسرها بقوله « هي النميمة القالة بين الناس » فاطلق عليها العضه لان النمام يعمل عمل الساحر ، وذكر ابن عبدالبر عن يحيى بن أبي كثير قال : يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة ، وقال أبو الخطاب في عيون المسائل : ومن السحر السعي بالنميمة والافساد بين الناس ، قال ابن حزم واتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة وفيه دليل على أنها من الكبائر قوله «القالة بين الناس » ومنه الحديث « ففشت القالة بين الناس » أى كثرة القول وإيقاع الخصومة

قوله «ولهما عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال «ان من البيان لسحرا» البيان الفصاحة والبلاغة . قال ابن عبد البر تأوله طائفة على الذم لان السحر مذموم وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الادب إلى أنه على المدح لان الله تعالى مدح البيان . قال وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسئلة فأعجبه قوله : هذا والله السحر الحلال انتهى والاول أصح والمراد به البيان الذى فيه تمويه على السامع وتلبيس كما قال بعضهم

في زخرف القول تزيين لباطله ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

مأخوذ من قول الآخر

تقول هذا مجاج النحل تمدحه ... وان تشا قلت ذا قيء الزنابير

مدحا وذما وماجاوزت وصفهما ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

قوله « إن من البيان لسحراً » هذا من التشبيه البليغ لكون ذلك يعمل عمل السحر فيجعل الحق في قالب الباطل ، والباطل في قالب الحق فيستميل به قلوب الجهال حتى يقبل الباطل وينكر الحق . وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ، ويبطل الباطل ويبينه ، فهذا هو الممدوح ، وهكذا حال الرسل واتباعهم ولهذا علت مراتبهم في الفضائل وعظمت حسناتهم

قوله ﴿ باب ما جاء في الكهان ونحوهم ﴾ (ص٣٧)

الكاهن هو الذى يأخذ عن مسترق السمع وكانوا قبل المبعث كثيراً وأما بعد المبعث فانهم قلوا لان الله حرس السماء بالشهب وأكثر مايقع في هذه الامة مايخبر به الجن مواليهم من الانس عن الاشياء الغائبة

مما يقع في الارض من الاخبار فيظنه الجاهل كشفا وكرامة وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن وليا لله وهو من أولياء الشيطان كما قال تعالى (ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا . قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله) الآية

قوله ﴿ روي مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال « من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما » ﴾ قوله عن بعض أزواج النبي ﷺ هي حفصة ذكره أبو مسعود الثقفي لانه ذكر هذا الحديث في الاطراف في مسندها قال البغوي العراف الذي يدعي معرفة الامور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل هو الكاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل الذي يخبر عما في الضمير وقال شيخ الاسلام العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم وقال أيضا والمنجم يدخل في اسم العراف وقال ابن القيم من اشتهر باحسان الزجر عندهم سموه عائفا وعرافا . قوله « لم تقبل له صلاة أربعين يوما » قال النووي وغيره مامعناه أنه لاثواب له فيها وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث فان العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف اعادة صلاة أربعين ليلة انتهى ملخصا

قوله ﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ﷺ رواه أبو داود وفي رواية لأبي داود « أو امرأته » قال مسدد امرأته حائضا « او أتى

امرأة » قال مسدد امرأته «في دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد ﷺ »

قوله ﴿ وللاربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن

«من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »

هكذا بيض المصنف لاسم الراوي وقد رواه احمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا . قوله « من أتى كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » قال القرطبي المراد بالمنزل الكتاب والسنة

قوله ﴿ ولابي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله مرفوعا ﴾ أبو يعلى اسمه احمد بن علي بن المثنى الموصلي الامام صاحب التصانيف كالمسند وغيره روى عن يحيى بن معين وأبي خيثمة وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق وكان من الأئمة الحفاظ مات سنة سبع وثلثمائة وهذا الاثر رواه البزار أيضا ولفظه« من أتى كاهنا أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ﷺ وفي هذه الاحاديث التصريح بكفره

قوله ﴿ وعن عمران بن حصين مرفوعا «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ﷺ رواه البزار باسناد جيد من حديث ابن عباس دون قوله ومن أتى الى آخره ﴾

قوله « ليس منا دليل » على نفي الايمان الواجب وهو لا ينافي ما تقدم من أن الطير شرك والكهانة كفر قوله « رواه البزار » هو احمد بن عمر وابن عبد الخالق أبو بكر البزاز البصري صاحب المسند الكبير روي عن ابن بشار وابن المثني وخلق مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين . قوله « قال ابن عباس في قوم يكتبون أباجاد وينظرون في النجوم ما أرى من

فعل ذلك له عند الله من خلاق » هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا واسناده ضعيف . قوله « ما أري » يجوز فتح الهمزة بمعنى لا أعلم ويجوز ضمها بمعنى لا أظن وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب هو الذي يسمى علم الحروف وهو الذي فيه الوعيد وأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل فلا بأس به

قوله ﴿ وينظرون في النجوم ﴾ أي ويعتقدون أن لها تأثيراً في باب التنجيم وفيه الحذر من كل علم لا تعلم صحته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد ورد النهي عنها والتحذير من قرب أهلها وسؤالهم وتصديقهم فيما أخبروا به من باطلهم فما أكثر من يغتر بهذه الامور

قوله ﴿ باب ماجاء في النشرة ﴾ (ص٣٨)

بضم النون كما في القاموس قال أبو السعادات النشرة ضرب من العلاج والرقية يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن سميت نشرة لانه ينشر بها عنه ما خامره من الداء أي يكشف ويزال قال ابن الجوزي النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه الا من يعرف السحر

قوله ﴿ عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال « هي من عمل الشيطان » رواه احمد بسند جيد وأبو داود وقال سئل احمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله ﴾

هذا الحديث رواه احمد ورواه عنه أبو داود في سننه وحسن الحافظ اسناده. قوله : سئل عن النشرة. الالف واللام في النشرة للعهد أي النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها هي من عمل الشيطان

قوله ﴿ وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب رجل به طب

يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال لا بأس به انما يريدون به الاصلاح فاما ماينفع فلم ينه عنه ﴾

• قوله : عن قتادة . هو ابن دعامة بكسر الدال الدوسي ثقة فقيه حافظ من أحفظ التابعين وأئمة التفسير قالوا إنه ولد أكمه مات سنة بضع عشرة ومائة

قوله : رجل به طب . بكسر الطاء أي سحر يقال طب الرجل بالضم اذا سحر

قوله «يؤخذ» بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة أي يحبس عن امرأته لا يصل الى جماعها والأخذة بضم الهمزة الكلام الذي قاله الساحر قوله «أيحل» بضم الياء وفتح الحاء مبني للمفعول قوله « أو ينشر » بتشديد المعجمة قوله « لا بأس به » يعني أن النشرة لا بأس بها لأنهم يريدون بها الاصلاح وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم أنه سحر

قوله ﴿ وروي عن الحسن أنه قال لا يحل السحر إلا ساحر ﴾

هذا الاثر ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد والحسن هو ابن أبي الحسن واسمه سيار بالتحتية والمهملة البصري الانصاري مولاهم ثقة فقيه امام من خيار التابعين مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين

قوله ﴿ قال ابن القيم : النشرة حل السحر عن المسحور ﴾ وهي نوعان حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان وعليه يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور (والثاني) النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والادوية المباحة فهذا جائز

ومما جاء في صفة النشرة الجائزة ما روى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث ابن أبي سليم قال : بلغني أن هؤلاء الايات شفاء من السحر باذن

الله تعالى تقرأ في اناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور : الآية التي في سورة يونس (ماجئتم به السحر إن الله سيبطله ان الله لايصلح عمل المفسدين — الى قوله — ولو كره المجرمون) وقوله (فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون) الى آخر الآيات الاربع .وقوله (انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقال ابن بطال : في كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به يذهب عنه كل مابه وهو جيد للرجل اذا حبس عن أهله

قوله ﴿ باب ماجاء في التطير ﴾

أي من النهي عنه والوعيد ، والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن اسم مصدر من تطير طيرة وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظبا وغيرهما ، وكان ذلك التطير يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله وأخبر أنه لاتأثير له في جلب نفع ودفع ضر . قال المدائني سألت رؤبة بن العجاج قلت ماالسانح ؟ قال ماولاك ميامنه ، قلت فما البارح ؟ قال ماولاك مياسره ، والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح ، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد

قوله ﴿ وقول الله تعالى (ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ وذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه) أي نحن الجديرون والحقيقون به ونحن أهله (وإن تصبهم سيئة) أي بلاء وقحط يطيروا بموسى ومن معه فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم فقال تعالى (ألا انما طائرهم عند الله)

قال ابن عباس طائرهم ماقضي عليهم وقدر لهم . وفي رواية شؤمهم عند الله ومن قبله ، أي انما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله

قوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي ان أكثرهم جهال لا يدرون ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبع قوله

وقوله ﴿ قالوا طائركم معكم الآية ﴾ المعنى حظكم وما نالكم من شر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين ليس هو من أجلنا ولا بسببنا بل بيفيكم وعدوانكم فطائر الباغي الظالم معه فما وقع به من الشرور فهو سببه الجالب له ، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله

وقوله (أئن ذكرتم) أي من أجل انا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام (بل أنتم قوم مسرفون)

قوله ﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » أخرجاه زاد مسلم « ولا نوء ولا غول ﴾

قال أبو السعادات العدوى اسم من الاعداء كالدعوى يقال أعداه الداء يعديه اعداء اذا أصابه مثل مابصاحب الداء

قوله (ولا طيرة) قال ابن القيم يحتمل أن يكون نفياً أو نهياً أي لاتطيروا ، ولكن قوله في الحديث « ولا عدوى ولا صفر ولا هامة » يدل على أن المراد النفي وابطال هذه الامور التي كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا أبلغ من النهي لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي انما يدل على المنع منه

قال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح ، فقال رجل

من القوم خير خير ، فقال له ابن عباس لاخير ولا شر فبادره بالانكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر ، وخرج طاوس مع صاحب له في سفر فصاح غراب فقال الرجل خير ، فقال طاوس وأي خير عند هذا لاتصحبني . انتهى ملخصا

قوله « ولا هامة » بتخفيف الميم على الصحيح . قال الفراء : الهامة طير من طير الليل كان يعني البومة . قال ابن الاعرابي : كانوا يتشاءمون بها اذا وقعت على بيت أحدهم يقول نعت إلى نفسي أو أحداً من أهل داري فجاء الحديث بنفي ذلك وابطاله

قوله « ولا صفر » بفتح الفاء ، روى أبو عبيد في غريب الحديث عن رؤبة أنه قال هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس وهي أعدى من الجرب عند العرب ، وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى ، وممن قال بهذا سفيان بن عيينة والامام أحمد والبخاري وابن جرير وقال : المراد به شهر صفر والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه ، وهذا قول مالك

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول : ان أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر ويقولون انه شهر مشؤم فأبطل ذلك النبي ﷺ ، قال ابن رجب ولعل هذا أشبه الاقوال والتشاؤم بصفر كتشاؤم أهل الجاهلية بشوال بالنكاح فيه خاصة

قوله « ولا نوء » سيأتي الكلام عليه في بابه . قوله « ولا غول » هو بالضم اسم وجمعه أغوال وغيلان وهو المراد هنا ، والمعنى بقوله « لا غول » انها لا تستطيع أن تضل أحداً مع ذكر الله والتوكل عليه

ومنه الحديث « إذا تغولت الغيلان فبادروا بالاذان » أي ادفعوا شرها بذكر الله تعالى

قوله ﴿ ولهما عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل » قالوا وما الفأل ؟ . قال « الكلمة الطيبة » ﴾

قال أبو السعادات: الفأل مهموز فيما يسر ويسوء ، والطيرة لا تستعمل إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر

قوله « قالوا وما الفأل ؟ » قال « الكلمة الطيبة » بين ﷺ أن الفأل يعجبه فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها . قال ابن القيم : ليس الاعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك بل ذلك ابانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الانسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها ، والله تعالى جعل في غرائز الناس من الاعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم اليه ، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك . فاذا سمعت الاسماع أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فاحزنتها واثار ذلك لها خوفا وتطيراً وانكماشاً وانقباضاً عما قصدته وعزمت عليه فاورث لها ضراراً في الدنيا ونقصاً في الايمان ومقارفة للشرك

قوله ﴿ ولابي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال « أحسنها الفأل ولا ترد مسلما فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يدفع السيئات الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك » ﴾

قوله « عن عقبة بن عامر » هكذا وقع في نسخ التوحيد وصوابه عن عروة بن عامر القرشي كذا أخرجه احمد وأبو داود وغيرهما وهو مكي اختلف في نسبه فقال احمد عن عروة بن عامر القرشي ، وقال غيره الجهني واختلف في صحبته فقال الماوردي له صحبة وذكره ابن حبان في ثقات التابعين ، وقال المزي : لا صحبة له تصح ، قال ابن القيم : أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر

قوله « ولا ترد مسلما » قال الطيبي : تعريض بان الكافر بخلافه قوله « اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بك » أي لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات ، والحسنات هنا النعم والسيئات المصائب ففيه نفي تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر ، وهذا هو التوحيد وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة وتصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضراً ويعد من اعتقدها سفيهاً مشركاً .

قوله « ولا حول ولا قوة الا بك » والحول التحول والانتقال من حال الى حال والقوة على ذلك بالله وحده ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته ، وهذا هو التوحيد في الربوبية وهو الدليل على توحيد الالهية الذي هو افراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة وهو توحيد القصد والارادة وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله

قوله ﴿ وعن ابن مسعود مرفوعا : الطيرة شرك . الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود ولفظ أبي داود « الطيرة شرك » ثلاثا ﴾ وهذا صريح في تحريم الطيرة وانها من الشرك لما فيها من تعلق القلب بغير الله ، قال ابن مفلح : الاولى القطع بتحريمها لانها شرك وكيف يكون الشرك مكروها الكراهة الاصطلاحية

قوله « وما منا الا » قال أبو القاسم الاصبهاني والمنذري في الحديث اضمار التقدير وما منا الا وقد وقع قلبه في شيء من ذلك انتهى

قوله « ولكن الله يذهبه بالتوكل » لكن اذا توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله تعالى عنا بتوكلنا عليه وحده

قوله «وجعل آخره من قول ابن مسعود » قال ابن القيم وهو الصواب فان الطيرة نوع من الشرك

قوله ﴿ ولاحمد من حديث ابن عمرو « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » قالوا فما كفارة ذلك ؟ . قال « أن تقول اللهم لا خير الا خيرك ، ولا طير الا طيرك ، ولا اله غيرك » ﴾ هذا الحديث رواه احمد والطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وفي اسناده ابن لهيعة وبقية رجاله ثقات . قوله : من حديث ابن عمرو . هو عبد الله بن عمرو بن العاص ابن وائل السهمي أبو محمد ، وقيل أبو عبد الرحمن أحد السابقين المكثرين من الصحابة واحد العبادلة الفقهاء مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الصحيح بالطائف . قوله : من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك . وذلك ان الطيرة هي التشاؤم بالمرئي والمسموع ، فاذا ردته عن سفر أو

عمل أو حاجة فقد أشرك بما يخامر قلبه من الخوف من ذلك فيكون شركا بهذا الاعتبار . قوله : قالوا فما كفارة ذلك ؟ . قال «أن تقول اللهم لا خير الا خيرك » الخ فيه تفويض الامور الى الله تقديراً وتدبيراً وخلقا والبراءة مما فيه تعلق بغير الله تعالى كائنا من كان

قوله « ولا إله غيرك » أى لا معبود مستحق سواك . فاذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت اليه واستمر على فعل ما عزم عليه توكلا على الله وتفويضاً اليه ، كفر الله عنه ما وقع في قلبه من ذلك

قوله ﴿ وله من حديث الفضل بن العباس « انما الطيرة ما أمضاك أوردك » هذا الحديث عند الامام احمد من حديث الفضل بن العباس قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فساقه إلى أن قال « انما الطيرة ما أمضاك أوردك » والفضل هو ابن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ قال ابن معين قتل يوم اليرموك وقال غيره قتل يوم مرج الصُّفَّر سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وقال أبو داود قتل بدمشق كان عليه درع النبي ﷺ . قوله « انما الطيرة ما أمضاك أوردك » هذا حد الطيرة المنهي عنها انها ما يحمل الانسان على المضي فيما أراد ، أو يمنعه من المضي فيه كذلك ، وأما الفأل الذى كان يحبه ﷺ فيه نوع بشارة فيسر به العبد ولا يعتمد عليه ، بخلاف الطيرة فافهم الفرق

قوله ﴿ باب ما جاء في التنجيم ﴾ قال شيخ الاسلام : هو الاستدلال بالاحوال الفلكية ، على الحوادث الارضية . وقال الخطابي علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الاسعار وما

في معناها من الامور التي يزعمون انها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها يدعون أن لها تأثيراً في السفليات ، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به فلا يعلم الغيب سواه

قوله ﴿ قال البخاري في صحيحه قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به ﴾ انتهى

هذا الاثر علقه البخاري في صحيحه وأخرجه عبد الرازق وعبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم وأخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة بلفظ أطول من هذا ، وقول قتادة رحمه الله تعالى يدل على أن علم التنجيم هذا قد حدث في عصره فأوجب له انكاره على من اعتقده وتعلق به ، وهذا العلم مما ينافي التوحيد ويوقع في الشرك لانه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو سبحانه بمشيئته وارادته كما قال تعالى (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض؟) وقال (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون)

قوله : خلق الله هذه النجوم لثلاث . قال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) وفيه اشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « أما السماء الدنيا فان الله خلقها من دخان وجعل فيها سراجا وقمراً منيراً وزينها بمصابيح ، وجعلها رجوما للشياطين ، وحفظا من كل شيطان رجيم » قوله « وعلامات » أي دلالات على الجهات يهتدى بها ، أي يهتدي بها الناس في ذلك كما قال تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم

لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) أي ليعرفوا بها جهة قصدهم ، فان قيل المنجم قد يصدق قيل صدقه كصدق الكاهن يصدق في كلمة ويكذب في مائة وصدقه ليس عن علم ، بل قد يوافق قدراً فيكون فتنة في حق من صدّقه

قوله ﴿ وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص فيه ابن عيينة ﴾ ذكره حرب عنهما ورخص في تعلم المنازل احمد واسحاق . قال الخطابي: أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فانه غير داخل فيما نهي عنه ، وذلك أن معرفة هذا العلم يصح علمه بالمشاهدة

وأما مايستدل به من النجوم على جهة القبلة فانها من الكواكب رصدها أهل الخبرة بها الذين لانشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة ويشاهدها على حال الغيبة عنها فكان ادراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وادراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم ، ولا مقصرين في معرفتهم انتهى وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل من النجوم مايهتدي به . قال ابن رجب : والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير فانه باطل محرم قليله وكثيره . اما علم التسيير فيتعلم منه مايحتاج اليه للاهتداء، ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور

قوله « ذكره حرب عنهما » هو الامام الحافظ حرب بن اسماعيل أبو محمد الكرماني الفقيه من أجلة أصحاب الامام أحمد ، روى عن احمد واسحاق وابن المديني وابن معين وغيرهم وله كتاب المسائل التي سأل عنها الامام احمد وغيره مات سنة ثمانين ومائتين ، وأما اسحاق فهو ابن ابراهيم

ابن مخلد بن يعقوب الحنظلي النيسابوري الامام المعروف بابن راهويه ، روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم . قال أحمد: اسحاق عندنا من أئمة المسلمين ، روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم وروى هو أيضاً عن أحمد مات سنة تسع وثلاثين ومائتين

قوله ﴿ وعن أبي موسى قال، : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر ، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر » رواه أحمد وابن حبان في صحيحه » هذا الحديث رواه أيضا الطبراني والحاكم وقال صحيح وأقره الذهبي

قوله : عن أبي موسى . هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بفتح المهملة وتشديد الضاد . أبو موسى الاشعري صحابي جليل مات سنة خمسين

قوله « ثلاثة لا يدخلون الجنة : الشاهد للترجمة « ومصدق بالسحر » وفي هذا الحديث كما تقدم في نظائره كقوله « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » واختار الامام أحمد رحمه الله تعالى أن مثل هذه الاحاديث تمر كما جاءت من غير تأويل . قال الذهبي في الكبائر : ويدخل فيه تعلم السيمياء وعلمها ، وعقد المرء من زوجته، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه وأشباه ذلك بكلمات مجهولة انتهى باختصار

قوله ﴿ باب ما جاء في الاستسقاء بالانواء وقول الله تعالى (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) أي من الوعيد والمراد نسبة السقي ومجيء المطر إلى الانواء جمع نوء وهي منازل القمر . قال أبو السعادات : وهي ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها كما قال تعالى (والقمر قدرناه منازل) يسقط في المغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة له مع طلوع الفجر وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون

مطر وينسبونه إلى النجم الساقط ويقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، وانما سمي نوءاً لأنه اذا سقط منها الساقط ناء الطالع بالمشرق أي نهض وطلع

قوله تعالى (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) الآية، روى الامام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (وتجعلون رزقكم) يقول شكركم (انكم تكذبون) تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا» روي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين وبه يظهر وجه استدلال المصنف رحمه الله تعالى بالآية وقال ابن القيم أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذى به حياتكم التكذيب به يعني القرآن. قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن انكم تكذبون قال وخسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب

قوله ﴿عن أبي مالك الاشعري أن رسول الله ﷺ قال «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالاحساب، والطعن في الانساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال «النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» رواه مسلم﴾ أبو مالك اسمه الحارث الشامي صحابي تفرد عنه بالرواية أبو سلام وفي الصحابة أبو مالك الاشعرى اثنان غير هذا

قوله «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن» ستفعلها هذه الامة إما مع العلم بتحريمها أو مع الجهل بذلك مع كونها من أعمال الجاهلية. يدل على أنه يجب على كل مسلم أن يجتنبها، والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث وفاعلها آثم يجب أن ينهى عنها، ومتى وجد الشرك

وجدت هذه الامور المنكرة وغيرها من المنكرات

قال شيخ الاسلام : أخبر أن بعض أمر الجاهليـة لا يتركه الناس كلهم ذما لمن لم يتركه ، وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الاسلام وإلا لم يكن في اضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ، ومعلوم أن اضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا كقوله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهليـة الاولى) فان في ذلك ذما للتبرج ،وذما لحال أهل الجاهلية الاولى ، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة . قوله « والفخر بالاحساب » أي التعاظم على الناس بالآباء وما آثرهم وذلك جهل عظيم إذ لا كرم إلا بالتقوى كما قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ولأبي داود عن أبي هريرة مرفوعا « إن الله قد أذهب عنكم عبيّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، انما هو مؤمن تقي ، أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ، ليدعنّ رجال فخرهم بأقوام انما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » الحديث

قوله . « والطعن في الانساب » أي الوقوع فيها بالعيب والنقص ، ولما عير أبو ذر رجلا بأمه قال النبي ﷺ « أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية » متفق عليه . فدل على أن الطعن في الانساب من عمل أهـل الجاهلية ، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ولا يوجب ذلك كفرا ولا فسقه . قاله شيخ الاسلام رحمه الله تعالى

قوله « والاستسقاء بالنجوم » تقدم معناه ، فاذا قال قائلهم مطرنا

بنجم كذا وبنوء كذا فلا يخلو ، إما أن يعتقد أن له تأثيراً في نزول المطر فهذا شرك وكفر لنسبة المطر لغير من أنزله وهو الله وحده ، وإما مع اطلاق هذا اللفظ فقد صرح ابن مفلح في الفروع بتحريمه وكذلك صاحب الانصاف ولم يذكرا خلافا . قوله « والنياحة » أى رفع الصوت بالندب على الميت وضرب الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة كما في هذا الحديث . قوله « النائحة اذا لم تتب قبل موتها » فيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب . قوله « تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » السربال واحد السرابيل وهي الثياب والقمص ، هذه سرابيل أهل النار يعني يلطخن بالقطران حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم ، ورائحتهن أنتن ، وروي عن ابن عباس أن القطران هو النحاس المذاب

قوله ﴿ وعن زيد بن خالد قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ﴾ زيد بن خالد الجهني صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين وقيل غير ذلك وله خمس وثمانون سنة .

قوله صلى لنا أى بنا قال الحافظ وفيه إطلاق ذلك مجازاً . قوله بالحديبية بتخفيف يائها وقد تثقل . قوله ﴿ على اثر ﴾ بكسر الهمزة وسكون الثاء المثلثة على المشهور وهو ما يعقب الشيء ، قوله سماء أى مطر . قوله فلما انصرف من صلاته ،

أى إلى المأمومين ، قوله «هل تدرون ؟ لفظ استفهام ومعناه التنبيه ، وفي النسائي «ألم تسمعوا ماقال ربكم الليلة » وفيه إلقاء العالم المسئلة على أصحابه ليختبرهم . قوله قالوا الله ورسوله أعلم ، فيه حسن الادب للمسؤل اذا سئل عما لا يعلم أن يكل العلم إلى عالمه وذلك يجب ، قوله «أصبح من عبادى مؤمن بي » لانه نسب الفعل الى فاعله الذى لا يقدر عليه غيره ، قوله : وكافر ، اذا اعتقد ان للنوء تأثيرا في انزال المطر فهذا كفر لانه شرك في الربوبية والمشرك كافر ، قوله : « فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته » فالفضل والرحمة صفتان لله تعالى (١)

قوله ﴿ولهما من حديث ابن عباس معناه﴾ وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى هذه الاية (فلا أقسم بمواقع النجوم ـ إلى قوله ـ تكذبون) تقدم معناه قريبا

قوله ﴿ باب قول الله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ﴾ ـ ص ٤٢

قال في شرح المنازل : اخبر تعالى ان من احب شيئا من دون الله كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله اندادا فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية فان احدا من اهل الارض لا يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فان أكثر اهل الارض قد اتخذوا من دون الله اندادا في المحبة والتعظيم اه (قلت) وقد وقع الشرك في الربوبية أيضا في كثير من الخاصة والعامة في آخر هذه الامة فاعتقدوا ان لهؤلاء الاموات تصرفا في الكون ونحو ذلك . ﴿ قوله (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم ـ الى قوله ـ

(١) هكذا الاصل لم يتم الكلام فيه

أحب اليكم من الله ورسوله) الآية ﴾ قال ابن كثير ان كانت هذه الاشياء أحب اليكم من الله ورسوله الآية وجهاد في سبيله فتربصوا أى انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه

قوله ﴿ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » أخرجاه ﴾

أى البخاري ومسلم قوله « لا يؤمن » أى الايمان الواجب والمراد كماله حتى يكون الرسول ﷺ احب الى العبد من ولده ووالده والناس اجمعين . وذلك يقتضي تعظيم امره ونهيه واتباعه في ذلك دون من سواه ، ومن كان كذلك فقد احب الله كما في آية المحبة

قوله ﴿ ولهما عنه ﴾ اي البخارى ومسلم عن انس قال قال رسول الله ﷺ « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار » ﴾

قوله (ثلاث) اى خصال ، قال شيخ الاسلام اخبر النبي ﷺ ان هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان لان وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له ، فمن احب شيئا واشتهاه اذا حصل له مراده فانه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة امر يحصل عقيب ادراك الملائم الذى هو المحبوب او المشتهى ، قال فحلاوة الايمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة امور تكميل هذه المحبة وتفريغها ودفع ضدها ، فتكميلها ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فان محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب بل لابد ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما

(قلت) ومن لازم محبة الله محبة أنبيائه ورسله وملائكته وكتبه والصالحين من عباده ، وكراهة ما يكرهه سبحانه ومعاداة أعدائه، وموالاة أوليائه ، فلا يحصل كمال محبة الله الواجبة الا بكمال ذلك وايثاره على ما تهواه النفوس مما يخالف ذلك . قوله «أحب اليه مما سواهما» ثنى الضمير هنا لتلازم المحبتين والله أعلم : قوله « كما يكره ان يقذف في النار »أى يستوى عنده الامران . قوله : وفي رواية « لايجد » هي عند البخارى في الادب المفرد ولفظه « لايجد احد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لايحبه الا لله، وحتى أن يقذف في النار أحب اليه من أن يرجع الى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وحتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما »

قوله ﴿وعن ابن عباس قال: من أحب في الله وأبغض في الله وعادى في الله ووالى في الله فانما تنال ولاية الله بذلك . ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مواخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لايجدي على أهله شيئا . رواه ابن جرير﴾

قوله: من أحب في الله . اى أحب اهل الايمان بالله وطاعته من أجل ذلك.قوله : وأبغض في الله . أى أبغض من كفر بالله وأشرك به وعصاه لارتكابه ما يسخط الله وان كان أقرب الناس اليه كما قال تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم)قوله : ووالى في الله . بالمحبة والنصرة بحسب القدرة . قوله : وعادى في الله . من كان عدو الله ممن أشرك وكفر وظاهر بالمعاصي فتجب عداوته بما يقدر عليه. قوله:وانما تنال ولاية الله بذلك. أى توليه لعبده وولاية بفتح الواو وفي الحديث

« أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله عز وجل » رواه الطبراني قوله : ولن يجد عبد طعم الايمان ـ الى آخره ـ أي لا يحصل له ذوق الايمان وبهجته ولذته وسروره والفرح به وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك . قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قوله: وقد صارت عامة مواخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدى على أهله شيئا . يعني أنه اذا ضعف داعي الايمان أحب دنياه واحب لها وواخى لاجلها ، وهذا هو الغالب على أكثر الخلق محبة دنياهم وايثار ما يهوونه على ما يحبه الله ورسوله وذلك لا يجدي على أهله شيئا بل يضر في العاجل والآجل فالله المستعان . قوله ﴿وقال ابن عباس في قوله (وتقطعت بهم الاسباب) قال المودة أي التي كانت بينهم خانتهم احوج ما كانوا اليها قال تعالى (انما تعبدون من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) الآية

قوله ﴿باب قول الله تعالى إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ﴾ ـ ص ٤٣

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين جنده وأولياءه لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف ولا ينهوهم عن منكر ، واخبر تعالى ان هذا من كيد الشيطان وتخويفه ، ونهانا ان نخافهم قال: والمعنى عند جميع المفسرين يخوفهم بأوليائه قال قتادة يعظمهم في صدوركم فكلما قوى إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان ، وكلما ضعف ايمانه قوى خوفه منهم ، فدلت هذه الاية على ان الخلاص من الخوف من كمال شروط الايمان . وسبب نزول الآية مذكور في التفاسير والسير

قوله ﴿ وقول الله تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله) الاية ﴾ اخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها الا اهل الايمان بالله واليوم الاخر الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم واخلصوا له الخشية دون من سواه فلا تكون المساجد عامرة الا بالايمان الذي معظمه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع وذلك كله داخل في مسمى الايمان المطلق عند أهل السنة والجماعة قوله (ولم يخش الا الله) قال ابن عطية : يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة ولا محالة ان الانسان يخشى المحاذير الدنيوية وينبغي ان يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه

(قلت) لان النفع والضر انما يكون بمشيئته وارادته فما شاء كان ومالم يشاء لم يكن ، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : والخوف عبودية القلب فلا يصلح الا لله كالذل والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب .

﴿ قوله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : ان أولئك هم المهتدون ، وكل عسى في القرآن فهي واجبة قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) قال ابن القيم : الناس إذا أرسل اليهم الرسل بين أمرين اما أن يقول أحدهم آمنا ، واما أن لا يقول ذلك بل يستمر على السيئات والكفر ، فمن قال آمنا امتحنه ربه وابتلاه ، والفتنة الابتلاء والاختبار ، ومن لم يقل آمنا فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الايمان لكن المؤمن يحصل له الالم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة

والمعرض عن الايمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير له الالم الدائم والانسان لابد أن يعيش مع الناس ، والناس لهم تصورات وارادات فيطلبون منه أن يوافقهم عليها وان لم يوافقهم آذوه وعذبوه ، وان وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم ـ إلى أن قال ـ فالحزم كل الحزم في الاخذ بما قالت أم المؤمنين لمعاوية : من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً. فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شر نفسه امتنع من الموافقه على فعل المحرم وصبر على عداوتهم. ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة كما كانت للرسل واتباعهم . ثم اخبر تعالى عن حال الداخل في الايمان وانه اذا أوذي في الله جعل فتنة الناس له وهي اذاهم وتيلهم إياه بالمكروه وهو الالم الذي لابد ان ينال الرسل واتباعهم ممن خالفهم ـ جعل ذلك في فراره منه وتركه السبب الذي يناله به كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالايمان، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله الى الايمان وتحملوا ما فيه من الالم الزائل المفارق عن قريب ، وهذا من ضعف بصيرته فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم فقر من ألم عذابهم الى ألم عذاب الله فجعل ألم فتنة عذاب الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله ، وغبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار ، وفر من ألم ساعة الى ألم الابد ، واذا نصر الله جنده وأولياءه قال إني كنت معكم والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق اهـ

قوله ﴿ عن أبي سعيد مرفوعا «إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله ، وان تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهية كاره » ﴾

هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي وأعله بمحمد بن مروان السدي، وقال ضعيف وتمام هذا الحديث « وإنه بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط »

قوله « إن من ضعف اليقين » الضعف يضم ويحرك ضد القوة قال ابن مسعود : اليقين الايمان كله، والصبر نصف الايمان. قوله « أن ترضي الناس بسخط الله » أي أن تؤثر رضاهم على ما يرضي الله وذلك اذا لم يقم بقلبه من إعظام الله واجلاله وهيبته ما يمنعه من ايثار رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرف في القلب. وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك لانه آثر رضى المخلوق على رضى الله، وتقرب اليه بما يسخط الله، ولا يسلم من هذا الا من سلمه الله تعالى. قوله « وأن تحمدهم على رزق الله » أي على ما وصل اليك من أيديهم بان تضيفه اليهم وتحمدهم عليه والله تعالى هو الذي كتبه لك وسيره لك فاذا أراد أمراً قيض له أسبابا. ولا ينافي هذا حديث «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئهم لحديث «من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافئتموه »

قوله « وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله » لانه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم فلو قدر ساقه اليك . فمن علم أن الله وحده هو المتفرد بالعطاء والمنع بمشيئته وارادته وانه الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب لم يسأل حاجته الا من الله وحده ولعل مامنع من ذلك يكون خيراً له، ويحسن الظن بالله سبحانه ولا يرغب الا اليه ولا يخاف

الا من ذنبه وقد قرر هذا المعنى في الحديث بقوله « ان رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا ترده كراهية كاره » وقال شيخ الاسلام اليقين يتضمن القيام بأمر الله تعالى وما وعد الله به أهل طاعته ، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره . فاذا أرضيتهم بسخط الله ولم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقه فانه انما يحمل الانسان على ذلك إماميل الى مافي أيديهم فيترك القيام فيهم بامر الله لما يرجوه منهم ، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والاخرة فانك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم ، وارضاؤهم بما يسخطه انما يكون خوفا منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين ، وأما إذا لم يقدر لك ماتظن أنهم يفعلونه معك فالامر في ذلك الى الله لا لهم فانه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ، فاذا ذممتهم على مالم يقدر لك كان ذلك من ضعف يقينك فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك ، ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود ، ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم ، ودل الحديث على أن الايمان يزيد وينقص ، وأن الاعمال من مسمى الايمان

قوله ﴿ وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط عليه وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان في صحيحه ﴾

قوله « من التمس » أي طلب قال شيخ الاسلام وكتبت عائشة إلى معاوية ويروي أنها رفعته « من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس : ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا » هذا لفظ المرفوع ولفظ الموقوف : من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى

عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذاما . وهذا من أعظم الفقه في الدين فان من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه، وكان عبده الصالح والله يتولى الصالحين، والله كاف عبده (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) والله يكفيه مؤنة الناس بلاريب ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا كالظالم الذي يعض على يديه، وأما كون حامده ينقلب ذاما فهذا يقع كثيرا ويحصل في العاقبة فان العاقبة للتقوى لا تحصل ابتداء عند اهوائهم انتهى

قوله ﴿باب قول الله تعالى (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين)﴾(١)

قال أبو السعادات يقال توكل بالامر إذا ضمن القيام به وأراد المصنف بهذه الترجمة بالاية بيان أن التوكل فريضة يجب اخلاصه لله لانه من أجمع أنواع العبادة الباطنة فان تقديم المعمول يفيد الحصر فلا يحصل كمال التوحيد بانواعه الثلاثة الا بكمال التوكل على الله كما في هذه الاية. قال الامام احمد التوكل عمل القلب

قال ابن القيم في الاية المترجم بها جعل التوكل على الله شرطا في الايمان فدل على انتفاء الايمان عند انتفائه قال شيخ الاسلام وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه الا خاب ظنه فيه فانه شرك (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) اه والتوكل قسمان أحدهما التوكل في الامور التي لا يقدر عليها الا الله كالتوكل على الاموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت فهذا شرك أكبر لا يغفره الله الا بالتوبة منه، وأما التوكل على الاحياء الحاضرين والسلطان ونحوهم فيما أقدرهم الله عليه من رزق

(١) ص ٤٤

أو دفع أذى ونحو ذلك فهو نوع شرك أصغر والمباح ان يوكل شخصا بالنيابة عنه في التصرف فيما له التصرف فيه من أمور دنياه كالبيع والشرى والاجارة والطلاق والعتاق وغير ذلك فهذا جائز بالاجماع لكن لا يقول توكلت عليه بل يقول وكلته فانه لو وكله فلا بد أن يتوكل في ذلك على الله سبحانه .

قوله ﴿ وقول الله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الاية ﴾ قال ابن عباس في الاية : المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون على الله ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فاخبر تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال (انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فأدوا فرائضه ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وقال السدي في قوله (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هو الرجل يريد أن يظلم أو قال يهم بمعصية فيقال له اتق الله فيوجل قلبه رواه ابن أبي شيبة وابن جرير . قوله (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الاية ونظائرها على زيادة الايمان ونقصانه . قوله (وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتمدون عليه ، ويفوضون اليه أمورهم ، فلا يرجون سواه ، ولا يقصدون الا اياه ، وهو من أعظم الاسباب في حصول المطالب الدنيوية والاخروية . وفي الاية وصف المؤمنين حقا بثلاث مقامات من مقامات الاحسان تستلزم حصول أعمال الايمان الواجبة والمستحبة .

قوله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) قال ابن القيم أي الله وحده كافيك وكافي اتباعك فلا تحتاجون معه الى أحد ،

وهذا اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية . قوله ﴿ وقول الله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) قال ابن القيم وغيره أي كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه ، فلا مطمع فيه لعدو ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش ، واما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبدا ، قال بعض السلف جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه ، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته فقال (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه فلم يقل فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الاعمال بل جعل الله سبحانه نفسه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والارض ومن فيهن لجعل له مخرجا وكفاه ونصره انتهى

قوله ﴿ وعن ابن عباس قال (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا) ﴾ الاية رواه البخاري . قوله (حسبنا الله) تقدم معناه . قوله (ونعم الوكيل) أى نعم من توكل عليه المتوكلون ومخصوص «نعم» محذوف تقديره نعم الوكيل الله.

قوله : قالها ابراهيم ﷺ حين القي في النار . قال تعالى (قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين * قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم) الاية

قوله : وقالها محمد ﷺ حين قالوا له (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وذلك بعد منصرف قريش والاحزاب من أحد فمر بهم ركب من عبد القيس فقالوا أين تريدون ؟. قالوا نريد المدينة . قالوا : هل أنتم مبلغون عنا محمداً رسالة ؟ قالوا نعم .

قالوا فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الاسد فأخبروه بالذى قال أبو سفيان . قال « حسبنا الله ونعم الوكيل » وفي الحديث « اذا وقعتم في الامر العظيم فقولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل »

قوله ﴿ باب قول الله تعالى (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ﴾ ص - ٤٥

أراد المصنف رحمه الله تعالى أن الامن من مكر الله يدل على ضعف الايمان فلا يبالي صاحبه بما ترك من الواجبات، وفعل من المحرمات، لعدم خوفه من الله بما فعل أو ترك ، وهذا من أعظم الذنوب ، وأجمعها للعيوب ، ومعنى الاية أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل بين أن الذي حملهم على ذلك هو الامن من مكر الله وعدم الخوف منه ، وذلك انهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم فاستبعدوا أن يكون ذلك مكراً ، قال الحسن : من وسع عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له ، وقال قتادة : بغت القوم أمر الله وما أخذ قوم قط إلا عند سلوتهم وغرتهم فلا تغتروا بالله ، وقال اسماعيل بن رافع من الامن من مكر الله اقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة. رواه ابن أبي حاتم

قوله (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) القنوط استبعاد الفرج واليأس منه ، وهو يقابل الامن من مكر الله وكلا الامرين ذنب عظيم ، لما في القنوط من سوء الظن بالله . قوله (الا الضالون) أي عن الهدى. قوله : وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال « الشرك بالله واليأس من روح

الله والامن من مكر الله » هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر ، قال ابن معين : ثقة ولينه ابن أبي حاتم ، وقال ابن كثير في اسناده نظر والاشبه أن يكون موقوفا . قوله « الشرك بالله » هو أكبر الكبائر ، ولهذا بدأ به . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الشرك هضم للربوبية ، وتنقص للالهية ، وسوء ظن برب العالمين انتهى

قوله « واليأس من روح الله » أي قطع الرجاء والامل من الله تعالى فيما يخافه ويرجوه ، وذلك اساءة ظن بالله وجهل به وسعة رحمته وجوده ومغفرته . قوله « والامن من مكر الله » أي من استدراجه للعبد وسلبه ما أعطاه من الايمان نعوذ بالله من ذلك ، وذلك جهل بالله وبقدرته وثقة بالنفس وعجب بها ، وهذه الثلاث من أكبر الكبائر فهي كثيرة جداً نسأل الله اجتنابها ، وذكر هذه الثلاث لجمعها للشر كله وبعدها عن الخير ، وقد وقع فيها الكثير قديما وحديثا نسأل الله العافية في الدنيا والاخرة

قوله ﴿ وعن ابن مسعود قال « أكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله » رواه عبد الرازق . ﴾

قوله « والقنوط من رحمة الله » قال أبو السعادات : هو أشد اليأس وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف فاذا غلب الرجاء في حال الصحة فسد القلب . قال تعالى (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) وقال (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار)

قوله ﴿ باب من الايمان بالله الصبر على اقدار الله ﴾ ص ٤٥

(ش) قال الامام أحمد : ذكر الله الصبر في تسعين موضعا من كتابه وفي الحديث الصحيح « الصبر ضياء » رواه أحمد ومسلم . قال عمر رضي الله عنه

« وجدنا خير عيشنا بالصبر » رواه البخاري . قال علي رضي الله عنه « ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد » ثم رفع صوته فقال « إنه لا ايمان لمن لا صبر له » واعلم أن الصبر على ثلاثة أقسام صبر على ما أمر الله به وصبر عما نهى الله عنه وصبر على ما قدره الله من المصائب زاد شيخ الاسلام والصبر عن الاهواء المخالفة للشرع .

قوله ﴿ وقول الله تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) وأول الآية (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) أي بمشيئته وارادته كما قال في الآية الاخرى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير)

قوله ﴿ قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم ﴾ هذا الاثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وروي عن ابن مسعود . وعلقمة هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ولد في حياة النبي ﷺ وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعائشة وغيرهم ، وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم مات بعد الستين ، وفي هذا الاثر دليل على أن الاعمال من مسمى الايمان وفي الآية بيان ان من ثواب الصبر هداية القلب .

قوله ﴿ وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » أي هما بالناس كفر حيث كانتا من أعمال الجاهلية وهما قائمتان بالناس ولا يسلم منهما الا من سلمه الله فأطلق الكفر على من قامت به خصلة من هاتين الخصلتين لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الايمان يصير مؤمنا الايمان المطلق ففرق بين الكفر

المعرف باللام كما في قوله « ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك الا ترك الصلاة » وبين كفر منكر في الاثبات. قوله « الطعن في النسب » أى عيبه ويدخل فيه أن يقال هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه(١) قوله « والنياحة على الميت » أى رفع الصوت بالندب وتعداد فضائله لما فيه من التسخط على قدر الله المنافي للصبر

قوله ﴿ ولهما عن ابن مسعود مرفوعا « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » ﴾ قوله « من ضرب الخدود » قال الحافظ : خص الخد لكونه الغالب وإلا فضرب بقية الوجه مثله ، قوله « ودعا بدعوى الجاهلية » قال شيخ الاسلام : هو ندب الميت ، وقال ابن القيم : الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء الى القبائل والعصبية ومثله التعصب الى المذاهب والطوائف والمشايخ وتفضيل بعض على بعض يدعو الى ذلك ويوالي عليه ويعادي عليه فكل هذا من دعوى الجاهلية وقد يعفى عن الشيء اليسير من ذلك اذا كان صدقا كما يعفى عن البكاء اذا كان على غير وجه النوح والتسخط ، نص عليه أحمد

قوله ﴿ وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال « اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » هذا الحديث رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي ﴾ قوله « اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا » قال

---

(١) يريد بثبوته عدم وجود دلائل ظاهرة أو حكم شرعي ينفيه فلا يجوز الطعن بمستور النسب ومجهوله بل الناس مأمونون على أنسابهم

شيخ الاسلام المصائب نعمة لانها مكفرات للذنوب وتدعو الى الصبر فيثاب عليها وتقتضي الانابة الى الله تعالى والذل له والاعراض عن الخلق الى غير ذلك من المصالح ، فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا وهذا من أعظم النعم فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق الا أن يدخل صاحبها بسببها في معاصي أعظم مما كان قبل ذلك فتكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه فان من الناس من اذا ابتلي بفقر أو مرض أو جوع حصل له من الجزع والتفاوت ومرض القلب والكفر الظاهر وترك بعض الواجبات ، وفعل بعض المحرمات ، ما يوجب له ضرراً في دينه . فهذا كانت العافية خيرا له من جهة ما أورثته المصيبة ، لا من جهة نفس المصيبة كما ان من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة كانت في حقه نعمة دينية ، فهي بعينها فعل الرب عز وجل رحمة للخلق والله تبارك وتعالى محمود عليها ، فمن ابتلي فرزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه وحصل له مع ما كفر من خطاياه رحمة وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه قال تعالى (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وحصل له غفران السيئات ، ورفع الدرجات ، فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك . اه ملخصا

قوله ﴿ قال النبي ﷺ « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » حسنه الترمذي . قوله (ان عظم الجزاء) بكسر العين وفتح الظاء فيهما ، ويحتمل ضمهما مع سكون الظاء ، قال ابن القيم : ان عظم الجزاء مع عظم البلاء اذا صبر واحتسب فانه حينئذ يثاب على ما تولد منها وهو ظاهر

قوله « وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم » وفي الحديث : سئل النبي

ﷺ أي الناس أشد بلاء ؟ قال الانبياء ثم الامثل فالامثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه ، وان كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة » رواه الدارمي وابن ماجه والترمذي وصححه ﴾

قوله (من رضي فله الرضا) أي من الله (ومن سخط فله السخط) كذلك

قوله ﴿ باب ماجاء في الرياء ﴾ — أي من النهي عنه والتحذير — قوله وقول الله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم إله واحد) أي ليس لي من الربوبية ولا من الالهية شيء بل ذلك كله لله وحده لاشريك له أوحاه الي (فمن كان يرجو لقاء ربه) ويخافه (فليعمل عملا صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) قال شيخ الاسلام: أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة ، وقالوا لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامه وذكر الادلة على ذلك ، قال ابن القيم في الآية أي كما انه إله واحد لا إله الا هو فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لاشريك له ، فكما تفرد بالالهية يجب أن ينفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة . اه فتضمنت الآية النهي عن الشرك كله قليله وكثيره

قوله ﴿عن أبي هريرة مرفوعا « قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه »رواه مسلم ﴾

قوله « من عمل عملا أشرك معي فيه غيري » أي قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه ، قال الطيبي الضمير المنصوب في قوله (تركته) يجوز أن يرجع الى العمل ، قال ابن رجب واعلم ان العمل لغير الله أقسام

فتارة يكون رياء محضا كحال المنافقين كما قال تعالى (يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام وقد يصدر في فرض الصدقة الراجبة أو الحج أو غيرهما من الاعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها فان الاخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وان صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة ، وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فان شاركه من أصله فالنصوص الصحيحه تدل على بطلانه وذكر احاديث تدل على ذلك منها هذا الحديث وحديث شداد بن أوس مرفوعا « من صلى يرائي فقد أشرك ، ومن صام يرائي فقد أشرك وان الله عزوجل يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بي فمن أشرك بي شيئاً فان جدة عمله وقليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به أنا عنه غني » رواه أحمد ، قال الامام أحمد فيمن يأخذ جعلا على الجهاد ، انا لم يخرج لاجل الدراهم فلا بأس كأنه خرج لدينه فان أعطي شيئا أخذه ـ ثم قال ـ وأما اذا كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء فان كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف ، وان استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا ؟ ويجازى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الامام أحمد وابن جرير ورجحا ان عمله لا يبطل بذلك وانه يجازى بنيته الاولى وهو مروي عن الحسن وغيره

قوله ﴿ وعن أبي سعيد مرفوعا « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال ؟ قالوا بلى قال الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » رواه أحمد ﴾

قوله : عن أبي سعيد . هو الخدرى وتقدم ، قوله « الشرك الخفي » سماه

خفيا لانه عمل قلب لا يعلمه إلا الله ولان صاحبه يظهر ان عمله لله وقد قصد غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لاجله، ولاخلاف أن الاخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وكذلك المتابعة ، قال ابن القيم وأما الشرك الاصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجل ماشاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، وما لي الا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وانت لم يكن كذا وكذا . وقد يكون هذا اكبر بحسب حال قائله ومقصده . اه

قوله ﴿ باب من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا ﴾ ص ٤٧

(ش) اراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة وما بعدها ان العمل لاجل الدنيا كالرياء في بطلان العمل ان استرسل معه كمن يطلب العلم لتحصيل وظيفة التعليم كحال اهل المدارس وأئمة المساجد والمجاهدين ونحوهم ممن يقصد بعمله الصالح امر دنيا وقد وقع ذلك كثيراً حتى ان منهم من يحرص على سفر الجهاد لما يحصل له فيه من جهة امير الجيش واجتماعه به وامره له ونهيه وقربه منه ونحو ذلك

قوله (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوفِّ اليهم اعمالهم فيها) الا يتين ، قال ابن عباس (من كان يريد الحياة الدنيا) اى ثوابها (وزينتها) أي مالها (نوف) نوفر (لهم ثواب أعمالهم) بالصحة والسرور في المال والاهل والولد (وهم فيها لا يبخسون) لا ينقصون ثم نسختها (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) الآية رواه البخاري في ناسخه

وأخرج ابن جرير بسنده المتصل عن شفي بن ماتع عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل ليقضي

بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل قد جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال، فيقول الله تعالى للقاري، ألم أعلمك ما انزلت على رسولي؟ قال بلى يارب، قال فماذا عملت فيما علمت؟ قال كنت اقوم آناء الليل وآناء النهار فيقول الله كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان قاري، فقد قيل، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فماعملت فيما اتيتك؟ قال كنت اصل الرحم وأتصدق فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت، ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له فيماذا قتلت؟ فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جريء وقد قيل ذلك» ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال «ياأبا هريرة أولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»

قوله ﴿في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة ان أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه، ان كان في الحراسة كان في الحراسة، وان كان في الساقة كان في الساقة، ان استاذن لم يؤذن له، وان شفع لم يشفع﴾

قوله «في الصحيح» أي صحيح البخاري. قوله «تعس» هو بكسر العين ويجوز الفتح أي سقط والمراد هنا هلك قاله الحافظ وقال أبو السعادات يقال

تعس يتعس اذا عثر وانكب لوجهه وهو دعاء عليه بالهلاك قوله تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم سماه عبدا له لكونه هو المقصود بعمله فصار عبداً له لانه عبده بذلك العمل . قوله « تعس عبد الخميصة » قال أبو السعادات هي ثوب خز أو صوف معلم « والخميلة » بفتح الخاء المعجمة قال أبو السعادات ذات الخمل ثياب لها خمل من أى شيء كان ، المراد كل ما كان من الدنيا نقدا أو عرضا لانه ذكر النوعين قال أبو السعادات أى انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة قوله « وإذا شيك فلا انتقش » أى إذا أصابته شوكة فلا يقدر على اخراجها بالمناقيش قاله أبو السعادات ، قال شيخ الاسلام فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة ، وذكر ما فيه وهو دعاء عليه بلفظ الخبر وهو قوله « تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش » وهذه حال من اذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس ، فلا نال المطلوب ، ولا خلص من المكروه . وهذه حال من عبد المال ، وقد وصف ذلك بانه ان أعطي رضي ، وان منع سخط ، فرضاه لغير الله وسخطه لغير الله ، وهكذا حال من كان متعلقا برياسة أو صورة ونحو ذلك من اهواء نفسه ان حصل له رضي وان لم يحصل له سخط ، فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له اذ الرق والعبودية في الحقيقة رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده — الى أن قال : وهكذا أيضا حال من طلب المال فان ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الامور نوعان (فمنها) مايحتاج اليه العبد كما يحتاج الى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب اليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعا (ومنها) مالا يحتاج اليه العبد فهذا ينبغي أن

لا يعلق قلبه بها فاذا تعلق قلبه بها صار مستعبدا ومعتمدا على غير الله فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل على الله بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غيره ، وهذا أحق الناس بقوله ﷺ « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة » وهذا هو عبد لهذه الامور ولو طلبها من الله فان الله إذا أعطاه اياها رضي وان منعه إياها سخط ، وانما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحب الله ورسوله ، ويبغض ما أبغض الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله ، فهذا الذي استكمل الايمان اه ملخصا

قوله (١) « طوبى لعبد » روى الامام احمد عن حسن بن موسى قال سمعت عبد الله بن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أن رجلا قال يارسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك قال « طوبى لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » قال له رجل وما طوبى ؟ قال « شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » له شواهد في الصحيحين (٢) وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه هاهنا أثرا غريبا عجيبا قال وهب إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها زهر هارياط ، وورقها برود ، وقضبانها عنبر ، وبطحاؤها ياقوت ، وترابها كافور

(١) لم يذكر الشارح جملة الحديث هنا كعادته (٢) أشار الى ان الحديث ضعيف تقويه شواهد له . وذلك ان عبد الله بن لهيعة ضعيف عندهم وأبو الهيثم كذلك ولا سيما اذا روى عن أبي الهيثم كما صرح به أحمد وأبو داود ، ومنهم من أطلق تضعيف ونكارة أحاديثه وكونه لا يتابع عليها

ووحلها مسك يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل وهي مجلس لأهل الجنة فبيناهم في مجلسهم اذ أتتهم الملائكة من ربهم يقودون نجبا مزمومة بسلاسل من ذهب وجوهها كالمصابيح من حسنها ، ووبرها كخز المرعزّى من لينه عليها رحال الواحها من ياقوت ، ودفوفها من ذهب ، وثيابها من سندس واستبرق فينيخونها ويقولون : ان ربنا أرسلنا اليكم لتزوروه وتسلموا عليه ، قال فيركبونها قال فهي اسرع من الطائر وأوطأ من الفراش خبا من غير مهنة يسير الرجل الى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه لا تصيب اذن راحلة منها اذن صاحبتها ولا برك راحلة برك الاخرى حتى إن الشجرة لتتنحى عن طريقهم لئلا تفرق بين الرجل وأخيه قال فيأتون الى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا اليه فاذا رأوه قالوا : اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والاكرام . قال فيقول تبارك وتعالى عند ذلك «أنا السلام ومني السلام وعليكم حقت رحمتي ومحبتي مرحباً بعبادي الذين خشوني بالغيب، وأطاعوا أمري » قال فيقولون ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك فأذن لنا بالسجود قدامك قال فيقول الله « انها ليست دار عبادة ولا نصب ولكنها دار ملك ونعم واني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ماشئتم فان لكل رجل منكم أمنيته » فيسألونه حتى ان أقصرهم أمنية ليقول رب تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها الى ان انتهت الدنيا ، فيقول الله تعالى « لقد قصرت بك أمنيتك ، ولقد سالت دون منزلتك، هذا لك مني لانه ليس في عطائي نكد،

ولا قصر يد » قال ثم يقول « اعرضوا على عبادي مالم تبلغ أمانيهم التي في أنفسهم »فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهرة، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين ،على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة وليس في الجنة لون الا وهو فيهما، ولا طيب الا قد عبق بهما، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة يرى مخهما من فوق كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، ويرى لهما مثل ذلك، ثم يدخل اليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه، ويقولان له ما ظننا ان الله يخلق مثلك . ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم الى منزلته التي أعدت له اه

قوله « أشعث » مجرورة بالفتحة لانه اسم لا ينصرف للوصف ووزن الفعل «ورأسه» مرفوع على الفاعلية وهو طائر الشعر أشغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالادهان وتسريح الشعر . قوله «مغبرة قدماه» هو بالجر صفة ثانية لعبد، قوله «ان كان في الحراسة» أي حامية الجيش عن أن يهجم العدو عليهم، قوله « كان في الحراسة » أي غير مقصر فيها ولا غافل، قوله «وان كان في الساقة كان في الساقة» أي في مؤخرة الجيش يقلب نفسه في مصالح الجهاد وبما فيه حفظ المجاهدين من عدوهم قال الخلخالي المعنى ائتماره لما أمر واقامته حيث أقيم لا يفقد من مكانه وانما ذكر الحراسة والساقة لانهما أشد مشقة

قوله «ان استأذن لم يؤذن له» أي استأذن على الامراء ونحوهم لم

يأذنوا له لانه لاجاه له عندهم ولا منزلة لانه ليس من طلابها وانما يطلب ماعند الله، قوله « وان شفع لم يشفع » يعني لو ألجأته الحال الى أن يشفع له في أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل له شفاعة عند الامراء ونحوهم . وعن عثمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « حرس ليلة في سبيل الله أفضل من الف ليلة يصام نهارها ويقام ليلها » وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالله بن المبارك هذه الابيات بطرسوس(١) وواعده الخروج وأنشدها معه الى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة

ياعابد الحرمين(٢) لو أبصرتنا	لعلمت انك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبار الاطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في	أنف امرء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت، لا يكذب

قال فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام فلما قرأه ذرفت عيناه فقال صدق ابو عبد الرحمن ونصحني ثم قال انت ممن يكتب الحديث قلت نعم قال لي أكتب هذا الحديث فاملى علي الفضيل بن عياض حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا قال يارسول الله علمني عملا أثاب به ثواب المجاهدين في سبيل الله فقال « هل تستطيع ان تصلي فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر ؟ » فقال يارسول الله انا اضعف من ان

(١) كذا في الاصل وفيه تحريف ظاهر (٢) يعني أيها العابد في الحرمين

استطيع ذلك ثم قال النبي ﷺ « فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل الله ، اما علمت ان فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك حسنات »

قوله ﴿ باب من أطاع العلماء والامراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله ﴾ (ص ٤٧)

فيه اشارة الى قوله تعالى (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) . قوله ﴿ وقال ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر ﴾

قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد ، وقال الامام مالك رحمه الله تعالى : ما منا إلا رادٌّ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر ﷺ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ليس أحد الا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي ﷺ .

قوله ﴿ وقال الامام احمد بن حنبل : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ،

قال الامام احمد نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاث وثلاثين موضعا ثم جعل يتلو (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) وسفيان هو الثوري الامام الزاهد العابد الثقة الفقيه وكان له أصحاب يأخذون عنه ومذهبه مشهور ، وقد عمت

البلوى بهذا المنكر الذي أنكره الامام احمد خصوصاً فيمن ينتسب إلى العلم والافتاء والتدريس وزعموا انه لا يأخذ بأدلة الكتاب والسنة إلا المجتهد والاجتهاد قد انقطع ، وقد أخطأوا في ذلك وقد استدل الامام احمد رحمه الله تعالى بقوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » ان الاجتهاد لا ينقطع ، وحكى ابن عبد البر الاجماع على أن المقلد لا يكون من أهل العلم ، والائمة لم يقصروا في البيان بل نهوا عن تقليدهم اذا استبانت السنة . قال أبو حنيفة : إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الرأس والعين ، واذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال . وقال : إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولي لكتاب الله تعالى قيل : إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ . قيل : إذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لقول الصحابة ، وتقدم قول الامامين مالك والشافعي فعلى من اشتغل بمصنفات أهل مذهبه أن ينظر في أقوال المخالفين وما استدلوا به فيكون متبعا للدليل مع من كان معه وبالله التوفيق

قوله ﴿ عن عدي بن حاتم أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) الآية . فقلت : انا لسنا نعبدهم . قال « اليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟» فقلت بلى . قال «فتلك عبادتهم» رواه احمد والترمذي وحسنه :

قوله عن عدي بن حاتم . أي الطائي المشهور بالسخاء والكرم قدم عدي على رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة ، وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى بترجمة الباب إلى هذا الحديث وما في معناه ، وفيه دليل على أن طاعة الاحبار والرهبان في معصية الله (١) عبادة لهم من دون الله .

قال شيخنا في المسائل (٢) فتغيرت الاحوال وآلت إلى هذه الغاية فصار عند الاكثر عبادة الرهبان هي أفضل الاعمال ويسمونها الولاية ، وعبادة الاحبار هي العلم والفقه ، ثم تغيرت الحال الى أن عبد من ليس من الصالحين وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين (٣) وعن زياد ابن حدير قال قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ قلت لا . قال : يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين . رواه الدرامي . جعلنا الله وإياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون فكم ضل من ضل ، وزل من زل

قوله ﴿ باب قول الله تعالى (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) الآية ﴾ (٤)

قال العماد ابن كثير والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت ههنا وكل من

«١» المراد طاعتهم في كل أمر ونهي ديني لم يأذن به الله «٢» هي المسألة الخامسة «ص ٤٨» «٣» هذا آخر عبارة كتاب التوحيد

«٤» قوله الآية : فيه اختصار وقد أتم في كتاب التوحيد الاية وقال الايات «ص ٤٨» وسيتمها الشارح أيضا فلا لوم عليه في تركها هنا اختصارا

عبد شيئاً دون الله باي نوع كان من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة فانما عبد الطاغوت فان كان المعبود صالحا كانت عبادة العابد له واقعة على الشيطان الذي أمره بعبادته وزينها له كما قال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون؟ * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون * فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين) والآية بعدها، وان كان ممن يدعو الى عبادة نفسه كالطواغيت أو كان شجراً أو حجراً أو قبراً كاللات والعزى ومناة وغير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصناما على صور الصالحين والملائكة أو غير ذلك فهي من الطاغوت الذي أمر الله عباده أن يكفروا بعبادته ويتبرؤا منه، ومن عبادة كل معبود سوي الله كائنا من كان فالتوحيد هو الكفر بكل ما عبد من دون الله كما قال تعالى (وإذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني) الآية فلم يستثن من كل معبود الا الذي فطره سبحانه وتعالى هذا معنى لا إله الا الله كما تقدم في قوله (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله * كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء الى قوله (١) حتى تؤمنوا بالله وحده) وكذلك من خالف حكم الله ورسوله بان حكم بين الناس بغير ما أنزل الله أو مع الجهل بذلك أو طلب ذلك أن يتبع عليه

(١) المحذوف في الآية هنا كلمة «أبدا» وحدها

أو اطاعه فيما لا يعلم انه حق اذا كان المطيع له لا يبالي اكان أمره حقا أم لا فهو طاغوت بلا ريب كما قال تعالى (الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) لان الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة فاذا لم يحصل هذا الركن لم يكن قد نفى ما نفته لا اله الا الله .

قوله (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) أي بعيداً عن الهدى ففي هذه الآية أربعة أمور (الاول) انه من ارادة الشيطان (الثاني) انه ضلال (الثالث) تأكيده بالمصدر (الرابع) وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى . فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن وما أنفعه لمن تدبره، وما أبانه وما أدله على أنه كلام رب العالمين أوحاه الى رسوله الكريم ، وبلغه عبده الصادق الامين صلوات الله وسلامه عليهما (١)

وقوله (وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) فان المنافق يكره الحق وأهله ويهوى ما يخالفه من الباطل، وهذه حال أهل النفاق . قال العلامة ابن القيم هذا دليل على أن من دعي الى تحكيم الكتاب والسنة فابى انه من المنافقين (قلت) فما أكثرهم لا كثرهم الله . قال ويصدون لازم وهو بمعنى يعرضون لان مصدره (صدودا) فما أكثر من اتصف بهذا الوصف خصوصا من يدعي العلم فانهم صدوا عما توجبه الادلة من كتاب الله وسنة رسوله الى أقوال من يخطيء كثيراً ممن ينتسب الى مذهب من مذاهب الاربعة

(١) يعني جبريل ومحمد

في تقليدهم من لا يجوز تقليده فيما يخالف الدليل فصار المتبع للرسول صلى الله عليه وسلم من اولئك غريبا ، وقد عمت البلوى بهذا

قوله (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون) قال أبو العالية في الاية يعني لا تعصوا في الارض لان من عصى الله في الارض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الارض لان صلاح الارض والسماء انما هو بطاعة الله ورسوله . ومناسبة الاية للترجمة أن التحاكم الى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين وهو من الفساد في الارض ، وفي الاية التنبيه على عدم الاغترار بأقوال أهل الاهواء وان زخرفوها بالدعوى

قوله (ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها) قال أبو بكر بن عياش في الآية إن الله بعث محمداً ﷺ إلى أهل الارض وهم في فساد فأصلحهم الله بمحمد ﷺ فمن دعا الى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الارض ، قال ابن القيم : قال أكثر المفسرين لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء الى طاعة الله فان عبادة غير الله والدعوة الى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الارض بل فساد الارض في الحقيقة إنما هو بالشرك ، والدعوة الى غير الله واقامة معبود غيره ومطاع ومتبع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أعظم الفساد في الارض ، ولا صلاح لها ولا لاهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع والدعوة له لا لغيره والطاعة والاتباع لرسوله ليس الا ، وغيره إنما تجب طاعته اذا أمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاذا أمر بمعصيته

وخلاف شريعته فلا سمع ولا طاعة ، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الارض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله وكل فتنة في العالم وبلاء وشر وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة الى غير الله ورسوله انتهى وبما ذكرنا يتبين مطابقة الآية للترجمة

قوله ﴿وقول الله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون؟) الآية﴾ قال ابن كثير ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير والنهي عن كل شر ، وعدل الى ما سواه من الآراء والاهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات كما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكسخان الذى وضع لهم كتابا مجموعا من أحكام اقتبسه من شرائع شتى وفيها كثير من الاحكام اخذها عن مجرد نظره وصار في بنيه شرعا يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير

قوله (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟) استفهام انكار أي لا حكم احسن من حكمه وهذا من باب استعمال افعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك ، اي ومن أعدل من الله حكما لمن عقل عن الله شرعه وآمن وايقن انه تعالى احكم الحاكمين وارحم بعباده من الوالدة بولدها العليم بمصالح عباده القادر على كل شيء الحكيم في اقواله وافعاله وشرعه وقدره

قوله ﴿عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله ﷺ قال «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» قال النووى حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح ﴾هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر

ابن ابراهيم المقدسي الشافعي في (كتاب الحجة على تارك المحجة) باسناد صحيح كما قال المصنف عن النووي ورواه الطبراني وابو بكر بن عاصم والحافظ أبو نعيم في الاربعين التي شرط لها أن تكون في صحاح الاخبار وشاهده في القرآن قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقوله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من امرهم) وقوله (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون اهوائهم) ونحو هذه الآيات، قوله «حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» الهوى بالقصر اى ما تهواه وتحبه نفسه فان كان الذى يحبه وتميل اليه نفسه ويعمل به تابعا لما جاء به الرسول ﷺ لا يخرج عنه الى ما يخالفه فهذه صفة اهل الايمان المطلق الذى يوجب لصاحبه الجنة والنجاة من النار وان كان بخلاف ذلك او في بعض احواله او اكثرها انتفى عنه من الايمان كما له الواجب فيطلق عليه مؤمن بقيد لنقص ايمانه بالمعصية كما في حديث أبي هريرة «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» فيكون مسلما ومعه مطلق الايمان الذى لا يصح اسلامه الا به وهذا التوحيد الذى لا يشوبه شرك ولا كفر وهذا هو الذي يذهب اليه اهل السنة والجماعة خلافا للخوارج والمعتزلة فان الخوارج يكفرون بالذنوب والمعتزلة لا يطلقون عليه الايمان ويقولون بتخليده في النار وكلا الطائفتين ابتدع في الدين وترك ما دل عليه الكتاب والسنة وقد قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فقيد مغفرة ما دون الشرك بالمشيئة، وتواترت الاحاديث بما يحقق ما ذهب اليه اهل السنة فقد اخرج البخارى

وغيره عن أنس عن النبي ﷺ قال « يخرج من النار من قال لا إله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير »

قوله ﴿ وقال الشعبي كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي نتحاكم الى محمد عرف انه لا يأخذ الرشوة وقال المنافق نتحاكم الى اليهود ، لعلمه انهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا على ان يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكمان اليه فنزلت (الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل اليك ؟ الآية وقيل نزلت في رجلين اختصما فقال احدهما نترافع الى النبي وقال الاخر الى كعب بن الاشرف ثم ترافعا الى عمر فذكر له احدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم اكذلك قال ؟ قال نعم فضربه بالسيف فقتله قوله : وفي قصة عمر وقتله المنافق الذي طلب التحاكم الى كعب بن الاشرف — دليل على قتل من اظهر الكفر والنفاق وكان كعب بن الاشرف هذا شديد العداوة للنبي ﷺ والاذى له والاظهار لعداوته فانتقض به عهده ، وحل به قتله ، وقصة قتله مذكورة في كتب الاحاديث والسير وغيرها

قوله ﴿ باب من جحد شيئا من الاسماء والصفات وقول الله تعالى (وهم يكفرون بالرحمن) الاية ﴾ سبب نزول الاية معلوم وهو ان قريشا جحدوا اسم الرحمن عنادا قال تعالى (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) فالرحمن اسمه وصفته فالرحمة وصفه القائم به فاذا كان المشركون جحدوا اسما من اسمائه الذي دل على كماله تعالى فجحدوا معناه

كجحود لفظه فان الجهمية يزعمون انها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والاشاعرة فلهذا كفرهم كثير من أهل السنة قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الامام حكاه عنـ ـهم بل حكاه قبله الطبراني

فان هؤلاء الجهمية ومن وافقهم من أهل الكلام على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات كماله ونعوت جلاله . وبنوا هذا التعطيل على أصل فاسد اصلوه من عند انفسهم ولم يفهموا من صفات الله الا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين فشبهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه ثم عطلوه من صفات كماله وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات ، فشبهوا اولا ، وعطلوا ثانيا ، وشبهوا ثالثا بكل ناقص او معدوم ، فتركوا ما دل عليه صريح الكتاب والسنة وما عليه سلف الامة من اثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته ، اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقد صنف أئمة السنة لما حدثت بدعة الجهمية مصنفات كثيرة في الرد عليهم كالامام أحمد وابنه عبد الله والخلال وأبي بكر الاثرم وعثمان بن سعيد الدارمي وامام الائمة محمد بن خزيمة وأبي عثمان الصابوني وخلق من أئمة السنة لا يمكن حصرهم ، وكذلك من بعدهم كأبي محمد موفق الدين وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم الجوزية ومن في طبقتهم كالعماد ابن كثير والحافظ ابن عبد الهادي وابن رجب والذهبي وغيرهم من أهل السنة والجماعة

وكتبهم مشهورة موجودة بين أهل السنة والجماعة فلله الحمد على ظهور الحق ونشره والدعوة اليه والمحافظة عليه

قوله ﴿قال علي حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟﴾ وهذا والله أعلم قاله حين كثر القُصّاص في خلافته وصاروا يذكرون أحاديث ليست من الاحاديث المعروفة ولهذا كثر الوضع بهذا السبب ،وغير المعروف يحتمل أن يكون فيه مايصح وفيه ما لا يصح فاذا سمعه من لم يعرفه أنكره وربما كان حقا فلا ينبغي التحديث إلا بما صح وثبت واشتهر عند المحدثين والفقهاء وما ليس كذلك فلا ينبغي أن يحدث به لاحتمال أن يكون غير صحيح ،وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ينهى عن القصص لما فيه من التساهل في النقل ويقول لا يقص إلا أمير أو مأمور

قوله ﴿وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس انه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك ، فقال ما فرق هؤلاء يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه ؟اه . قوله : وروى عبد الرزاق . هو ابن همام الصنعاني المحدث محدث اليمن صاحب التصانيف ، أكثر الرواية عن معمر بن راشد صاحب الزهري وهو شيخ عبد الرزاق يروى عنه كثيراً ، ومعمر بفتح الميمين وسكون العين أبو عروة ابن أبي عمرو راشد الازدي الحراني ثم اليماني من أصحاب محمد بن شهاب الزهري ويروى عنه كثيرا . قوله :عن ابن طاوس. هو عبد الله بن طاوس اليماني ، قال معمر : كان من أعلم الناس بالعربية ، وقال ابن عيينة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . قوله :عن أبيه .هو طاوس ابن كيسان الجندي بفتح الجيم والنون الامام العالم قيل اسمه ذكوان

قاله ابن الجوزي (قلت) وهو من أئمة التفسير ومن اوعية العلم، قال في تهذيب الكمال عن الوليد الموقري عن الزهري قال: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال من أين قدمت يازهري ؟ قال قلت من مكة ، قال من خلفت يسودها وأهلها ؟ قلت عطاء بن أبي رباح ، قال فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي قال فبم سادهم ؟ قال قلت بالديانة والرواية ، قال ان أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا ، قال فمن يسود أهل اليمن ؟ قلت طاوس بن كيسان قال فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت من الموالي ، قال فبم سادهم ؟ قلت بما ساد به عطاء قال انه لينبغي ذلك ، قال فمن يسود أهل مصر ؟ قلت يزيد بن ابي حبيب قال فمن العرب ام من الموالي ؟ قال قلت من الموالي قال فمن يسود اهل الشام ؟ قلت مكحول قال فمن العرب ام من الموالي ؟ قلت من الموالي عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل ، قال فمن يسود أهل الجزيرة ؟ قلت ميمون بن مهران قال فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي قال فمن يسود اهل خراسان ؟ قال قلت الضحاك بن مزاحم قال فمن العرب ام من الموالي ؟ قلت من الموالي قال فمن يسود أهل البصرة ؟ قلت الحسن البصري قال فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت من الموالي . قال ويلك ومن يسود أهل الكوفة ؟ قال قلت ابراهيم النخعي قال فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت من العرب قال ويلك يا زهري فرجت عني والله لتسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها قال قلت ياأمير المؤمنين إنما هو دين من حفظه ساد ، ومن ضيعه سقط

قوله: ما فرق هؤلاء ؟ يستفهم من أصحابه يشير إلى أناس ممن يحضرون مجلسه فاذا سمعوا شيئا من محكم القرآن حصل منهم فرق أي خوف ،

فاذا سمعوا شيئا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين للمعنى ، ولا يتم الايمان إلا بقبول اللفظ بمعناه الذى دل عليه ظاهرا فان لم يقبل معناه او رده او شك فيه لم يكن مؤمنا به فيكون هلاكا . وقد ظهر من البدع في زمن ابن عباس بدعة القدرية كما في صحيح مسلم وغيره فقتل من دعاتهم غيلان قتله هشام بن عبد الملك لما أصر على قوله بنفي القدر ثم بعد ذلك أظهر الجعد بن درهم بدعة الجهمية فقتل قتله خالد بن عبدالله القسري يوم الاضحى بعد صلاة العيد . قال الذهبي : ثنا وكيع عن إسرائيل بحديث «إذا جلس الرب على الكرسي» فاقشعر رجل عند وكيع فغضب وكيع وقال أدركنا الاعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها . أخرجه عبد الله في الرد على الجهمية ، والواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنى الآيات يبين معنى قول ابن عباس ، وسبب هذه البدع جهل أهلها وقصورهم في الفهم (١) وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقيها من اهلها العارفين لمعناها الذين وفقهم الله تعالى لمعرفة المراد والتوفيق بين النصوص والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضاً ورد المتشابه إلى المحكم ، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان فلله الحمد لانحصي ثناء عليه .

قوله ولما ﴿ سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم (وهم يكفرون بالرحمن) الآية ﴾ روى ابن جرير عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يدعو ساجداً « يارحمن يارحيم » فقال

---

١) يعنى فهم اللغة العربية فان الصحابة «رض» لم يستنكروا شيئا من ذلك ولم يروا انهم في حاجة لسؤال النبي «ص» عنه لانهم أهل اللغة، عرفوا آيات التنزيه ، فحالت عندهم دون حمل نصوص الصفات على التشبيه، فلم يشبهوا ولم يعطلوا، ولم يبتغوا الفتنة فيتأولوا

المشركون : هذا يزعم انه يدعو واحداً وهو يدعو مثنى مثنى فأنزل الله ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ﴾

قوله ﴿ باب قول الله تعالى (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها (١) الآية ﴾ قال ابن جرير : فان أهل التأويل اختلفوا في المعني بالنعمة فذكر عن سفيان عن السدي (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) قال محمد ﷺ (٢) وقال آخرون بل معنى ذلك انهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله وان الله هو المنعم عليهم بذلك، ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون انهم ورثوه عن آبائهم ، وأخرج عن مجاهد (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) قال هي المساكن والانعام وما يرزقون منها والسرابيل من الحديد والثياب يعرف هذا كفار قريش ثم ينكرونه بان يقولوا هذا كان لآبائنا فورثونا إياه

قوله ﴿ وقال عون بن عبدالله : يقولون لولا فلان لم يكن كذا ﴾

عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبدالله الكوفي الزاهد ـ عن أبيه وعائشة وابن عباس وعنه قتادة وأبو الزبير والزهري ، وثقه أحمد وابن معين قال البخاري : مات بعد العشرين ومائة ، واختار ابن جرير القول الاول واختار غيره ان الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها وهو الصواب

قوله ﴿ وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : يذم سبحانه من يضيف انعامه إلى غيره ويشرك به . قال بعض السلف هو كقولهم كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير اه ﴾ وكلام شيخ

(١) ص ٥٠ (٢) أي هي نبوة محمد (ص)

الاسلام يدل على أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير الله وأسند أسبابها إلى غيره مما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفى (١)

قوله ﴿ باب قول الله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) ص ١٥٠ (ش) الند المثل والنظير ، وجعل الند لله هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله كحال عبدة الاوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم ، قال تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) قال العماد ابن كثير في تفسيره قال أبو العالية (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) قال عدلا شركاء وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدي وأبو مالك واسماعيل بن أبي خالد ، وقال ابن عباس (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) أي لا تشركوا بالله شيئا من الانداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه ربكم لا يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول اليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه ، وقال مجاهد (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) قال تعلمون أنه إله واحد في التوراة والانجيل

قوله ﴿ وعن ابن عباس في الآية الانداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول والله وحياتك يا فلانة وحياتي ، وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول

---

١) يعني عند من يعتقد ان الاسباب مؤثرة بذاتها لا بتسخير الله ونعمته ، وأما من يعتقد ان هذه الاسباب سخرها الله تعالى ويشكره على ذلك فلا يضره هذا اللفظ وقد وصف الله الريح بالطيبة في قوله (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة)

الرجل لولا الله وفلان،لا تجعل فيها (فلان) هذا كله به شرك ، وهذا من ابن عباس تنبيه بالادنى من الشرك على الاعلى

قوله ﴿ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم ﴾ يحتمل أن يكون شكا من الراوى ،ويحتمل أن تكون (أو) بمعنى الواو فيكون قد كفر وأشرك ويكون من باب كفر دون كفر .

قوله ﴿ وقال ابن مسعود: لان أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا ﴾ ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبا من الكبائر لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغر كما تقدم

قوله ﴿ وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح ﴾ وذلك لان العطف بالواو يقتضي المساواة لانها في وضعها لمطلق الجمع بخلاف الفاء وثم ، وتسوية المخلوق بالخالق بكل نوع من العبادة شرك ، وهذا ونحوه من الشرك الاصغر . قوله ﴿ وعن ابراهيم النخعي أنه يكره أن يقول أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول بالله ثم بك . قال ويقول لولا الله ثم فلان ولا تقولوا لولا الله وفلان ﴾ ابراهيم هو النخعي وهذا فيما يقدر عليه الحي الحاضر بخلاف من ليس كذلك ممن لا يسمع كلاما ولا يرد جوابا كالاموات والغائبين

قوله ﴿ باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله. عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله» رواه ابن ماجه بسند حسن ﴾

قوله « لا تحلفوا بآبائكم » تقدم أنه لا يجوز الحلف بغير الله في حق كل أحد . قوله « من حلف بالله فليصدق » هذا مما أوجبه الله على عباده قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقال (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) . قوله « ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله » هذا من حق المسلم على المسلم أن يقبل منه إذا حلف له معتذراً ، والحديث يدل على الوجوب ، ومن حقه عليه أن يحسن به الظن اذا لم يتبين كذبه كما في الاثر عن عمر : ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك شراً وأنت تجد لها في الخير محملا ، وهو من حسن الخلق ومكارم الاخلاق وكمال العقل وقوة الدين

قوله ﴿ باب قول ما شاء الله وشئت . عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فامرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا «ورب الكعبة» وأن يقولوا « ما شاء الله ثم شئت » رواه النسائي وصححه (ص٥٢)

قوله « قتيلة » بمثناة مصغرة بنت صيفي الانصارية صحابية مهاجرة لها حديث في سنن النسائي وهو المذكور في الباب ورواه عنها عبدالله بن يسار الجهني وفيه قبول الحق ممن جاء به ، وفيه بيان النهي عن الحلف بالكعبة وغيرها مع أنها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة ، وأنت ترى ما وقع مما يخالف ذلك من الحلف بالكعبة ودعائها وكذا مقام ابراهيم وقل من يسلم من هذا ممن يحج من أهل الآفاق وأهل مكة كما كان يفعل بغيرها ، والكعبة عظمها الله بان جعل حجها ركنا على من استطاع وشرع العبادة عندها وخصها بالفضل ، فالمشروع انما هو الطواف بها

والصلاة اليها لا الحلف بها ونحوه من الشرك في العبادة (فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) قوله: انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت. والعبد وان كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى (وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين) وفي هذه الآية والحديث الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله من العبد وما شاءه، وقد قال تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) وقال تعالى (الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا) وفي الحديث «أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب، فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة» وهو في الصحيحين وغيرهما

قوله (وله أيضا عن ابن عباس أن رجلا قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت فقال «أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده»)

هذا بين ما تقدم من أن هذا شرك لان المعطوف بالواو يساوي المعطوف بالمعطوف عليه لان الواو وضعت لمطلق الجمع فلا يجوز ان يجعل المخلوق مثل الخالق في شيء من الالهية والربوبية ولو في أقل شيء كما تقدم في الرجلين اللذين قرب أحدهما ذبابا للصنم فدخل النار، وفيه أن النبي ﷺ حمى حمى التوحيد، وسد طرق الشرك في الاقوال والاعمال

قوله (ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله. قالوا وأنتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله. قالوا وأنتم لأنتم القوم لولا انكم تقولون ما

شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال «هل أخبرت بها أحداً ؟» : قلت نعم . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فان طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا و كذا أن أنهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله وحده .

قوله « عن الطفيل » هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة أخي عائشة لامها له حديث عند ابن ماجه وهو ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى في الباب ، وهذه الرؤيا حق أقرها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها فنهاهم أن يقولوا ما شاء الله وشاء محمد وأمرهم أن يقولوا ما شاء الله وحده ، وقد بلغ ﷺ البلاغ المبين وأنذر عن الشرك وحذر عن قليله و كثيره فانظر إلى ما وقع من الشرك العظيم في هذه الامة ينادون الميت من مسافة شهر أو شهرين أو أكثر ، ويعتقدون فيه أنه ينفع ويضر ويسمع ويستجيب من تلك المسافة وجعلوا الاموات شركاء لله في الملك والتدبير وعلم الغيب وغير ذلك من خصائص الربوبية وتركوا نبيهم وما جاء به وما قاله وما نهى عنه كأنهم لم يسمعوا كتاباً ولا سنة ، وقد بعثه الله بالنهي عن الشرك كما ترى فما زال يدعو الناس إلى توحيد الله واخلاص العبادة له حتى أكمل الله لهم به الدين وأتم عليهم النعمة، لكن رجعوا من الكمال إلى الضلال ، ومن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك ، وهذه وان كانت رؤيا منام فقد أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أنها حق

قوله ﴿باب من سب الدهر فقد آذى الله . وقول الله تعالى (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ ص ٥٣

قال العماد ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في انكار المعاد. وقالوا (ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أي ما ثم الا هـذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون ولا ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الالهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة، ولهذا قال عنهم (وما يهلكنا الا الدهر) قال سبحانه (وما لهم به من علم ان هم الا يظنون) أي يتوهمون ويتخيلون

قوله (عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار» وفي رواية «لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر» قال في شرح السنة حديث متفق على صحته أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبي هريرة قال ومعناه أن العرب كانت من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر فاذا أضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبها الى الله عز وجل اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يصفونها فنهوا عن سب الدهر انتهى باختصار، ونسبة الفعل الى الدهر ومسبته كثيرة في أشعار المولدين كابن المعتز والمتنبي وغيرهما، وليس منه وصف السنين بالشدة لقوله تعالى (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) الاية. قال بعض الشعراء

ان الليالي من الزمان مهولة تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

وقال أبو تمام

أعوام وصل كاد ينسي طيبها ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أعقبت نحوي أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

قوله ﴿ باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان اخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الاملاك لامالك الا الله ﴾ لان هذا اللفظ انما يصدق على الله فهو ملك الاملاك لانه هو الملك في الحقيقة له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير يتصرف في الملوك وغيرهم بمشيئته وإرادته كما قال تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير) الآية فلا ينبغي ان يعظم المخلوق بما يشبه ما يعظم به الخالق جل وعلا وما كان مثل ذلك فينهى عنه كالذي ترجم به المصنف لانه لا يصدق هذا المعنى الا على الله فلا يصلح أن يسمى به المخلوق لان كل لفظ يقتضي التعظيم والكمال لا يكون الا له تعالى وتقدس دون غيره

قوله ﴿ قال سفيان مثل شاهان شاه ﴾ عند العجم عبارة عن ملك الأملاك ولهذا مثل به سفيان. قوله وفي رواية « أغيظ رجل على الله » أغيظ من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض فيكون بغيضا الى الله مغضوبا عليه وهذا من الصفات التي تمر كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل والله أعلم. قوله «واخبثه» وهو يدل أيضا على أن هذا خبيث عند الله إذا رضي بذلك لتعظيم الناس له بما لا يستحقه وعدم انكاره وكراهته

لذلك .قوله «أخنع» يعني أوضع وهذا المذكور ينافي كمال التوحيد الذي دلت عليه كلمة الاخلاص فيكون فيه شائبة من الشرك وان لم يكن اكبر

قوله ﴿ باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لاجل ذلك ص ٤٥ عن أبي شريح أنه كان يكني أبا الحكم فقال النبي ﷺ ان الله هو الحكم واليه الحكم فقال ان قومي اذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال « ما أحسن هذا فما لك من الولد ؟ قلت : شريح ومسلم وعبد الله قال « فمن اكبرهم ؟ » قلت : شريح « قال فأنت أبو شريح » رواه أبو داود وغيره ﴾

قوله ﴿ عن أبي شريح ﴾ هو الخزاعي اسمه خويلد بن عمرو اسلم يوم الفتح له عشرون حديثا اتفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث . وعنه أبو سعيد المقبري ونافع بن جبير وطائفة قال ابن سعد مات بالمدينة سنة ثمان وستين. قوله «يكنى » الكنية ماصدر بأب أوام ونحو ذلك كأبي محمد واللقب ماليس كذلك كزين العابدين . وقوله ﷺ « ان الله هو الحكم واليه الحكم » أي هو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله ، وما من قضية الا وله فيها حكم مما أنزله على نبيه من الكتاب والحكمة لكن قد يخفى على المجتهد فان المجتهدين وان اختلفوا في بعض الاحكام فلا بد ان يكون المصيب فيهم واحدا فمن رزقه الله قوة الفهم وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من أقوال العلماء أدرك ما هو الصواب من ذلك وقوله « اليه الحكم في الدنيا والآخرة » كما قال تعالى (وما اختلفتم فيه من

شيء فحكمه الى الله) وقال (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) الاية فالحكم الى الله هو الحكم الى كتابه والحكم الى رسوله هو الحكم اليه في حياته والى سنته بعد وفاته. قوله «فان قومي اذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين» والمعنى والله أعلم أن أباشريح كان مرضيا عند يتحرى ما يصلحهم إذا اختلفوا فيرضون صلحه فسموه حكما وأما مايحكم به الجهلة من الاعراب ونحوهم من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب لما فيه من النهي الشديد والخروج عن حكم الله ورسوله الى ما يخالفه كما قال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) وهذا كثير فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به، وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى لذلك ممن يرجع الناس اليه اذا اختلفوا (١)

قوله ﷺ «فما لك من الولد» قال شريح ومسلم وعبد الله قال فمن اكبرهم؟ قلت: شريح قال فانت أبو شريح فكناه بالكبير وهو السنة وغير كنيته بابي الحكم لان الله هو الحكم على الاطلاق ومنه تسمية الائمة بالحكام فينبغي ترك ذلك والنهي عنه لهذا الحديث، وهذا قد حدث في الناس قريبا

١» النص الصريح في إبطال حكم السوالف من حكام البدو غير المتدينين هو قوله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) وأبو شريح كان من قضاة الجاهلية قبل الاسلام ولذلك كنوه بأبي الحكم فأنكرها عليه «ص» وغيرها، ولفظ الحكم بفتحتين لاينهى عنه في الاسلام لقوله تعالى (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) وذلك لانه يحكم بما شرعه الله من صلح وإصلاح. وقد أذن الله للمؤمنين بأن يحكموا بين الناس بالعدل

قوله ﴿ باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﴾ ـ أي فقد كفر ـ وقول الله تعالى (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) الاية قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره قال أبو معشر المدني عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما أري قراءناهؤلاء إلا أرغبنا بطونا ،وأكذبنا السنة ،وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك لرسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال يارسول (إنما كنا نخوض ونلعب فقال (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن؟ — الى قوله — مجرمين) وان رجليه لينسفان الحجارة وما يلتفت اليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بنسعة ناقة رسول الله ﷺ قوله (لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) أي بهذا المقال الذي استهزأتم به(إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة)أي لا يعفى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم بانهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة انتهى ، وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى وقد امره الله تعالى ان يقول (قد كفرتم بعد ايمانكم)وقول من يقول إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولا بقلوبهم لا يصح لان الايمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال قد كفرتم بعد إيمانكم فانهم لم يزالوا كافرين في نفس الامر وان أريد إنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الايمان. فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم وهم مع خواصهم مازالوا كذلك ولا يدل اللفظ على أنهم مازالوا منافقين اه وفيه بيان أن الانسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به وأشدها خطراً إرادات القلوب فهي كالبحر الذى لاساحل له ومن هذا الباب الاستهزاء بالعلم وأهله وعدم احترامهم لاجله.

قوله ﴿باب ماجاء في قول الله تعالى (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) الآية﴾ ص ٥٦

ذكر المصنف رحمه الله تعالى عن ابن عباس وغيره من المفسرين في هذه الآية مايكفي ويشفي في المعنى قال قال مجاهد هذا بعملي وأنا محقوق به وقال ابن عباس يريد من عندي وقوله (قال إنما أوتيته على علم عندي) قال قتادة على علم مني بوجوه المكاسب وقال آخرون على علم من الله اني له أهل وهذا معنى قول مجاهد أوتيته على شرف وليس ماذكروه اختلافا وإنما هو أفراد المعنى

قوله ﴿وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «ان ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص فقال أي شيء أحب اليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به قال فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونا حسنا وجلداً حسنا ،قال أي المال أحب اليك ـ قال الابل أو البقر ـ شك إسحاق فأعطي ناقة عشراء وقال بارك الله لك فيها .قال فأتى الاقرع فقال أي شيء أحب اليك؟ قال شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي شعراً حسنا ،قال فأي المال أحب اليك ؟ قال البقر أو الابل فأعطي بقرة حاملا وقال بارك الله لك فيها .قال وأتى الاعمى فقال أى شيء أحب اليك قال أن يرد الله علي بصري ،فابصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره ،قال فأى المال أحب اليك؟ قال الغنم فاعطي شاة والداً فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم .قال ثم انه أتى الابرص في صورته وهيئته فقال: رجل

مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ،أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً اتبلغ به في سفري .فقال الحقوق كثيرة ،فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال ؟فقال إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر ،فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت. قال ثم انه أتى الاقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ماقال لهذا ورد عليه مثل مارد عليه هذا ،فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال ثم أتى الاعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله الي بصري فخذ ماشئت ودع ماشئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله . فقال أمسك مالك فانما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك » أخرجاه ﴾

وهذا حديث عظيم يبين حال من كفر النعم وحال من شكرها قال ابن القيم أصل الشكر هو الاعتراف بانعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلا بها لم يشكرها ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضا ،ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم فقد كفرها ،ومن عرف النعمة والمنعم وأقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ويحبه ويرضى به وعنه لم يشكرها أيضا ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي عنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها فلا بد في الشكر

من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو الميل الى المنعم ومحبته والخضوع له اهـ

قوله « قد قذرني الناس » أي بكراهة رؤيته وقربه منهم

قوله ﴿ باب قول الله تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) قال الامام احمد رحمه الله تعالى في معنى هذه الاية ثنا عمر بن ابراهيم ثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال « لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » وقال ابن جرير ثنا ابن وكيع ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن (جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال كان هذا في بعض الملل ولم يكن بادم. وعن ابن عباس قال كانت حواء تلد لادم عليه السلام أولاداً فتعبدهم لله وتسميه عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاها ابليس وآدم فقال اما انكما لو تسميانه به لعاش فولدت رجلا فسمياه عبد الحارث ففيه أنزل الله تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) الى آخر الاية

قوله ﴿ قال ابن حزم ﴾ هو عالم الاندلس أبو محمد علي بن احمد بن سعد ابن حزم القرطبي الظاهري صاحب التصانيف توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة وله اثنتان وسبعون سنة ﴿ اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب ﴾ قلت : وعبد المطلب هذا جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وما فوق عدنان مختلف فيه ولا

رب انهم من ذرية اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . حكى رحمه الله اتفاق العلماء على تحريم كل ماعبد لغير الله لانه شرك في الربوبية والالهية لان الخلق كلهم ملك لله وعبيد له استعبدهم بعبادته وحده وتوحيده في ربوبيته والهيته ، فمنهم من عبد الله وحده في ربوبيته والهيته ، ومنهم من أشرك به في الهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته ، وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد كما قال تعالى (ان كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً) فهذه العبودية العامة ، وأما العبودية الخاصة فانها تختص باهل الاخلاص والطاعة كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) ونحوها قوله حاشا عبد المطلب . هذا استثناء من العموم لانه ليس المقصود منه عبودية الرق وانما هو اسم علق به لما أتى به عمه المطلب من عند اخواله بني النجار من المدينة وهو صبي فرأته قريش حين جاء به وقد تغير لونه من السفر فقالوا عبد المطلب ثم تبين لهم أنه ابن أخيه هاشم فصارت العبودية في هذا الاسم لا حقيقة لها ولا قصد لكن غلب عليه فصار لا يسمى الا به والا ناسمه في الاصل شيبة وقد صار عبد المطلب معظما في قريش والعرب فهو سيد قريش وأشرفهم في جاهليته وهو الذي حفر زمزم وماجرى له في حفرها مذكور في السير وكتب الحديث وصارت السقاية له وفي ذريته قال شيخنا في معنى قوله (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) ان هذا الشرك بمجرد تسميته لم يقصدا حقيقته التي أرادها ابليس وهذا يزيل الاشكال وهذا معنى قول قتادة شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته

قوله ﴿باب قول الله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) الآية﴾ ص ٥٨

أراد رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الرد على من يتوسل بذوات الاموات وأن المشروع هو التوسل بالاسماء والصفات والاعمال الصالحة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان وأخرجه الجرجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بسنده مثله وزاد بعد قوله يحب الوتر : هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدىء ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواحد ، الاحد ، الماجد ، الفرد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم المؤخر ، الاول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المعطي ، المانع ، النافع ، الضار ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » ثم قال الترمذي ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء الحسنى إلا في هذا الحديث ، والذي عند بعض الحفاظ أن سرد الاسماء في هذا الحديث مدرج . هذا ماذكره العماد ابن كثير في تفسيره ثم قال : ليعلم

أن الاسماء ليست منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ماروا ه أحمد عن يزيد ابن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبدالله بن مسعود أن النبي ﷺ قال «ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري، وذهاب حزني وجلاء همي وغمي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا» فقيل يارسول الله ألا نتعلمها؟ فقال «بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها». وقد أخرجه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه. وقال قتادة في قوله تعالى (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) قال يشركون. وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الالحاد التكذيب (قلت) والشرك تكذيب من المشرك لما أنزله الله في كتابه وبعث به رسوله كما جرى من قريش وغيرهم مع النبي ﷺ وأصحابه وكما جرى، من المشركين من هذه الامة فلم يأخذوا بالآيات المحكمات في تحريم الشرك والنهي عنه، بل كذبوا بالصدق واعتمدوا على الكذب على الله وعلى كتابه ورسوله. وأصل الالحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل. قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وحقيقة الالحاد في أسمائه ... الميل بالاشراك والتعطيل والنكران

وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف دلت على كماله جل وعلا والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة متقدمهم ومتأخرهم اثبات الصفات

التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ على مايليق بجلال الله وعظمته اثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. كما قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذي حذوه ، فكما أنه يجب العلم بأن لله ذاتاً حقيقة لاتشبه شيئاً من ذوات المخلوقين، فله صفات حقيقة لاتشبه شيئاً من صفات المخلوقين ، فمن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ، أو تأوله على غير ماظهر من معناه فهو جهمي قد اتبع غير سبيل المؤمنين . قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : فائدة جليلة مايجري صفة أوخبراعلى الرب تعالى أقسام

(أحدها) مايرجع إلى نفس الذات كقولك ذات وموجود

(الثاني) مايرجع إلى صفات منعوتة كالعليم والقدير والسميع والبصير

(الثالث) مايرجع إلى أفعاله كالخالق والرازق

(الرابع) التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتا إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس السلام

(الخامس) ولم يذكره أكثر الناس وهو الاسم الدال على جملة أوصاف حديدة لايختص بصفة معينة ، بل دال على معاني نحو المجيد العظيم الصمد فان المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ولفظه يدل على هذا ، فانه موضوع للسعة والكثرة والزيادة ، فمنه استمجد المرخ والعفار ، وأمجد الناقة : علفها . ومنه (رب العرش المجيد) صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه ، وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنا بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علّمنا صلى الله عليه وسلم لانه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه ، فأتى في هذا

المطلوب باسم يقتضيه كما تقول : اغفرلي وارحمني انك أنت الغفور الرحيم فهو راجع الى التوسل باسمائه وصفاته وهو من أقرب الوسائل وأحبها اليه. ومنه الحديث الذى في المسند والترمذى « ألظّوا بياذا الجلال والاكرام » ومنه « اللهم إني أسألك بان لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام » فهذا سؤال له وتوسل اليه بأسمائه وصفاته فما أحق ذلك بالاجابة وأعظمه موقعا عند المسؤل وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد

(السادس) صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد . وهكذا عامة الصفات المقترنة والاسماء المزدوجة في القرآن فان الغني صفة كمال والحمد كذلك واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غنائه . وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم فتأمله فانه من أشرف المعارف

قوله ﴿ باب لا يقال السلام على الله في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده ، السلام على فلان فقال النبي ﷺ « لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام ﴾

هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم عن ابن مسعود ، وفي هذا الحديث النهي عن ذلك وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثا وقال « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام » وفي الحديث

أن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى

قوله « فان الله هو السلام » أى هو تعالى سالم من كل نقص ومن كل تمثيل فهو الموصوف بكل كمال المنزه عن كل عيب ونقص . قال في البدائع السلام اسم مصدر وهو من ألفاظ الدعاء يتضمن الانشاء والاخبار فجهة الخبرية فيه لا تناقض الجهة الانشائية وهو معنى السلام المطلوب عند التحية وفيه قولان مشهوران (الاول) أن السلام هنا هو الله عز وجل ومعنى الكلام : نزلت بركته عليكم ونحو هذا . فاختير في هذا المعنى من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الاسماء (الثاني) أن السلام مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب المدعو به عند التحية ومن حجة أصحاب هذا القول أنه يأتي منكّرا فيقول المسلّم سلام عليكم ولو كان اسما من أسماء الله لم يستعمل كذا ومن حجتهم أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنى وانما المقصود منه الايذان بالسلامة خبراً أو دعاء ، قال رحمه الله تعالى وفصل الخطاب أن يقال الحق في مجموع القولين فكل منهما معه بعض الحق والصواب في مجموعهما ، وانما يتبين ذلك بقاعدة وهي أن حق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يتوسل في كل مطلب ويسأل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله حتى أن الداعي متشفع الى الله تعالى متوسل به اليه فاذا قال : رب اغفر لي وتب علي إنك التواب الغفور : فقد سأله بامرين وتوسل اليه باسمين من أسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل أتى في لفظها بصيغة اسم من أسماء الله وهو السلام الذي تطلب منه السلامة وهو مقصود المسلّم فقد تضمن سلام عليكم اسما من أسماء الله تعالى وطلب السلامة منه فتأمل هذه الفائدة ،

وحقيقته البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه، فمن ذلك قولك: سلمك الله، ومنه دعاء المؤمنين على الصراط: اللهم سلم سلم . ومنه سلم الشيء لفلان أي خلص له وحده كما قال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل) أي خالصا له وحده لا يملكه معه غيره ومنه السلم ضد الحرب لان كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر ولهذا بني فيه على المفاعلة فيقال المسالمة مثل المشاركة ومنه القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب وحقيقته الذي قد سلم لله وحده فخلص من دغل الشرك وغله ودغل الذنوب والمخالفات، بل هو المستقيم على صدق حبه وحسن معاملته، وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذابه والفوز بكرامته . ومنه أخذ الاسلام فانه من هذه المادة لانه الاستسلام والانقياد له والتخلص من شوائب الشرك فسلم لربه وخلص له كالعبد الذي سلم لمولاه ليس له فيه شركاء متشاكسون ، ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه، وللمشرك به

قوله ﴿ باب قول اللهم اغفرلي ان شئت ﴾ قوله « لا يقل أحدكم اللهم اغفرلي إن شئت ، اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فان الله لا مكره له » بخلاف العبد فانه قد يعطي السائل مسألته لحاجته اليه أو لخوفه أو رجائه فيعطيه مسألته وهو كاره ، فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول مسألته على مشيئة المسؤل مخافة أن يعطيه وهو كاره بخلاف رب العالمين فانه يعطي عبده ما أراده بفضله وكرمه واحسانه ، فالادب مع الله أن لا يعلق مسألته لربه بشيء لسعة فضله واحسانه وجوده وكرمه وفي الحديث « ليعزم المسألة » وفي الحديث « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة »

سحّاء الليل والنهار » الحديث . قوله ولمسلم « وليعظم الرغبة في سؤاله ربه حاجته فانه يعطي العظائم كرما وجوداً واحسانا فان الله لا يتعاظمه شيء أعطاه » أي ليس ما أعطى عبده مما سأله بعظيم عنده لكمال فضله وجوده ، وقد قال بعض الشعراء في مخلوق يمدحه

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

والله تعالى أحق بكل مدحة وثناء

قوله ﴿ باب لا يقول عبدي وأمتي . في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا يقل أحدكم اطعم ربك وضيء ربك، وليقل سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي ﴾

هذه الالفاظ المنهي عنها وان كانت تطلق لغة فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك لما فيها من التشريك في اللفظ لان الله هو رب العباد جميعهم فاذا أطلق على غيره ما يطلق عليه تعالى وقع الشبه في اللفظ فينبغي أن يجتنب هذا اللفظ في حق المخلوق من ذلك فأرشدهم ﷺ الى ما يقوم مقام هذا اللفظ وهو قوله «سيدي ومولاي» وكذلك قوله «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي» لان العبيد عبيد الله، والاماء اماء الله. قال تعالى (ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا) الآية

قوله ﴿ باب لا يرد من سأل بالله ﴾ (ص ٦٠)

ظاهر الحديث النهي عن رد السائل اذا سأل بالله ، ويحتمل أن يكون المراد فيما لا مشقة فيه على المسئول ولا ضرر فيكون من باب مكارم الاخلاق ومعالي الشيم ، وربما كان السائل محتاجا أو مضطراً فيجب أن يعطى ما سأله ويأثم المسئول في منعه فيؤخذ من ماله أضعاف

مامنع على وجه يكرهه فباعتبار هذه الامور ينبغي لمن أعطاه الله نعمة أن يؤدي حق الله فيها، ويعطي من سأله من فضول نعمة الله عليه خصوصا اذا سأل بالله تعالى فيكون اعطاؤه تعظيما لمن سأل به وهو الله تعالى

قوله ﴿ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فاعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه، فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا الله حتى تروا أنكم قد كافأتموه » رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح ﴾ قوله « من استعاذ بالله فأعيذوه » تعظيما لله تعالى وتقربا اليه بذلك

قوله « ومن دعاكم فأجيبوه » هذا من حقوق المسلم على المسلم ومن أسباب الالفة وسلامة الصدر واكرام الداعي . قوله « ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه » أي ينبغي المكافأة على المعروف وهو من مكارم الاخلاق وفيه السلامة من البخل وما يذم به . قوله « فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له » فيه أن الدعاء يقوم مقام المكافأة في حق من لم يجد ما يكافيء به . قوله « حتى تروا » بضم التاء أي تظنوا ، وفي رواية أبي نهيك عن ابن عباس « من سألكم بوجه الله فاعطوه »

قوله ﴿ باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ﴾ ذكر فيه حديث جابر رواه أبو داود قال : قال رسول الله ﷺ « لا يسأل بوجه الله الا الجنة » وهنا سؤال وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند منصرفه من الطائف حين كذبته ثقيف دعا بالدعاء المأثور « اللهم أشكو اليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي الى من تكلني؟ الى بعيد يتجهمني ، أو الى عدو ملكته أمري، ان لم

يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل علي غضبك أو ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » والحديث المروي في الاذكار «اللهم أنت أحق من ذُكر ، وأحق من عُبد » وفي آخره «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والارض » ونحوه في الاحاديث المرفوعة فيحتمل أن هذا فيما يكرهه العبد لا فيما يحبه ويتمناه ويحتمل غير هذا والله أعلم

قوله ﴿ باب ما جاء في اللو ﴾ ـ أي من الوعيد والنهي عنه عند الامور المكروهة كالمصائب إذا جرى بها القدر ونحوها ـ قوله ﴿ وقول الله تعالى (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا) قاله بعض المنافقين يوم أحد لخوفهم وجزعهم وخورهم. قال ابن اسحاق فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير : لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد علينا الخوف أرسل الله علينا النوم فما منا رجل الا ذقنه في صدره قال : فوالله اني لاسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه الا كالحلم : لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا فحفظتها منه ، وفي ذلك أنزل الله عز وجل (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) لقول معتب رواه ابن أبي حاتم ، وقال مجاهد عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي * يعني أنه هو الذي قال ذلك

قوله ﴿ في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وماشاء فعل فان (لو)

تفتح عمل الشيطان » اختصر المصنف هذا الحديث وتمامه « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير » الى آخره قوله « احرص على ما ينفعك » أي في دنياك وأخراك وخص ما ينفع دون ما ليس كذلك مما فيه ضرر أو عدم نفع وذلك لا يخرج عن الواجب والمستحب والمباح اذا كان نافعا . قوله « واستعن بالله » لانه لا يحصل له ذلك الا اذا كان مستعينا بالله . قوله « ولا تعجز » نهاه عن العجز لانه مما يذم به عقلا وشرعا فما أكثر ذلك في الناس فكم فوت الانسان على نفسه من الخير وهو يقدر عليه اذا رغب فيه واستعان بالله ولا حول ولا قوة الا بالله . قوله « وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله » لان ما قدّر يكن فيجب الايمان بالقدر والتسليم ، وأرشده الى أن يقول « قدر الله » أي هذا قدر الله والمبتدا محذوف وتقديره « هذا قدر الله وما شاء فعل » لان أفعاله تعالى انما تصدر عن حكمة وعلم وفضل وعدل (ولا يظلم ربك أحدا) قوله «فان لو تفتح عمل الشيطان» أي لما فيها من التأسف على ما فات والحزن فيأثم في ذلك وذلك من عمل الشيطان

قوله ﴿ باب النهي عن سب الريح . عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال « لا تسبوا الريح فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا «اللهم انا نسألك خير هذه الريح وخير مافيها وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به » صححه الترمذي ﴾ لان الريح خلق من خلق الله مدبر وانما تهب بمشيئة الله وقدرته فيرجع السب

الى من خلقها وسخرها ، وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته الى أن يقولوا ما ذكر في الحديث وهو سؤاله تعالى خيرها وخير ما فيها والاستعاذة به من شرها وشر ما فيها ، وقد شرع الله لعباده أن يسألوه ما ينفعهم ويستعيذوا به من شر ما يضرهم ، وأن يكون ذلك منهم عبودية لله وحده وطاعة له وايمانا به ، وهذه حال أهل التوحيد والايمان خلافا لحال أهل الشرك والبدع

قوله ﴿ باب قول الله (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الامر من شيء قل إن الامر كله لله ﴾ وهذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم) يعني أهل الايمان والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله ﷺ وينجز مأموله ولهذا قال (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) كما قال تعالى (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً) وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة ، وأن الاسلام قد باد وأهله ، وهذا شأن أهل الريب والشك اذا حصل أمر من الامور تحصل لهم هذه الامور الشنيعة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل . وفُسّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ففسر بانكار الحكمة وانكار القدر وانكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله هذا هو ظن السوء

(عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدلهم جهنم وساءت مصيراً)

قوله (الظانين بالله ظن السوء) قال ابن جرير في تفسيره (ويعذب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) أي الظانين بالله أن لن ينصرك وأهل الايمان بك على أعدائك وأن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع. وقال ابن كثير (ويعذب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) أي يتهمون الله في حكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية، ولهذا قال تعالى (عليهم دائرة السوء) وهذا الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وانما كان هذا ظن السوء لانه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمه وحمده ووعده الصادق

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق ادالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ماجرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا (فويل للذين كفروا من النار) وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه به ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل أنت سالم

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فاني لا أخالك ناجياً

قوله (باب ماجاء في منكري القدر) أي من الوعيد قوله « قال ابن عمر والذى نفس ابن عمر بيده » حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائي وابن ماجه عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميدي حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق الله لنا عبد الله بن عمر داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي ، فقلت أبا عبد الرحمن إنه ظهر قبلنا أناس يقرؤن القرآن ويتقفرون العلم يزعمون أن لا قدر وأن الامر أنف فقال : اذا لقيت أولئك فاخبرهم اني بريء منهم وأنهم برآء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لاحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ثم قال يامحمد أخبرني عن الاسلام قال « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا » قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال فأخبرني عن الايمان قال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال صدقت ، قال فأخبرني عن الاحسان قال « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » قال صدقت ، قال فأخبرني عن الساعة قال « ما المسؤل عنها بأعلم من السائل »

قال فأخبرني عن أماراتها قال « أن تلد الامة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان » قال فانطلق فلبثنا مليا ثم قال يا عمر « أتدري من السائل ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال « انه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »

قوله : عن عبادة بن الصامت . حديثه هذا رواه أبو داود ورواه الامام أحمد بكماله قال : حدثنا الحسن بن سوار حدثنا ليث عن معاوية عن أيوب بن زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت يا أبتاه أوصني واجتهد لي ، قال أجلسوني ثم قال : يا بني انك لن تجد طعم الايمان ولن تبلغ حقيقة العلم حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قلت يا أبتاه وكيف أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار . رواه الترمذي بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح وفي هذا الحديث بيان شمول علم الله واحاطته بما كان ويكون كما في قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن) الآية ، والآيات في إثبات القدر كثيرة ، وقد استدل العلماء على اثبات القدر بشمول القدرة والعلم كما في الآية . قال الامام أحمد : القدر قدرة الرحمن . وقال بعض الائمة في مناظرة القدر ناظروهم بالعلم فان أقروا به خصموا ، وإن جحدوه كفروا

قوله ﴿ وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي أبو بسر ﴾ بالسين المهملة

والباء المضمومة ، ويقال أبو بشر بالشين المعجمة وكسر الباء وبعضهم صحح الاول واسمه عبد الله بن أبي فيروز ، ولفظ أبي داود قال لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا ماقبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ماأصابك لم يكن ليخطئك ، وماأخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا نكنت من أهل النار ، فأتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك ، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك ، قال ثم أتيت زيد بن ثابت قال فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك وأخرجه ابن ماجه . وهذه الاحاديث وما في معناها حجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم ، ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار ، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم البدع ، وكثير منهم وافقوا الجهمية في نفي صفات الرب تعالى وتقدس

قوله ﴿ باب ماجاء في المصورين ﴾ أي من الوعيد ، وقد ذكر النبي ﷺ العلة وهي المضاهاة بخلق الله لان الله تعالى له الخلق والامر فلا يجوز أن يشبه بشيء من خلقه سبحانه لما فيه من المضاهاة بخلق الله

قوله ﴿ ولمسلم عن أبي الهياج الاسدي قال : قال لي علي : ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ أن لاتدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفا إلا سويته ﴾ قوله : عن أبي الهياج . هو الاسدي حيان ابن حصين وعلي هو أمير المؤمنين قوله : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ان لاتدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفا إلا سويته. فهذا ماصح عن النبي ﷺ من انكار هذه الامور وإزالتها (فبدل الذين

ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) فأكثروا التصوير واستعملوه وأكثروا البناء على القبور وزخرفوها وجعلوها أوثانا ، وزعموه دينا وهو أعظم المنكرات وأكبر السيئات ،تعظيما للاموات وغلواً ،وعبادة لغير الله بأنواع العبادة التي هي حق الله على عباده . قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما نهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه اكثر الناس اليوم رأى احدهم مضادا للاخر مناقضا له بحيث لا يجتمعان ابدا

قوله ﴿ باب ماجاء في كثرة الحلف ﴾ أى من النهي عنه والوعيد . وقول الله تعالى (واحفظوا ايمانكم) قال ابن جرير : أى لا تتركوها بغير تكفير ، وذكر غيره عن ابن عباس يريد لا تحلفوا . وقال آخرون (احفظوا أيمانكم) عن الحنث فلا تحنثوا والمعنى يعم القولين

قوله ﴿ عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب » أخرجاه ﴾ أى البخاري ومسلم وخرجه أبو داود والنسائي . والمعنى انه قد يحلف على ثمن السلعة بزيادة على ما اشتريت به أو سيمت به فيأخذها المشترى لظنه أنه صدق . وهذا وإن كان فيه زيادة فهو يمحق البركة كما جاء في الحديث ،والواقع يشهد بصحته فان ما عند الله لا ينال إلا بطاعته وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب

قوله ﴿ وعن سلمان أن رسول الله ﷺ قال « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: اشيمط زان ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشترى إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه » رواه الطبراني بسند صحيح ﴾ وسلمان لعله سلمان الفارسي أبو عبد الله أسلم مقدم النبي ﷺ

المدينة وشهد الخندق ، روى عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهما ، قال النبي ﷺ « سلمان منا أهل البيت ، ان الله يحب من أصحابي أربعة علياً وأبا ذر وسلمان والمقداد » أخرجه الترمذي . توفي سلمان في خلافة عثمان . ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي

قوله « لا يكلمهم الله » هذا وعيد شديد في حقهم لانه قد تواتر انه يكلم أهل الايمان ويكلمونه في عرصات القيامة والادلة على ذلك في الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه وفيه الرد على الجهمية والاشاعرة نفاة الكلام . قوله « ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » هذا من تمام العقوبة عليهم وفي هذا الوعيد الشديد مايزجر من له عقل عن هذه الاعمال السيئة ونحوها

قوله « أشيمط زان » صغره تحقيراً له وذلك لان داعي المعصية ضعف حقه فدل على أن الحامل له على الزنا محبته المعصية والفجور وعدم خشيته لله ، وكذلك العائل المستكبر ليس له ما يحمله على الكبر فدل على أنه خلق له فعظمت العقوبة في حقه لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي . قوله « ورجل جعل الله بضاعته » بنصب الاسم الشريف يعني اليمين بالله عز وجل جعله بضاعة له لكثرة استعماله

قوله « وفي الصحيح » أي صحيح مسلم وخرجه ابو داود والترمذي ورواه البخاري بلفظ « خيركم » [1] قوله « عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال

(١) بل رواه باللفظين فرواية « خير أمتي اهل قرني » الخ في فضائل الصحابة ـ ورواية خيركم في عدة كتب منه

عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا «ثم ان بعدكم قوم [1] يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » قوله « خير أمتي قرني » لكثرة الخير فيهم وقلة الشر وشدة الانكار على من خالف الحق وابتدع كالخوارج والقدرية والجهمية ونحوهم « ثم الذين يلونهم » فضلوا على من بعدهم لظهور الاسلام فيهم وكثرة العلم والعلماء ، وأما القرن الثالث فظهرت فيهم البدع لكن انكرها العلماء ، وتصدى كثير منهم لانكارها والرد على من قالها وهم كثيرون . قوله « فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا » هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين ، ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة من الجفاء في الدين وكثرة الاهواء فقال « ثم ان بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون » لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم الصدق وكذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم قوله « ويخونون ولا يؤتمنون » يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم « وينذرون ولا يوفون » أي لا يؤدون ما وجب عليهم فظهور هذه الاعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم ايمانهم ، قوله « ويظهر

---

(١) قوله قوم هو هكذا رواية لبعض رواة البخاري مخالفة لقواعد الاعراب والرواية المشهورة التي شرح عليها الشراح «ان بعدكم قوما» بالنصب وحمل الحافظ ابن حجر رواية الرفع على احتمال ان يكون من الناسخ على طريقة من لا يكتب الالف في المنصوب . وجوز العيني رفعه لفعل محذوف تقديره : يجيء قوم . وفي بعض روايات الصحيح يجيء قوم وفي بعضها يكون قوم ولكن بدون ذكر «ان بعدكم» وجملة القول ان ماذكره الشارح ليس غلطا منه ولاسبق قلم بل هو رواية . ونحن قد استمدنا في كتاب التوحيد الرواية الصحيحة قياسا وهي رواية للنسائي

فيهم السمن » لرغبتهم في الدنيا وشهواتها وقلة الايمان باليوم الآخر ، وفي حديث أنس « لا يأتي على الناس زمان إلا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » قال أنس سمعته من نبيكم ﷺ ، فما زال الشر يزيد في الامة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم حتى فيمن انتسب الى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف ، فحدث التفرق والاختلاف في الدين وحدث الغلو في أهل البيت من بني بويه في المشرق لما كان لهم دولة وبنوا المساجد على القبور وغلوا في أربابها وظهرت دولة القرامطة وظهر فيهم الكفر والالحاد في شرائع الدين ومذهبهم معروف وظهر فيهم من البدع مايطول عده وكثر الاختلاف والخوض في أصول الدين ، وما زال أهل السنه على الحق ولكن كثرت البدع والأهواء حتى عاد المعروف منكراً والمنكر معروفا نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير

قوله ﴿ وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » ﴾ في هذا الحديث ان خير القرون ثلاثة من غير شك قوله « ثم يجيء قوم » الخ وذلك لضعف الايمان والرغبة في الدنيا وأخذها بالقلوب وكثرة المعاصي والذنوب . قوله « قال ابراهيم كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار » هكذا حال السلف الصالح محافظة منهم على الدين الذى أكرمهم الله به فلا يتركون شيئا مما يكره إلا أنكروه وفيه تمرين الصغار على دينهم بالتعليم

قوله ﴿ باب ماجاء في ذمة الله وذمة نبيه وقول الله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) الآية ﴾ ص٦٦

قال العماد ابن كثير وهذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الايمان ولهذا قال (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) قوله (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) هذه الايمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق لا الايمان الواردة على حث أو منع. قوله (ان الله يعلم ما تفعلون) تهديد ووعيد . قوله ﴿ عن بريدة ﴾ هو ابن الحصيب الأسلمي وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه. قوله ﴿ كان(١) رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله تعالى ﴾ فيه من الفقه تأمير الامراء ووصيتهم قال الحربي: السرية الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها والجيش ما كان أكثر من ذلك وتقوى الله التحرز من عقوبته بطاعته . قوله « ومن معه من المسلمين خيراً » أي ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيراً من الرفق بهم والاحسان اليهم وخفض الجناح لهم وترك التعاظم عليهم. قوله « اغزوا (٢) باسم الله » أي اشرعوا في الغزو مستعينين بالله مخلصين له فتكون الباء في بسم الله للاستعانة بالله والتوكل عليه هنا . قوله « قاتلوا من كفر بالله » هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين من أهل الكتاب وغيرهم واستثنى منهم من له عهد وكذلك الذراري والاولاد والنساء والرهبان فلا يقتلون . قوله « ولا تغلوا (٣) ولا تغدروا ولا تمثلوا » الغلول الاخذ من الغنيمة من غير قسمتها قال تعالى (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) والغدر نقض العهد والتمثيل هنا التشويه بالقتل كقطع انفه واذنه والعبث

(١) في كتاب التوحيد : أن رسول الله (ص) كان الخ ولعل ماذكره الشارح رواية أخرى والا فهو اختصار وقد تكرر مثله (٢) في المتن : فقال « أغزوا الخ (٣) في المتن « أغزوا ولا تغلوا الخ

به . قوله « واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خلال ـ او خصال ـ الرواية باو التي هي للشك والمعنى واحد. قوله « فايتهن ما اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » منصوب باجابوا. قوله « ثم ادعهم الى الاسلام » كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم ثم ادعهم بزيادة ثم . قوله « ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين » يعني المدينة اذ ذاك وهذا يدل على ان الهجرة واجبة على كل من آمن وهو في بلد الشرك وكذلك اذا ظهرت المعاصي في بلدة نص عليه الفقهاء في كتبهم . قوله « فان هم ابوا ان يتحولوا منها » يعني ان من اسلم ولم يجاهد ولم يهاجر من البداوة لم يعط من الخمس ولا من الفيء شيء قوله « فان هم ابوا فاسألهم الجزية » فيه حجة لمالك واصحابه والاوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربيا كان او غيره كتابيا كان او غيره وقد اختلف في القدر المفروض من الجزية فقال مالك اربعة دنانير على أهل الذهب واربعون درهما على اهل الورق وقال الشافعي دينار على الغني والفقير وقال ابو حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما والوسط اربعة وعشرون درهما والفقير اثنا عشر درهما وهو قول احمد بن حنبل ، وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الاحرار البالغين دون غيرهم وانما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين لا ممن نأى بداره ، ويجب تحويل النأي الى بلاد المسلمين او حربهم

قوله « وإذا حاصرت أهل حصن » إلى آخره فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الاصول إن المصيب في مسائل الاجتهاد واحد وهو المعروف من مذهب مالك وغيره قوله « وإذا حاصرت أهل حصن فارادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه » الذمة العهد وتخفر تنقض

يقال أخفرت الرجل نقضت عهده وخفرته أجرته لانه لا يؤمن على من أعطى ذمة أن يخفرها فخفر ذمته أهون من أن يخفر ذمة الله تعالى(١)

قوله ﴿ ماجاء في الاقسام على الله ﴾ (ش) ذكر المصنف فيه حديث جندب بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال رجل والله لا يغفر الله لفلان فقال الله عز وجل من ذا الذى يتألى على أن لا أغفر لفلان إني قد غفرت له وأحبطت عملك » رواه مسلم قوله « يتألى » أي يحلف والالية بالتشديد الحلف وصح من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كان رجلان في بني اسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلني وربي أبعثت عليّ رقيبا ؟ فقال والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة . فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالما أو على ما في يدي قادراً ؟ وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به الى النار » قوله في حديث أبي هريرة ان القائل رجل عابد يشير الى قوله في هذا الحديث إن أحدهما مجتهد في العبادة ،وفيه معنى قوله ﷺ « إن الرجل ليتكلم بالكلمة مايظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه »

قوله ﴿ باب لا يستشفع بالله على خلقه ﴾ ـ ص٦٨

وذكر الحديث وسياق أبي داود أتم مما ذكره المصنف ولفظه :عن

(١) لم يشرح الشارح كل الحديث لوضوحه فيراجع في ص٦٧ من هذه المجموعة

جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال أتى النبي ﷺ اعرابي فقال يارسول الله جهدت الانفس وضاع العيال ونهكت الاموال(١) فاستسق لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فقال النبي ﷺ « ويحك أتدري ماتقول ؟ » وسبح رسول الله ﷺ فمازال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال « ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ، ويحك أتدري ما الله ؟ ان عرشه على سماواته كهكذا وقال باصبعه مثل القبة وانه ليئط به أطيط الرحل بالراكب » قال ابن يسار في حديثه الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته

قوله « ويحك » كلمة تقال للزجر قوله « أتدري ما الله ؟ » فيه اشارة إلى قلة علمه بعظمة الله وجلاله ، قوله « إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه » لان الامر كله بيده تعالى ليس في يد المخلوق منه شيء لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع تعالى وتقدس ، وفي هذا الحديث الرد على الجهمية وإثبات العلو وهذا الحديث رواه أبو داود ورضيه على عادته فيما كان عنده صحيحا أو حسنا وسكت عليه (٢) وأما الاستشفاع بالرسول في حياته فانما هو بدعائه ﷺ ودعاؤه مستجاب وأما بعد وفاته فلا يجوز الاستشفاع به كما تقدم تقريره في باب الشفاعة وما قبله والله تعالى نهى عن اتخاذ الشفعاء في مواضع كثيرة من القرآن ونفاها في حق من سألها من غير الله

---

(١) في أبي داود زيادة « وهلكت الانعام » فلعلها سقطت هنا من الناسخ سهوا

(٢) بل تكلم ابو داود في سنده خطأ بعض رواته في سياقة وصوب من قال انه روى كتابة من نسخة وهب ابن جرير لا تحديثا وان مداره فيها على محمد بن اسحق عن عنعنة لا سماعا وأطال الشارح من الكلام في ذلك

قوله ﴿ باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك ﴾ ص ٦٩

حمايته ﷺ حمى التوحيد عما يشوبه من الاقوال والاعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص وقد اشتمل هذا الكتاب على اختصاره على أكثر ذلك والنهي عما ينافي التوحيد أو يضعفه يعرف ذلك من تدبره وعرف ماتضمنه بابا بابا ، قوله في حديث أنس ان ناسا قالوا يارسول الله ياخيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، فقال « أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان » كره ذلك لئلا يكون وسيلة الى الغلو فيه والاطراء كما تقدم في قوله « لاتطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وهذا من كمال نصحه للامة وشفقته عليهم حذرهم مما يكون ذريعة الى الغلو فيه وقوله « انا محمد عبد الله ورسوله » فاعلى مراتب العبد هاتان الصفتان العبودية الخاصة والرسالة وللنبي ﷺ أكملها وقد أخبر تعالى انه وملائكته يصلون عليه وامر امته ان يصلوا عليه واثنى عليه بأحسن ثناء وأبلغه وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره ، فلا يذكر في الاذان والتشهد والخطب الا ذكر معه صلوات الله وسلامه عليه

واما اطلاق السيد فقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في بدائع الفوائد مانصه : اختلف العلماء في جواز اطلاق السيد على البشر فمنعه قوم ونقل عن مالك واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له أنت سيدنا قال « انما السيد الله » وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي ﷺ للانصار « قوموا الى سيدكم » وهذا أصح من الحديث الاول .

قال هؤلاء السيد احد ما يضاف اليه فلا يقال للتميمي سيد كندة ولا يقال للملك سيد البشر ، قال وعلى هذا فلا يجوز ان يطلق على الله هذا الاسم وفي هذا نظر فان السيد اذا اطلق عليه تعالى فهو في منزلة الملك والمولى والرب لا بمعنى الذى يطلق على المخلوق انتهى (قلت) فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في معنى قول الله تعالى « الله الصمد » انه السيد الذى كمل فيه جميع انواع السؤدد . وقال ابو وائل هو السيد الذي انتهى سوددده

قوله ﴿ باب ماجاء في قول الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية ﴾[1] اى من الاحاديث والآثار في معنى هذه الآية . قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى : ماقدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره وهو العظيم الذى لا اعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت قهره وقدرته . قال السدى ما عظموه حق عظمته وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ماكذبوه وقد وردت احاديث كثيرة تتعلق بهذه الاية الطريق فيها وفي امثالها مذهب السلف وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف ،

قوله ﴿ عن ابن مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى النبي ﷺ فقال يامحمد انا نجد ان الله يجعل السماوات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على أصبع والماء على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول انا الملك . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) الاية وهكذا رواه البخاري

(١) ص ٦٩

ومسلم والنسائي من طرق عن الاعمش به. وقال البخاري ثنا سعيد بن عفير قال حدثنا الليث حدثني عبد الرحمن بن مسافر عن ابن شهاب عن ابى سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه فيقول انا الملك أين ملوك الارض؟» تفرد به من هذا الوجه(١)

قوله «ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا «يطوي الله عز وجل السموات ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الارض بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟) كذا في رواية مسلم قال الحميدي وهي أتم

قلت: وهذه الاحاديث وما في معناها وهي كثيرة جدا تدل على عظمة الله وكماله وعظيم قدرته وفيها الرد على الجهمية والاشاعرة ونحوهم أيضا وكل ماوصف الله به نفسه ووصفه به رسوله يدل على كماله وعظمته وجلاله، وأن العبادة لا تصلح الا له سبحانه وبحمده، لا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا لمن دونهما، قال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الائمة مملوء بما هو إما نص أو ظاهر أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه، وذكر مايدل على ذلك من الكتاب والسنة، وقال الاوزاعي كنا والتابعون

(١) هذا السند صرح فيه أبو هريرة بالسماع وأخرجه البخاري في تفسير سورة الزمر وأخرجه بالعنعنة بغير هذا الاسناد في الرقاق والتوحيد. وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه أيضا

متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة ، وقال أبو عمر الطلمنكي في كتاب الاصول أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله مستو على عرشه بذاته ذكره الذهبي في كتاب العلو وقال أبو عمر الطلمنكي في هذا الكتاب أيضا أجمع أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه بالحقيقة لا على المجاز ثم قال في هذا الكتاب أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله (وهو معكم أينما كنتم) ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء . هذا لفظه في كتابه ، وقال الحافظ الذهبي وأول مقالة سمعت مقالة من أنكر أن الله تعالى فوق العرش هو الجعد بن درهم وكذلك أنكر جميع الصفات فقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة وأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية فاظهرها واحتج لها بالشبهات وكان ذلك في آخر عصر التابعين فانكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الاوزاعي وأبي حنيفة ومالك والليث بن سعد والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك ومن بعدهم من أئمة الهدى كالامام احمد وخلق من أهل السنة . قال الامام الشافعي لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل ونثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) اه من فتح الباري

قوله ﴿ وعن العباس بن عبد المطلب ﴾ ساقه المصنف مختصراً والذي في سنن أبي داود عن العباس بن عبد المطلب قال كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر اليها

فقال «ماتسمون هذه؟» قالوا السحاب قال «والمزن» قالوا والمزن قال «والعنان» قالوا والعنان قال أبو داود لم أتقن العنان جداً قال « هل تدرون ما بعد ما بين السماء والارض؟» قالوا لا ندري قال «ان بعدما بينهما اما واحدة أو ثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك ـ حتى عدد سبع سموات ـ ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الي سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك . قال الحافظ الذهبي رواه أبو داود وباسناد حسن وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه « بعد ما بين سماء الى سماء خمس مائة عام » قال ولا منافاة بينهما لان تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلا ونيف وسبعون سنة على سير البريد (قلت) وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما مع ما يدل عليه صريح القرآن فلا عبرة بقول من ضعفه(١)

وقد ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى هذا المصنف العظيم ببيان توحيد الالهية لان أكثر الامة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد، وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد، فقام ببيان التوحيد الذى دعت اليه الرسل ونهوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد فالدعوة الى ذلك هي أهم الامور وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه وأعطاه القدرة على الدعوة اليه والجهاد لمن خالفه ممن أشرك بالله في عبادته ، فقرر هذا التوحيد كما ترى في هذه الابواب ثم ختم كتابه بتوحيد الاسماء والصفات لان أكثر العامة لم يكن لهم التفات الى هذا العلم

(١) في حاشية الاصل ص ٧١ و ٧٢ بيان ماقالوه في حديث أبي داود والترمذي فيراجع

الذى خاض فيه من ينتسب الى العلم وأما من ينتسب الى العلم فهم أخذوا عمن خاض في هذه العلوم وأحسنوا الظن بأهل الكلام وظنوا أنهم على شيء فقبلوا ماوجدوه عنهم فقرروا مذهب الجهمية وألحدوا في توحيد الاسماء والصفات وخالفوا مادلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الامة وأئمة الحديث والتفسير من المتقدمين وما زال أهل السنة متمسكين بذلك لكنهم قلوا فهدى الله هذا الامام الى معرفة انواع التوحيد فقررها بادلتها، فلله الحمد على توفيقه وهدايته الى الحق حين اشتدت غربة الاسلام فضل عنه من ضل من أهل القرى والامصار وغيرهم وبالله التوفيق، فقد اجتمع في هذا المصنف انواع التوحيد الثلاثة التي اشار اليها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله

والعلم اقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الاله وفعله ... وكذلك الاسماء للرحمن
والامر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وصلى الله على سيد المرسلين، وامام المتقين، محمد وعلى آله وصحبه اجمعين، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

﴿ تم الكتاب ﴾

وقد كتب في آخره مانصه

تم نسخ ذلك في رجب سنة ١٣٤٥ بلغ مقابلة وتصحيحا على المشايخ الكرام الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ عبد الله العنقري

بيان

ماوقع في هذه المجموعة من التصحيف والتحريف القليل الذي يشهد بإتقان التصحيح

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٤	١٤	جعل	اجعل
٢٢	١٣	السموت	السموات
٥٦	١٩	الحيحين	الصحيحين
٧١	١١	منها	منهما
٨٠	١٩	يزل	نزل
٩٤	١٧	تتيين	تتبين
٩٥	١٧	انرل	انزل
٩٥	١٩	الله	لله
٩٨	١٧	يرعب	يرغب
٩٩	١٢	انرل	انزل
١٠٥	١٨	نقلة	نقله
١٠٧	١٩	طبعا	طبعنا
١١٠	١٩	لفة	لغة
١٢٢	٥	تمت	
١٢٣	١	برءاؤا	برءاء
١٤٠	٤	ويجبونه	ويحبونه
١٤٠	٤	إلا	ألا
١٥٣	١٩	معاينهما	معانيها
١٧٠	٢١	أوليائه	أولياءه

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
١٧١	٤	عريز	عزيز
١٧٥	١٨	وأنرلت	وأنزلت
١٩١	١٠	كقار	كفار
٢٠٦	٢١	أو	
٢١٥	١٩	بياض	بياض
٢٣٥	٢٣	نفسة	نفسه
٢٣٨	٢١	تخليفها	تخليقها
٢٦٩	١٩	االبد	البد
٢٧٢	١	وبيم ومساجد	وبيع وصلوات ومساجد
٣٣٣	١٩	ببرآئته	ببراءته
٣٩٦	١٨	راحما	راجعا
٣٨٤	١٣	يحايون	يخافون
٤١٣	١	سنه	سنة
٤٥٨	٢٠	واحستسب	واحتسب
٢٦٤	١	فتل	قتل
٤٩٦	٢٠	الحفاط	الحفاظ

تنبيه

ينبغي لكل من يقتني هذا الكتاب أن يصحح نسخته قبل قراءته وان كان كل ماهنا لايخل بالمعاني